دور الحوزة العلمية
في
وحدة الأمة الإسلامية

تأليف
محمد جعفر النوري

دور الحوزة العلمية
في
وحدة الامة الإسلامية

تأليف

محمد جعفر النوري

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

عنوان الكتاب: دور الحوزة العلمية في وحدة الأمة الإسلامية

المؤلـــف: محمد جعفر النوري

الطبعة الأولى: ٢٠٠٦ ميلادي/ الموافق ١٤٢٧ هـ. ق

عدد المطبـوع: ٣٠٠٠ نسخة

المقدمة

الحديث عن الوحدة وضرورتها وأهمية دورها في البناء الإنساني عموماً، والإسلامي خصوصاً ـ هو أهم حديث حفلت به الشريعة المباركة ـ حيث تفننت فيه نداءات القرآن الكريم، وامتلأت بفصوله المسانيد والمصادر الحديثية، وطلعت السيرة الشريفة للهداة الاطهار محمد وآله الميامين بمواقف سلوكية باهرة على طريق تأصيل مفهوم الوحدة، وتعميقه، وجعله يأخذ مداه الخلاق في صياغة الحياة الإسلامية الرشيدة، ليكون لها أصل الوحدة بعد اصل التوحيد أساساً فكرياً ومناراً عملياً يقوم عليه كيانها، ويمتد به مع الزمن وجودها المستخلف المأمور سماوياً ان يكون حامل راية الشهادة على الامم في مسار الوسطية المثلى: **﴿وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾**[1].

وفي اطار الوحدة المفروضة باعلى درجات الالزام: **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾**[2] تشكل كيان هذه الامة الشاهدة التي انطلقت من قمة هذا الاعتصام لانجاز فرضها المرسوم الرائد في صنع الحضارة الإنسانية،

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

واداء الدور القيادي في دلالة البشر بسداد الله ووحيه وهداه نحو رشدهم وسعادتهم وازدهارهم، لتكون بذلك صاحبة الوسام الارفع: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1] أمة مهدية، هادية، متعاضدة، تشد أواصرها لحمة الاخاء الايماني الفريد، وتجمع شملها الفة الهدى في اروع مشاهد التآصر والتواصل والانجذاب.

ومن يمعن النظر في الرسالة الخاتمة: مبادئها، ثقافتها، مخاضاتها الكبرى على سبيل الظهور على الدين كله ـ يجد ان مفهوم الوحدة هو المنطلق الثقافي والعملي المتين الذي اندفعت معبأة بروحه الوثابة المقتدرة على ارضيته الصلبة الممهدة، لتخوض ميادين التجربة الكبرى مغمورة بالامل، والتفاؤل، والاقتدار، والثقة بالنصر المؤزر، لتقيم من عطاءاته وفيوضه اساس التغيير الحضاري الشامل، وتكون سيدة الامم، ورائدة العالم، ومدرسة الاجيال في معارف التسديد والترشيد والأخاء المجيد.

في عالم الوحدة ودورها، وعن حماتها، ورعاتها، ودعاتها، والمضحين على طريق اعزازها والتمهيد لخطاها الحانية في بسط ظلال الأمن والسكينة، والاداء الفذ في ابداع معجزة الشهادة الهادية، والظهور الرائد، في كل هذا يكون الكلام في هذا البحث، مساهمة في اداء بعض

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

المطلوب الشرعي ازاء مفهوم الوحدة كأصل رسالي متين فيه بقاء هذه الامة وسؤددها، وفي غيابه اندحارها وانهيارها.

املي و رجائي ان تتم قراءة فصول هذا البحث بروح الاستيعاب الودود، وشفافية الوئام الشفيق، وان ينظر الى مفرداته بعين الهدف الوحدوي النبيل الذي انضوت تحت لوائه تلك المفردات التي يشفع لها في ساحة القبول صدق النية، و ضرورة المبتغى، و شرف المرام.

الوحدة اساس كوني ومفهوم قرآني

الوحدة اساس كوني باهر يقوم عليه بناء هذا الوجود العظيم الحافل بالانشداد، والتجاذب، والاستمساك المبين بذمام التعاضد والتآزر من خلال جاذبية كونية مشهودة في تجلياتها المحيرة، تتآصر بها كل هذه المجرات، والمجاميع الفلكية، والسيارات وتوابعها، في وحدة وجودية صارمة لا تشذ وهي في اطار السنن التكوينية عن القيام بدورها المرسوم على مسار الاداء لوظيفة الخدمة، والعطاء، وانجاز التكليف الالهي، والقيام بالمأمورية الوجودية على أحسن وجه.

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾[1]، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[2].

والقرآن الذي هو الكون المعصوم الناطق انطلق نداؤه مجلجلاً من على قمة جبل النور داعياً إلى ان تتحول البشرية إلى كيان واحد مسدد

---

(١) سورة فصّلت: الآية ١١.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٦.

بالهدى والرشاد واداء المأمورية التشريعية المنطلقة بروح الارادة والاختيار على نور الوحي والعقل، لتبدع اسمى كيان عرفه الوجود بعد بارئه سبحانه وتعالى وهو كيان الانسانية الحرة المريدة العاقلة التي تختار هدى الله، وتمشي في لجة الشهوات والرغبات والاهواء مع عصمة التقوى، وسداد الورع، ودلالة الفكر المنير، واشواق الروح المعتصمة بذمام التسامي والكمال، ودافع البصيرة النابضة بوعي الحقيقة، والعزم على التزام مسارها والاستضاءة بمنارها.

ان هذا التناغم العجيب بين الالفات القرآني إلى المشهود والمحسوس الكوني لظاهرة الوحدة، وبين الدعوة المؤكدة للتعاطي معها بكل حقيقة الوعي والمسؤولية، والتصميم ـ هو ظاهرة قرآنية مثيرة تحرك الشعور الانساني ازاء ما حوله من الابداع الكوني الباهر، تحفز فيه همة المحاكاة بالعصمة الارادية المقتدرة، ومجاراة هذا الانسجام الوجودي العام، مستخدمة ابرع الاساليب والكلمات في صياغة التعبير عن الوحدة الكونية، مطلقة عليها اسم (السجود الشامل): ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ﴾[1].

داعية الارادة الواعية العارفة عند الانسان أن تحذو حذو الكون المحيط بها في اداء هذه السجدة العابدة في محراب الالتزام الدقيق بالتكاليف التي يرأسها تكليف الاخاء والتكافل والتآزر على طريق السعي الحثيث نحو الغاية المثلى وهي الوحدة البشرية في ذات الله لايجاد مصداق

(١) سورة الرعد: الآية ١٥.

المطلوب لخلافته في معمورته، والذي هو الامة الواحدة العابدة والمتقية: ﴿إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ﴿وَإِنَّ هذهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

ليشهد الكون بكل اجلال واكبار مولد وجود بشري واع مريد، تسوسه سنن الشريعة باقتدار الشوق العارف، وحرارة العشق السوي، وسلامة الاختيار، واستقامة الورع، ليصنع في ارضه العارفة كوناً حضارياً مسدداً تعجب له الافلاك المصونة بالناموس القاهر، ويعجب منه عُمّارها المعصومون بسلطة التمحض الروحي، والنجاة من عادية النوازع والرغبات، وان مدعاة ذلك العُجب او العَجَب، هو انه ـ أي الانسان ـ اختار مريداً من بين البدائل بديل ربه الودود، رغم بريق المنى والاهواء، وتزيين الميول والشهوات، فهو مع تقوى الارادة خلق مختار مزين بروعة الاختيار، متوحد بفخارالمفاضلة ولزوم الصواب، حيث تتعدد المسارب التائهة والسبل الغوية.

تلازم التوحيد والوحدة

ان عقيدة التوحيد التي هي اصل الاصول في العقيدة وقطب رحاها، والتي يعتقد على اساسها كل مسلم انه لا يعبد الا رباً واحداً احداً لا شريك

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

له ولا مثيل ـ قد ارتبطت ارتباطا وثيقاً بمبدأ الوحدة، حتى لقد قيل: «**ان وحدة الامة في توحيدها، وان توحيدها في وحدتها**».

فاصل التوحيد هو الاصل الجامع الذي تأتلف عليه جموع الامة من اقصاها إلى اقصاها في اخاء عبادي لا نظير له، يوحدها في اطاره رب عظيم اراد ان تتمازج قلوبها منتظمة في دائرة التعلق بربها سبحانه، كأنها الخرز التي ينتظمها خيط مسبحة الذكر التي تديرها بعد كل صلاة توحيدية خالصة، لتسبح ربها الذي اخرجها من ذل العبودية لسواه، ومن شتات الفرقة والتمزق في الربوبيات الزائفة المتعددة التي بددتها ايادي سبأ بين الارباب والالوهيات والمعبودين الذين لم يزيدوها الا رَهَقا في مصاهر الشقاء والتشرذم، حيث كانت في ذلك هباءة تافهة تسفيها رياح الحياة إلى كل صوب، ولكنها حين اجتمعت على كلمة التوحيد، ووجهت وجهها صوب بارئها الكريم، ووحدت نيتها، ولمت شملها على عبادته، تحولت إلى امة الشهادة، وغرّة التاريخ، وصانعة الحضارة، ومنجية الأمم من حولها من الهوى والهوان والمكابدة في دوامة الشرك والاختلاف. وان حقيقة التوحيد المطلوبة من الامة فرضاً لا مناص منه لا يمكن ان تتجسد في واقعها وهي اشتات متناحرة مختلفة، لكل فئة لواؤها، ولكل جماعة رايتها، ولكل طائفة مشربها الذي قد لا تلتقي فيه مع غيرها، مما يشكل تصادماً جلياً مع عقيدة التوحيد التي ارادت ان تجمع هذه الامة في بوتقتها، كما فعلت في بداية تجربتها النقية الاصيلة التي استطاعت ان تخرج منها للوجود خير امة على الاطلاق، تتآلف في رحاب المكارم، شامخة في عز توحيدها واقتدار وحدتها. ان كل ما عدا الوحدة في وجود هذه الامة هو عبارة عن انحراف عن كلمة التوحيد الجامعة التي سعى المشروع الالهي الكريم جهده ان يلم كيانها تحت لوائه، وقد جعل افضل عبادتها في تلاحم صفوفها جنباً إلى

جنب حين تقوم إلى ربها في صلوات اعيادها وجُمُعها وجماعاتها، وان أي اختلاف في مسيرة هذه الامة، واي تناحر، او صراع انما هي في حقيقة امرها اهواء مضلة تعبد من دون الله، وميول تتبع على غير ما يريد، وارادات ومشيئات تقدس وتطاع هي غير ارادته ومشيئته: **﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾**[1].

عن الرسول الكريم ﷺ: **«ماتحت ظل السماء من اله يعبد من دون الله اعظم عند الله من هوى متبع»**[2].

وعن الامام علي عليه السلام:ـ **«الهوى اله معبود»**[3].

وعندها تثور الصراعات الطاحنة التي تعيد أمر الامة جذعاً إلى حمية الجاهلية التي كانت فيها مع العصبيات والقبليات والطوائف، فئات تتقاتل، وشراذم يبغي بعضها على بعض، على مرأى العدو الساخر المتربص المنتشي بفرحة نصره الاغر في ذل هذه الامة في اختلافها وتناحرها، وقد صدق الامام علي عليه السلام حيث يقول: **«انما بدء وقوع الفتن اهواء تتبع، واحكام تبتدع، يتولى عليها رجال رجالاً...»**[4].

ان اروع ما يعبر عن فلسفة الارتباط المكين بين توحيد الامة لبارئها وبين وحدتها في اطار عقيدتها التوحيدية الخالصة هو قوله سبحانه في كتابه المجيد: **﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾**.

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٤٣.

(٢) الدر المنثور ـ ج ٢٥ـ ص ٨٢

(٣) غرر الحكم.

(٤) نهج البلاغة ـ الخطبة ٥٠.

وكم هو ملفت للنظر حقا ان نراه تعالى قد قدم في هذه الآية الكريمة وحدة الامة على عبادته التوحيدية، كأنه سبحانه يريد أن يبين لعباده ان حقيقة عبادتهم له كما يريد جل شأنه تتجسم في وجود هذه الامة العابدة التي اريد لها ان تكون شاهدة الامم ورائدتها على مسلك التوحيد، ومنقذتها من ربق الوثنية على مختلف اشكالها والوانها ـ الا حين تكون هذه الامة صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، يسجد لله في محراب العبودية له، ويقوم له باعباء رسالته وخلافته في معمورته، وحين لا تكون الا الوحدة هي العمود الاساس لاقامة بناء الكيان العالمي العابد الموحد ـ فهي إذن بمثابة الشرط الذي يتقدم على المشروط، والمنطلق الذي تكمن فيه نقطة الانطلاق، والطاقة التي لا بد منها لتحريك ركب المسؤولية العظمى على طريق الهدف المنشود.

وحدة الامة سر انتصارها

حينما وحد الاسلام امته التي اخرجها من براثن الجاهلية والشرك والصراعات القبلية، وضع على عاتقها مسؤولية التغيير، والتحرير، واقامة شرع الله في ارضه، واعلاء كلمته في بلاده، وقد اوضح لها منذ الخطوة الاولى على مسار الاداء لدور الوظيفة الكبرى **«الوسطية والشهادة على الامم»** ـ ان سر فوزها بالمطلوب وهو النجاح في ذلك الاداء انما يكون بوحدة كلمتها، والفتها، ولحمتها المتآصرة بالحب، والاخاء، والتكامل، والتناصر، وان في خلاف ذلك فشلها الذريع في مهمتها، وتحولها إلى نهزة للطامعين، ومعبرٍ ذلول تمر عليه جحافل الامم إلى مقاصدها، وعبد مأمور تسخره لرغباتها، ومغنم تتداعى عليه من كل صوب، ومن هنا جاءت الوصية

القرآنية المؤكدة... ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾ لتتجسد في ذلك حقيقة الشرط الجازم الذي اعلن نفسه باب النصر للامة التي اخذ الله عليها ان تنصر دينه لينصرها ويعزها في قضيّة شرطية شهدت لها الوقائع في طول المسيرة وعرضها انها وثيقة التلازم، صادقة النتائج:ـ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ﴾(١) وحين يكون الصف المرصوص في وحدة الامة هو الدليل الهادي إلى مكمن الظفر يكون هو الشرط في الآية الكريمة تحت عنوان (نصرة الله)، ويكون سبحانه قد جعل اخاء الامة ووئامها خير مطلوبه لرضاه، وافضل السبل إلى عزة الدنيا وفلاح الآخرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾(٢).

وما اروع كلام الامام علي عليه السلام وهو يتحدث لنا عن دور الوحدة في عزة هذه الامة، وانتصارها، وبلوغها درجة السيادة والريادة، ونجاحها في مشروع التغيير الأعظم: **«فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبني اسحاق وبني اسرائيل عليهم السلام، فما اشد اعتدال الاحوال، واقرب اشتباه الامثال، تأملوا امرهم في حال تشتتهم وتفرقهم، ليالي كانت الاكاسرة والقياصرة ارباباً لهم، يحتازونهم عن ريف الآفاق وبحر العراق، وخضرة الدنيا، إلى منابت الشيح، ومهافي الريح، ونكد المعاش، فتركوهم عالة، مساكين، اخوان دَبر ووبر،**

---

(١) سورة محمد: الآية ٧.

(٢) سورة الصف: الآية ٤.

اذل الامم دارا، واجدبهم قرارا، لا يأوون إلى جناح دعوة يعتصمون بها، ولا إلى ظل الفة يعتمدون على عزها، فالاحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرقة، في بلاء أزْل، واطباق جهل، من بنات موؤدة واصنام معبودة، وارحام مقطوعة، وغارات مشنونة، فانظروا إلى مواضع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا، فعقد بملته طاعتهم، وجمع على دعوته الفتهم... كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها، واسالت لهم جداول نعيمها، والتفت الملة بهم في عوائد بركتها... قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان قاهر، وآوتهم الحال إلى كنف عز غالب، وتعطفت الامور عليهم في ذرى ملك ثابت، فهم حكام على العالمين، وملوك في اطراف الارضين، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم، ويمضون الاحكام فيمن كان يمضيها فيهم...»(١).

المدار المتين للوحدة الإسلامية

ان الرسالة المكرمة التي صنعت هذه الامة بإلطاف الوحي، وجهود النبوة، وتضحيات المجاهدين على خطها الميمون ـ حرصت اشد الحرص على ان تحفظ لهذه الوحدة وجودها وديمومتها لتواصل اداءها المتميز في رفد الكيان الاسلامي بكل عناصر البقاء والحيوية لضمان استمرارية العطاء.

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٩٢.

وقد كان الرسول الاكرمﷺ عيناً ساهرة على تلك الوحدة، يترصد حتى اهون العثرات في مسيرتها، للتأشير على مكمن الاخطاء، وبيان كيفية العلاج والتلافي، وهو يحس ان اخطر ما يتعرض له هذا السند الاساسي في حياة الامة والملة هو داء الصراع والفتنة والتناحر، ومن هنا انصبت جهود النبي الكبرى على صيانة الكلمة من الاختلاف، والقوى من التعارض، وتنزيه النفوس مما يخافه عليها من معرة الشحناء والبغضاء والصدام، وكان يتحسب لحماية الوحدة والالفة ومواصلتها دفع الكيان الاسلامي بكل اقتدار نحو اهدافه الكبرى في زحمة المحن، والصعوبات، والمكابدات، ومكائد الاعداء المكشوفين والمنافقين والمتربصين، واندفاعاً منهﷺ بفورة هذا الهاجس سعى جهده إلى بيان مسار الديمومة لهذه الوحدة العاصمة في مقولته الشهيرة التي تزينت بها صحاح المسلمين جميعاً: **«اني قد تركت فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي»، «اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله واهل بيتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»**[1].

وقد تكرر منهﷺ التأكيد على هذه الحقيقة الايمانية المنجية **(محورية القرآن والعترة)** التي اراد منها ان تكون وسيلة امته الفضلى إلى دوام العزة، وبقاء الشوكة، ومواصلة الاداء لدور الريادة والشهادة. طبعاً ان اساس هذا الهدي النبوي لهذا العاصم من الضلال والفتنة والصراع هو

---

(١) مستدرك الحاكم ـ الجزء الثالث ـ ص ١٤٨.

الوحي الالهي الذي يجعل القرآن قطب الرحى للهداية، ويجعل حب اهل البيت فرضاً لازماً يعادل اجر النبي على اداثه الرسالي في امته، ولا يتلاحى اثنان في امة الاسلام عموماً وفي الشعب المسلم في العراق خصوصاً حول القدرة الهائلة لدى هذا الاساس المكين في توحيد الامة، ودوره المحوري في حفظ الفتها وتماسكها ونجاتها من شرور الاختلاف، ولكن هناك من يناقش في حدود السعة الدلالية لوجوب المحبة فيحصره في الاطار القلبي بعيداً عن الالتزامات العملية التي يتجلى في طليعتها الانقياد والمتابعة.

وهناك كذلك من يحسب دلالة التمسك بالعترة فيما هو الموجود لديه في مساراته ومدارسه الفقهية التي تعتمد ما ورد عنهم عليهم السلام في مسانيدها الروائية المعروفة في المجالات الشرعية والأخلاقية، حاله حال ما ورد عن سواهم، دون ان تجعل للعترة دور الريادة، أو ان تجعل لمشروعهم الفقهي خصوصية الهيمنة على كل ما خلاه، باعتباره الفهم الحقيقي للقرآن، والنقل الصحيح للسنة، ما دام هو الوارث الحقيقي لهما.

ولكن هذا الاختلاف في الدلالة وحدود المقصود القرآني والنبوي لا يلغي مفهوم محورية القرآن والعترة للوحدة، واخاء الامة، والتفافها حول هذا المحور الاصيل.

ولكن يبقى دور المراجع الدينية، والمراكز والهيئات والمجامع العلمية، ودور الافتاء، والشخصيات الاسلامية القيادية، في تفعيل هذا المحور وتأصيله، وجعله يأخذ مداه الواقعي وفاعليته الحقيقية في الساحة الاسلامية، ضاربة عرض الجدار كل نداءات الفتنة والضلالة التي ترتفع بها عقائر التكفيريين الذين لم يسلم مذهب من مذاهب المسلمين من اتهاماتهم

بالكفر والضلال،والبعد عن الشريعة، معتبرين انفسهم حماة التوحيد، ورعاة الشريعة، وسلفيتها الاصلاء.

ولقد اجاد علماء الاسلام في مساعيهم لرد عادية هؤلاء الشواذ عن ساحة الامة، واوقفوهم عند حدهم، وصانوا حريم الاسلام والمسلمين من غوائلهم وشرورهم التي تنجم هنا وهناك، حالها حال نظائرها من اسلافهم الخوارج الذين كفّروا الامة، وضللوها، وخرجوا على كل قيمها، وهدروا دمها، واستباحوا عرضها تحت الوية وشعارات خادعة مرقوا بها مروق السهم من الرمية حسب وصف الرسول ﷺ لهم.

نعم تبقى هناك ملاحظتان نرى من الضروري بيانهما:

اولاهما: ان بعض خطابات المراجع والهيئات الدينية تكاد تتساوق وبشكل غير مقصود مع بعض خطابات اؤلئك التكفيريين في الشأن العراقي، وان اختلف الغطاء الذي تحركت تحته تلك الخطابات، ولكنها التقت في مصب واحد هو الاضرار بالوحدة المطلوبة التي عرفنا ان اساسها الاصيل هو القرآن والعترة.

والملاحظة الثانية هي: ان بعض هذه الهيئات المرجعية تكاد تقع تحت تأثير العقل الجمعي والهوى الغالب لدى الشرائح المنتمية اليها والمحسوبة على منحاها الفقهي، مع ان المطلوب الشرعي من هذه الرموز الدينية ان تكون فوق اهواء العامة ورغباتها، وان تقف حائلا بينها وبين الوقوع في الاخطاء والهفوات والمحاذير الشرعية مهما كانت الضغوط النفسية والسياسية التي تسلط عليها، ومهما كانت الجهة التي تمارسها، وشعارها الذي تضعه نصب عينها هو قوله سبحانه: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[1].

الكتاب المجيد والوحدة

ليس خافياً على من قرأ القرآن العظيم، وتمعّن في آياته الكريمة تأكيده الجلي على قضية الوحدة والالفة بين اتباعه الكرام، وحرصه على ان يسود الوئام والصفاء أجواءهم التي ارادها عامرة بالايمان النقي الراسخ والمحبة الصافية الوافية، ليبقى الكيان الرشيد معافى من الرزايا والنكبات، سليماً من آفات الضعف والانهيار، مصوناً من التسليم لدواعي العجز عن اداء المسؤولية الكبرى مسؤولية التغيير الرسالي على هدى الله، واظهار دينه على الدين كله. وقد ركز القرآن على مبدأ الوحدة وتجلياته، واسباب قوته ومتانته، وعوامل ضعفه وخوره في محاور عديدة منها:

١ ـ ان الوحدة على منهج التوحيد هي الحق الطبيعي والفطري للوجود البشري باسره، ولكن العوامل الطارئة هي التي تؤثر اثرها في تشتيته: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾[2].

٢ ـ ان الوحدة الرسالية، ووحدة الدين والنبوة، وشمولية الايمان التوحيدي ـ هي الاساس الجامع لفصائل الانسانية العابدة على طول الخط: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾[1]، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٥.

(٢) سورة يونس: الآية ١٩.

٣ـ ان السيادة الكونية للخط التوحيدي الجامع في الاسلام هي الحتمية للصيرورة البشرية القاطعة وذلك بسبب احقية ذلك الخط وجامعيته ومحوريته ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٣).

٤ـ ان تعددية المحاور الدينية بعد ظهور الاصل الوحدوي الجامع انما هو نتيجة العصبيات الدينية والفكرية، واهواء المصالح المتدرعة باسم العقيدة: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ﴾(٤).

٥ـ ان المسار الانساني على طريق التكامل سيكون مآله القطعي هو الوحدة العالمية الجامعة في رحاب الظهور تحت لواء اليوم الكوني الموعود: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩.

(٥) سورة القصص: الآية ٥.

٦ـ الاخوة الايمانية مبدأ يخص المؤمنين، وهو صميم وجودهم، ومدعاة عزتهم، وبقاء شوكتهم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[1].

٧ـ ان هذه الامة هي امة الوحدة، وهي بها تكون امة العبادة الحقيقية والتقوى المفروضة: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

٨ ـ وجوب المبادرة إلى معالجة أي خلل يطرأ على سلامة هذا المبدأ الكبير، والسعي إلى القضاء على الكدورة أو الاحتراب الطارئ على عافية الاتحاد وصحوة الاخاء، حتى لو وصل الامر إلى حد الاقتتال الدامي، فان خط الرجعة يجب ان يظل باقياً مفتوحاً على الدوام مهما كانت الامور الداعية إلى ضده: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾[2].

٩ـ التذكير بان ولي المؤمنين هو الله سبحانه، وان الايمان به هو العاصم لهم من الاختلاف إذا أدركوا حقيقة ولايته عليهم، وطبيعة علاقتهم به، وارتباطهم بوحيه ورسوله: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[3]. من ظلمات الشرك والفتنة والاختلاف إلى نور التوحيد والصفاء والوئام. ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾[4]، حيث عصمتهما ولايته بالطافه من ان يذهبا مع مكيدة التخريب والفتنة.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٩.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٢.

١٠ـ ان مسيرة التغيير التي مشت فيها هذه الامة خلف رائدها المصطفى ﷺ، وتحملت فيها اعباء تلك المسؤولية الكبرى تستدعي حتماً ان يتصدى لها الخصوم اللُدّ بكل اقتدار العداء والمقاومة والكيد: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلاَّ خَبالاً وَلأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾(١).

وهذه امور لا يقوم كيان المسلمين ازاءها الا بوحدة القوى، وتآلف القلوب، وتشابك الايدي، والانطلاق على المسار جنباً إلى جنب كاللُحمة الواحدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

١١ـ الحكم القاطع بان الذين مزقوا صفوفهم بالاختلاف، وشتتوا شملهم بالفئوية، وصاروا ايادي سبأ بالتناحر والتدابر هم ليسوا من الله ورسوله في شيء، وان بينهم وبين حقيقة الايمان كالذي بينهم وبين قلوبهم المتعادية وأوصال كيانهم الممزق، وبين الائتلاف والاخاء من فاصلة بغيضة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّما أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِما كانُوا يَفْعَلُونَ﴾(٢)، ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِما لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة: الآية ٤٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٩.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٢.

١٢ـ الامر الاكيد بالتزام جادة الوحدة، والاجتماع على محور الرسالة: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾(١).

١٣ـ التأكيد على وجوب ان تسود المحبة اجواء المؤمنين، وان يظلل الولاء على وجودهم الكريم بظلاله الفيح، وان يكون التناصر والتآزر طبعهم وديدنهم: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ بِهِمْ خَصاصَةٌ﴾(٢)، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ﴾(٣).

١٤ـ التذكير بنعم الله على المؤمنين بما تفضل به عليهم من الالفة والاخاء والوداد، وان ذلك هو من لطف الله بهم ومنه عليهم: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ ما فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ما أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٤).

١٥ـ التذكير بعواقب الامم التي سبقت والتي اصابتها بسبب الاختلاف عادية الانهيار فصارت عبرة لمن بعدها: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾(٥).

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الحشر: الآية ٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ٧١.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

١٦ـ التهويل لرزية الاختلاف والتناحر بابدائها بمظهر السوط الموجع الذي يضرب الله به من يحيدون عن سبيله وهداه، وهو على مستوى الغضب الالهي الذي يتنزل على اعدائه من السماء، أو يثور عليهم من تحت ارجلهم، أو يدب مرضاً سياسياً أو اجتماعياً في اوساطهم فيمزق شملهم ﴿قُلْ هُوَ الْقادِرُ عَلى أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذاباً مِنْ فَوْقِكُمْ أوْ مِنْ تَحْتِ أرْجُلِكُمْ أوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأسَ بَعْضٍ﴾[1].

١٧ـ النهي الجازم عن التدابر والاختلاف والنزاع، لأن ذلك هو المسرب الذي تتحرك منه آفة الانهيار والدمار إلى وجود هذه الامة: ﴿وَأطِيعُوا اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[2].

١٨ـ التأكيد على جعل محور الولاية لله ولرسوله ولاهل بيته هو قطب الرحى الذي يدور حوله كيان وحدة هذه الامة وعزها وانتصارها، ما دام المحور في كل وجود هو الاصل الذي يتقوم به، والمرجع الذي يجتمع عليه: ﴿إنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُون * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغالِبُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥ ـ ٥٦.

١٩ـ التركيز على ان التراحم بين المؤمنين هو أساس ديمومة الوحدة، وقوة الكيان، وبقاء الشوكة، وإن ذلك هو الأصل اللازم في سلامة الانقياد والمتابعة للقائد الذي لا بد له من اعوان متحابين فيما بينهم، تسود اجواءهم الرحمة بشفافيتها ووئامها، ويطهر التعاطف والتآخي صفوفهم من درن الشقاق والشحناء: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

٢٠ـ الأمر المؤكد للذي يتصدى لريادة المؤمنين بان يتحلى بصفات القيادة الموحدة الجامعة التي تشد الصفوف بشمائلها الفاضلة، وتجمع القلوب بسجاياها القيادية الرفيعة: كالرأفة، والرحمة، والحرص، والاشفاق، والعفو، والتسامح، واحترام الرأي الأخر لأتباعه بمشورتهم، والأستماع إلى آرائهم، واستخدام اسلوب التأليف لافئدتهم حتى بالعطايا التي جعلها الله فرضاً في الزكاة: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2]، ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ...﴾.

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3].

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

---

(١) سورة محمد: الآية ٢٩.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٨.

٢١- إن من يلاحظ تركيز القرآن على الوحدة الإنسانية في خطاباته المتكررة بعبارة ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، واعتباره وجود التعدد العرقي، والقبائلي، والاممي، والجغرافي انما هو لحكمة التعزيز للبناء الانساني، وتوثيق الاواصر بين عرى التركيبة البشرية التي يجب ان يكون مبدأ (التعارف) الواصل هو روح الوداد التي تشد عراها إلى بعضها على طريق الكدح إلى الله، واستباق الخيرات في حلبة التفاضل بالتقوى. ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ﴾[٢].

و من يلاحظ كون الوحدة الإنسانية الشاملة هدفاً كبيراً من أهداف الخلقة، وحكمة سامية من حكم التكوين -يدرك أن الوحدة الاسلامية التي هي عماد الامة الشاهدة المذخورة لريادة البشرية على مسار التعارف -هي هدف قرآني لا مثيل له بعد التوحيد في الاهتمام، والتاصيل، والتأكيد، والحماية، وجعله استراتيجية فضلى يتحقق بها مراد الله في خلافة الانسان له في ارضه.

الرسول الاكرم رائد الالفة

من يستعرض السيرة النبوية الشريفة يجد أن أهم المحاور التي يبرز الاهتمام النبوي بها على طريق صنع الامة الحضارية الشاهدة- هو محور الوحدة الاسلامية التي كلفته الكثير من جهده ووقته وراحته، وقد كانت نصب عينيه دائماً، لانه يراها العمود الفقري لوجود امته في حياته معها وبعد

---

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

رحيله عنها لتبقى بها في ذروة مسؤوليتها الكبرى في التقدم الى الامام نحو تحقيق الانجاز المطلوب وهو ريادة العالم على هدى الله ونور شريعته. وقد أرته تجارب الواقع في قيادته الكريمة لهذه الامة، ان مسألة وحدتها هي صمام الامان لسلامتها، ولمس كيف ان مكائد يسيرة كادت ان تشق صفوفه وتجعلها فئات متناحرة لولا ان بادرت حكمته الفذة إلى اطفاء النائرة، وردم الهوة المصطنعة، واعادة اللحمة إلى وضعها الطبيعي...

لقد كانت مساعيه الذكية البارعة في التخطيط في مجال ايجاد الوحدة وحفظ ديمومتها كثيرة ولكن ابرزها:

١ـ تدبيره مشروع المؤاخاة بين اصحابه، والذي يعني ان يتعاهد كل اثنين منهم على الاخاء والالفة، واداء كل واحد حقوق الاخوة كاملة للثاني كما يفعل الاخوان المولودان من رحم واحدة، وان كانت رحم الايمان أقوى تأثيراً واقدس رابطة.

وقد اقام الرسول هذا النموذج من الاخاء لاصحابه مرتين: مرة في مكة قبل هجرتهم إلى يثرب، وتارة اخرى بعد وصولهم إليها.

٢ـ موقفه البارع الحكيم في اخماد الفتنة الطائفية الشعواء التي اثارتها الصهيونية القديمة بتدبير (شاس بن قيس) في صفوف أنصاره، وخلاصة القصة هي كما تقول السيرة: **(كان شاس بن قيس من يهود المدينة حريصاً على رد الناس عن الاسلام بعد هجرة النبي اليها، وكان شديد الطعن على المسلمين والحسد لهم. مرّ يوماً على الانصار الاوس والخزرج وهم مجتمعون يتحدثون، فغاظه ما رأى من إلفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة فقال:ـ «قد اجتمع بنو قيلة، والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار»، فأمر فتى شاباً من اليهود فقال له: اعمد اليهم فاجلس معهم، ثم اذكر يوم بعاث ـ أي**

يوم الحرب التي كانت بينهم ـ وما كان فيه، وانشدهم ما كانوا يتقاولون به من الاشعار ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، أي قال احد الحيين:ـ قد قال شاعرنا كذا، وقال الآخر: قد قال شاعرنا كذا، وتنازعوا وتواعدوا على المقاتلة، أي قالوا تعالوا نرد الحرب جذعاً كما كانت، فنادى هؤلاء: يا للأوس، ونادى هؤلاء: يا للخزرج، ثم خرجوا وقد اخذوا السلاح، واصطفوا للقتال، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم، فقال: «يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم، بعد ان هداكم الله للاسلام، وألفكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم؟».

فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج، ثم انصرفوا مع رسول الله)[1].

٣ـ وضعه محور الثقلين (القرآن والعترة) قطب الرحى لكيان الامة، ومصدر الفتها وتآخيها، فان القلوب اذا لم تجتمع على محور واحد ضاعت وتفرقت في شتات المحاور واختلافها، وقد سبق الحديث في هذه النقطة في فصل (المحور المتين للوحدة الاسلامية).

٤ـ سعيه وهو في آخر لحظات حياته الشريفة ان يكتب لامته عهده ووصيته لها بما يرسمه لوحدتها من منهج نبوي حكيم يعصمها من الضلال والاختلاف، ويصون خطاها من الانحراف عن جادة المسار الواحد، بشمل

---

(١) السيرة الجلية ـ المجلد ٢ـ الصفحة ٣١٩.

منتظم، وكلمة واحدة، وارادة مؤتلفة، وقلوب متآصرة: **«أئتوني بالكتف والدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده»**[1].

وكانت في ذلك حقيقة همه الكبير في حياطة امته من الذهاب بدداً في اودية الولاءات تحت الوية المحاور المتعددة.

٥ـ تحذيره المؤكد المكرر لامته من الاختلاف بعده، وقد كانت كلماته في هذا الصدد كثيرة ومتشددة في النهي عن الوقوع في حبائل هذه الرزية الفادحة، ومن تلك الكلمات الكريمة:

«يوشك ان تداعى عليكم الامم تداعي الأكَلَة على قصعتها، قالوا:ـ أمن قلة يا رسول الله؟، قال: لا، بل أنتم كثرة، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»[2].

وقوله ﷺ: **«أيها الناس لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»**.[3] ومن يتمعن في هذه العبارة الشريفة يجد مدى التهويل الذي يستخدمه الرسول الكريم: **(لا الفينكم كفارا)** في وصف من يشذون من بعده عن نهج الوحدة والاخاء، ليباشروا ممارسة الشق لصفوف الامة، وتمزيق شملها، وتشتيت اواصرها.

٦ـ لقد حاول ﷺ من خلال مبدأ التأليف للقلوب، ان يصد عن الوحدة الاسلامية الاخطار المتوقعة من العناصر التي لم يتبوأ الايمان مكانه في قلوبها، فكان ﷺ يتألفها ويشملها بلطائف التدبير التي منها العطايا

---

(١) صحيح البخاري ـ الحديث ٤٤٣١.

(٢) سنن أبي داوود ـ الحديث ٤٢٩٧.

(٣) صحيح البخاري ـ الحديث ٧٠٧٨.

والهبات التي قد يكون دورها احيانا دور الاحسان الذي يستعبد الافئدة عند من يقدرونه، ويجدون من الانصاف ان يجازوه بما هو اهله من الميل النفسي على الاقل. وقد دفع ﷺ ضريبة أحد مواقفه في التأليف عندما بادر إلى الاغداق على ابي سفيان ومن لفّ لفه من الطلقاء وحديثي العهد بالاسلام ليستميل ارواحهم إلى مساره المقدس، حيث ثارت حفيظة الانصار، وعاتبوه على ما فعل، فبين لهم الحقيقة، وانفجرت اضغان ذي الخويصرة الذي اتهم الرسول بعدم العدل في القسمة.

٧ـ لقد كانت زيجاته الكريمة التي قامت على سياسة التأليف للقلوب واستمالة العشائر والمحاور القبلية إلى خطه المبارك ـ هي من المبادرات التي هدفت ان تجمع شمل الناس من حوله، وتلم صفوفهم في منهجه، وتجذب قلوبهم باثر المصاهرة إلى دينه، وتمنع ما يمكن أن يبدر منهم من البوائق والمخاطر على شمل امته ووحدة صفوفها.

واذا كان من المفيد نقل النصوص المنصفة من شهادات الرموز الانسانية على دور النبي العظيم في ابداع الوحدة، واقامة صرح الحضارة البشرية على اساسها، فاننا ننقل الميسور منها مما يتناسب والاختصار في هذا البحث، يقول: **(جان ديون بورث) العالم الانجليزي المشهور: « لقد حوّل محمد العربي البسيط، القبائل المتفرقة والجائعة، الفقيرة الى مجتمع متماسك منظم، امتاز بين جميع شعوب الارض بصفات واخلاق عظيمة وجديدة، واستطاع في اقل من ثلاثين عاماً وبهذا الطريق ان يتغلب على الامبراطورية الرومانية، ويقضي على ملوك ايران، ويستولي على سوريا و بلاد ما بين**

النهرين، وتمتد فتوحاته الى المحيط الاطلسي، وشواطئ بحر الخزر، وحتى نهر سيحان في جنوب شرقي آسيا الوسطى»[١].

ويقول (توماس كارليل): « لقد أخرج الله العرب بالاسلام من الظلمات الى النور، واحيا به منهم امة خاملة، لا يسمع لها صوت، ولا يحس فيها حركة، حتى صار الخمول شهرة، والغموض نباهة، والضعة رفعة، والضعف قوة، والشرارة حريقا، وشمل نوره الانحاء، وما هو الا قرن بعد اعلان هذا الدين حتى اصبح له قدم في الهند، واخرى في الاندلس، وعم نوره ونبله وهداه نصف المعمورة»[٢].

ويقول الدكتور(غوستاف لوبون): « ... والى زمان وقوع هذه الحادثة المدهشة- يعني الاسلام -الذي أبرز العرب فجأة في لباس الفاتحين، وصانعي الفكر والثقافة -لم يكن يعد ذلك الجزء من أرض الحجاز من التاريخ الحضاري، ولا كان يتراءى فيه للناظر أي شيء أو علامة للعلم والمعرفة او الدين»[٣].

ويقول (جواهر لال نهرو) العالم والسياسي الهندي المعروف: « ان قصة انتشار العرب في آسيا واوربا وافريقيا والحضارة الراقية والمدنية الزاهرة التي قدموها للعالم اعجوبة من اعجوبات التاريخ، ولقد كان محمد

---

(١) الاعتذار من محمد ﷺ والقران - صفحة ٧٧

(٢) الاسلام العلم الحديث الصفحة ٣٣

(٣) حضارة العرب - غوستاف لوبرت

واثقا بنفسه ورسالته، وقد هيأ لامته بهذه الثقة وهذا الايمان اسباب القوة والعزة والمنعة»[1].

الامام علي عليه السلام قربان الوئام

لقد أعطى الامام عليه السلام هذه القضية الكبرى (قضية الوحدة) أهمية خاصة بدعواته المنبعثة من قلبه كأنها افلاذ ذلك الخافق الطهور، وجسد لها بواقعه الفذ مواقف سامية من الجهود والكلمات والحرص الشديد، بل حتى من السكوت عن حقه، والاغضاء على الشجى والقذى، كي لا يرى راجعة المسلمين، وفرقتهم، وتناحرهم، وانتكاسة الامة بداء العصبيات والصراعات المذلة الخافضة، بعد ان شفاها الله منه على يد المنقذ الاعظم بوحدة شاملة منجية رافعة.

قال عليه السلام: **«لقد علمتم اني احق الناس بها من غيري، ووالله لاسلمن ما سلمت امور المسلمين، ولم يكن فيها جور الا علي خاصة، التماساً لاجر ذلك وفضله...»[1].**

وقال عليه السلام: **«فلما مضى صلى الله عليه وآله (النبي) تنازع المسلمون الامر من بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ان العرب تزعج هذا الامر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا انهم منحوه عني من بعده، فما راعني الا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فامسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن**

(١)لمحات من تاريخ العالم الصفحة ٢٣

الاسلام يدعون إلى محق دين محمد ﷺ، فخشيت ان لم انصر الاسلام واهله ان ارى فيه ثلماً او هدماً تكون المصيبة به عليّ اعظم من فوت ولايتكم التي انما هي متاع ايام قلائل...»[٢].

«الزموا السواد الاعظم فان يد الله مع الجماعة، واياكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما ان الشاذ من الغنم للذئب»[٣].

«ألزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة»[٤].

«ان جماعة فيما تكرهون من الحق، خير من فرقة فيما تحبون من الباطل، وان الله سبحانه لم يعط أحداً بفرقة خيراً ممن مضى ولا ممن بقي»[٥].

«اوصيكما بتقوى الله، ونظم امركم، وصلاح ذات بينكم، فاني سمعت جدكما ﷺ يقول: «صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام»[٦].

ويضرب عليه السلام مثلاً للأمة من واقع عاشته في ظل الوحدة، وما جاد عليها من النفع العظيم: «فان الله سبحانه قد امتن على جماعة هذه الامة فيما

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبه ٤.

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ٦٢.

(٣) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٥١.

(٤) نهج البلاغه ـ الخطبه ١٧٦.

(٥)نهج البلاغة ـ الكتاب٤٧.

(٦) نهج البلاغة الكتاب ٤٧.

عقد بينهم من حبل هذه الالفة التي ينتقلون في ظلها، ويأوون إلى كنفها، بنعمة لا يعرف احد من المخلوقين لها قيمة، لانها ارجح من كل ثمن...»[1].

ويضرب كذلك للامة مثلاً بمن تقدمها من الجماعات المؤمنة، كيف كانت عزيزة منيعة في ظل الوحدة، ثم كيف آلت إلى البوار حين تخلت عنها.

«فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة، والاهواء متفقة، والقلوب معتدلة، والايدي مترادفة، والسيوف متناصرة، والبصائر نافذة، والعزائم واحدة، ألم يكونوا أرباباً في اقطار الارضين، وملوكاً على رقاب العالمين؟، فانظروا إلى ما صاروا اليه في آخر أمورهم حين وقعت الفرقة، وتشتتت الالفة، واختلفت الكلمة والأفئدة، وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص اخبارهم فيكم عبراً للمعتبرين»[2].

ويرتفع الامام عليه السلام بالوحدة من اطارها الاسلامي المحدود إلى المعنى البعيد الاعمق، وهو التلاحم الانساني المتعالي على الفروق والموائز الدينية والعرقية وغيرها... فيطرح مفهوم (التناظر في الخلق) الذي لا يستوعب اهل الاديان غير الاسلام فحسب، بل يضم إلى صدره الرحب الحنون كل بني البشرية بلا استثناء، اذ لا بد للمنهج الاسلامي ان يحتضنهم، ويرعاهم، ويمنحهم الحرية لشعائرهم وتوجهاتهم، يتعارفون، ويتعاضدون،

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٩٢.

(٢) نهج البلاغة الخطبة ١٩٢.

ويسند بعضهم بعضاً في مسار الحياة الذي لا بد لهم فيه من التكاتف الانساني، وشد الازر، وتبادل المنافع، ومكافحة الصعاب والمشاكل المشتركة.

«واشعر قلبك الرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم... فانهم صنفان، اما اخ لك في الدين، او نظير لك في الخلق». «واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الا ببعض، ولا غنى ببعضها عن بعض»[1].

الامام الحسن وعام الجماعة

لا يخفى على ذي بصيرة ان هدف الامام الحسن عليه السلام المركزي الذي كان يسعى جاهداً اليه هو توحيد الامة على محور الاسلام الاصيل في ظل القيادة الشرعية التي انجبتها الأصول والمبادئ المقررة في الكتاب والسنة، وأئتلفت عليها كلمة الامة في واقع ممارسة فريدة، وذلك في اجماعها المشهود الذي كان يتيمة التاريخ السياسي الاسلامي عند بيعة الامام علي عليه السلام . ان هذا الهدف الكبير الذي بقي على عاتق الامام الحسن امانة من أبيه الذي كان قرباناً من قرابين الوحدة التي كان يرى فيها عز الاسلام وشوكة المسلمين ـ كان نصب عينه وهو يكابد المرارات والآلام على مسار التطهير للوجود الاسلامي من عناصر الكيد والفتنة والانتهازية، ومن الاذرع المريبة لأخطبوط الشجرة الملعونة التي ارى الله رسوله اوغادها من الأدعياء

(١) نهج البلاغة الكتاب ٥٣.

والطلقاء ينزون على منبره، فحدّث أمته بما رأى، محذّراً اياها من أخطر عناصر التخريب والتدمير لأصالتها وعزتها والفتها، واعتى موانعها على الطريق نحو تحقيق المطلوب منها في دورها (**دور الشهادة على العالم**).

وكان الامام الحسنعليه السلام على يقين جازم بان الدخلاء المفرّطين الذين يجهد في ان يزيحهم عن جادة الأنطلاقة الرشيدة مع سلامة العقيدة ووحدة المعتقدين، هم ومن سبقوهم في امامة ابيه من دعاة الفتنة والاختلاف والصراع، لا سيما اؤلئك الذين افرطوا وغالوا وكفّروا أي الخوارج، هم جميعاً على هوية واحدة، هي كونهم عثرات وعقبات كأداء يجب ان تزال عن السبيل القويمة بكل ما هو ممكن مشروع من الوسائل والطاقات والسبل، وباشد الوان الحسم والصرامة، قربة إلى الله، وزلفة إلى صاحب الامانة رسول الله، وقياماً بالمسؤولية ازاء الامة وسؤددها في وحدتها، واستقرارها في التئام شملها بخير ما يستحقه ذلك الاداء المفروض من الصدق والدقة والوفاء.

ولكن حين تكون الموانع احياناً اقدر حتى من جهود الانبياء والاولياء، وتكون طاقات المخربين التي لا تحجزها اصول ولا قيم، ولا تحدها ضوابط ولا مبادئ اخلاقية ـ ابعد في التأثير من طاقات أهل الالتزام والمبدئية والورع ـ يأتي دور العناوين الثانوية التي تلزم حتى خير الناس من القادة الرساليين بتكاليف جديدة نابعة من الواقع الاليم الذي هيأ لها بقسوته وعناده موضوع الالزام بالوحدة على محور جديد هو (اهون الشرين) تجاه الموقف من قضية الامة ووحدتها ودفع الشرور عنها في معرة الاختلاف وعادية الشتات التي لو تركت اتت على أصل وجودها. ومن منتهى سلامة النظر في ملاكات العقل والشرع ان يكون الرأي هو ترجيح مبدأ الالفة

الحافظ للاصل على المقاومة الشريفة التي تحول العوائق الكبرى دون انتصارها، ويكون استمرارها بلا مقوماتها الحقيقية وظروفها الموضوعية ضرباً من الجنوح العاثر، وشكلاً من اشكال الاصرار الغشوم. من هنا كان موقف الامام الحسن عليه السلام في رضاه بالصلح وهو يقرأ في كل الظروف المحيطة به، والملابسات التي تكتنف قيادته للمسيرة حواجز تحول بينه وبين مرامه الاساس (**وحدة الامة على الاصالة والشرعية**). لقد رضى بالبديل الذي تحتمه العناوين الثانوية وهو تعايش الامة على الاقل في بحبوحة السلام، على أمل ان يكون برنامجه في شروطه للصلح مدعاة لعودة الفرصة السانحة للجهد المرصود لتحقيق ذلك الهدف المنشود.

وقد حقن الامام بذلك الموقف دماء انصاره، وعصم الامة من الاقتتال الذي لا غالب فيه بعد غلبة المكائد الا الاشرار المخادعون، وكان ذلك العام الذي جرى فيه الصلح هو (**عام الجماعة**)، وهكذا جرت السنة الناس بهذه التسمية التي تعبر عن ان مبدأ الوئام هو احب ما يشتهيه الناس، حيث يكون في خلافه تفرقهم بلا طائل مشروع، واختلافهم بلا مسوغ سليم.

كان عليه السلام يقول عن هدف صلحه: «**انني لارجو ان اكون انصح خلق الله لخلقه، وما اصبحت محتملاً على أحد ضغينة، ولا مريداً له سوء ولا غائلة، إلا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، الا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لانفسكم، فلا تخالفوا امري، ولا تردوا علي رأيي**»[1].

---

(١) سيرة الائمة الاثنى عشر الجزء الاول الصفحة ٥٧٥

الامام زين العابدين ودعاء الوداد

ان الذي يعرف الامام زين العابدين عليه السلام، ويعرف محنته مع ابيه سيد الشهداء الامام الحسين عليه السلام، وما قاساه في كربلاء من أقسى مصيبة وامرّ فاجعة في تاريخ الاسلام ـ قد يتصور ان مثل ذلك الانسان الموتور الذي مزّق أهل زمانه من المسلمين قلبه بقتل أبيه سبط النبي وآله الكرام، وسبي حرمه، وهتك حرمته بتلك الصورة البشعة التي لا مثيل لها، لا يملك للناس من حوله وقد رأى منهم من المباشرة للجرم او الرضا به او السكوت عنه ـ الا ان يدعو الله عليهم، ويستعطفه انزال غضبه بهم ـ وأشده ان يجعلهم شيعاً يتصارعون، ويذيق بعضهم بأس بعض، ويبدد شملهم، ويشتت جمعهم.

انه عليه السلام لم يفعل ذلك اطلاقاً، ولا تحرك ولا حرّك باتجاهه بقول او فعل، وكان منه العكس في ذلك تماما، فهو يدعو المسلمين إلى المحبة والاخاء والتسامح، وان يشد بعضهم ازر بعض، وينصر احدهم الآخر، ويعينه في محنته وكربته، وان يكونوا يداً واحدة وقلباً واحداً وصفاً واحداً، وان يكون همهم لدينهم، ووحدة امتهم، ولمِ شملهم، وجمع كلمتهم. وهو عليه السلام بما عرف عنه من العبادة والدعاء حتى لقب **(زين العابدين والسجاد)** يمد يديه في سبحات عبادته ودعائه إلى ربه الكريم يسأله ان يعز كيان امة الاسلام بالوحدة والاخوة والتآزر والتناصر، وان يعين جيوشهم في حروبهم على الاعداء، وان يفيض تأييده عليهم، ويقوي شوكتهم، هذا حيث يعلم هو انه انما يدعو لتلك السيوف التي ذبحت بامر سلطتها أباه واهل بيته وصفوة اصحابه، وارتكبت بما فعلت ابشع المشاهد الاجرامية التي رأتها عيناه وسمعتها اذناه، انه يسجل بذلك موقفاً رائعاً من مواقف الهداة الميامين الصالحين الذين يجعلون وحدة امتهم، وسلامة دينهم وبلادهم، وشوكة

حماتها وجنودها امام اعداء الاسلام والامة جميعاً ـ هي الاهم في رغباتهم، وطموحاتهم، ورجائهم، ودعواتهم الصادقة.

نقرأ في أدعيته الكريمة ضراعته إلى ربه أن يعز المسلمين ـ كل المسلمين ـ بعزه، وينصرهم بنصره، وان يكبت اعداءهم ويخذلهم: **«اللهم صل على محمد وال محمد، وحصّن ثغور المسلمين بعزتك، وايد حماتها بقوتك، واسبغ عطاياهم من جِدَتك، وكثر عدتهم، واشحذ اسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، والف جمعهم، ودبر أمرهم، واعضدهم بالصبر، واعنهم بالنصر...»**[1].

«اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن تناول اطراف المسلمين، وخذهم بالنقص عن تنقصهم، وثبطهم بالفرقة عن الاحتشاد عليهم»[2].

«اللهم وايما مسلم خلف غازياً او مرابطاً في داره، او تعهد خالفيه في غيبته، او اعانه بطائفة من ماله، او امده بعتاد، او شحذه على جهاد، او اتبعه في وجهه دعوة، او رعى له من ورائه حرمة، فاجر له مثل أجره وزناً بوزن، ومثلاً بمثل...».

«اللهم وايما مسلم اهمه امر الاسلام، واحزنه تحزب اهل الشرك عليهم، فنوى غزواً بجهاد، فقعد به ضعف، او ابطأت به فاقة، او أخره عنه حادث، او عرض له دون ارادته مانع، فاكتب اسمه في العابدين، واوجب له ثواب المجاهدين، واجعله في نظام الشهداء والصالحين».

---

(١) الصحيفة السجادية ـ الدعاء الاهل الثغور.

(٢) المصدر السابق.

ومن الرائع البديع نختم به الحديث عن دور هذا الإمام العظيم في المجال التوحيدي للأمة، ومساعيه واهتماماته الرفيعة السامية في شأن وحدتها وعزتها في جمع كلمتها ولم شملها- ما رواه الرواة عنهﷺ حيث ذكروا: ان جماعة من اهل العراق دخلوا عليه، وذكروا: ان جماعة من اهل العراق دخلوا عليه، وذكروا ابا بكر وعمر وعثمان بسوء، ونالوا منهم، فقال لهم:

«الا تخبروني من انتم؟، انتم من المهاجرين الاولين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، ينصرون الله ورسوله، واولئك هم الصادقون؟.

قالوا: لا.

قال: أفأنتم من الذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة؟.

قالوا: لا.

قال: اما انتم فقد تبرأتم من ان تكونوا من هذين الفريقين، وانا اشهد انكم لستم من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ اخرجوا عني فلا بارك الله فيكم»[1].

---

(١) سيرة الائمة الاثنى عشر - هاشم معروف - الجزء الثاني الصفحة ١٨١.

ولا ريب ان رائحة المداراة، واحتواء الغيظ بحكمة الاستيعاب، او مندوحة التقية العاصمة ـ تعبق ساطعة من هذا الكلام، وهي كما سيأتي تقية محمودة، ظاهرها الرحمة بالسعي لازالة كل اسباب الاحتقان، والتشنج، والحساسيات الطائفية والمذهبية التي ليس هناك أضر منها على وحدة العباد، وسلامة البلاد، وغبطة الدين والديانين.

الامام جعفر الصادق امام بلا حدود

١ـ يطلق البعض من كتّاب التاريخ والسيرة على الامام السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام لقب استاذ الائمة وامامهم، ويقصد بذلك ان يبين حقيقة تلك الروح الوحدوية الشاملة لدى الامام الصادق عليه السلام، بما كان يتمتع به من سعة الصدر، والنظرة الابوية الحانية لكل الامة بجميع فصائلها واتجاهاتها، ولم يكن يهمه الا شموخها ووحدتها وعزتها في جمع كلمتها، وكان يبذل لها من علمه ومعارفه وتوجيهاته مالم يبخل به حتى على من نصبوا انفسهم ازاءه مراجع دينية ورموزاً في الشريعة، حيث كان يستقبلهم، ويمنحهم جميعاً بلا استثناء مما اوعبه صدره من علوم الرسالة وانوارها، وقد فتح ابواب جامعته العلمية لكل الطالبين مهما كانت اتجاهاتهم ومناحيهم، وقد احصى المؤرخون من هؤلاء أربعة آلاف تلميذ من كل مشارب الامة ومذاهبها.

لقد كان عليه السلام حقاً استاذ المذاهب وامام الائمة، فهو استاذ أبي حنيفة النعمان امام المذهب الحنفي، وهو كذلك استاذ مالك بن انس امام المذهب المالكي، وهو بالواسطة استاذ محمد بن ادريس الشافعي الذي درس على

يد تلميذ الصادق مالك، واذا كان احمد بن حنبل امام الحنابلة تلميذ الشافعي فلا غرو ان يكون الامام الصادق استاذه بواسطتين.

٢ـ لقد كان الامام الصادق عليه السلام داعية الوحدة وسندها المتين، وكان يجهد في ان يرى امته في اتم عافيتها وعزتها بوحدة صفوفها وائتلافها، وكان يؤكد في توجيهاته ونصائحه على مبدأ الوحدة، كما سترى ذلك في فصل (مشاعل على طريق الأخاء).

٣ـ كان عليه السلام يدعو اصحابه ان يكونوا شيعة حقيقيين، وهو يعرّف التشيع الحقيقي حسب فهمه الصحيح له، ويبين مواصفات الشيعة الواقعيين كما يلي: **«اوصيكم بتقوى الله عز وجل، والورع في دينكم، والاجتهاد، وصدق الحديث، واداء الامانة، وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاءنا رسول الله، وادوا الامانة لمن ائتمنكم عليها براً او فاجراً، فان رسول الله كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صِلوا عشائركم، واشهدوا جنائزهم، وعودوا مرضاهم، وادوا حقوقهم، فان الرجل منكم اذا حسّن خلقه مع الناس، وقيل هذا جعفري يسرني ذلك، ويدخل علي منه السرور، ومن كان غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره».**[1]

٤ــ حين يكثر الحديث والجدل حول الرواية المنسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وآله: **«اختلاف امتي رحمة».**

(١) سيرة الائمة الأثني عشر ـ ج ٢ ص ٢٩٤.

ويحاول العض ان يبرر بها ما يحصل في الساحة الفقهية والشرعية من الاختلاف والتعارض، وما جر اليه من التعدد الفئوي الطائفي، يحاول الامام ان يزيل هذا الوهم في فهم الحديث الشريف الذي اسيئ توجيهه واستغلاله، وينفي ان يكون الرسولﷺ قد عنى بالاختلاف ما يفهمه الناس من التعارض والتصادم المرجعي.

لقد كان تفسيره توحيدياً بارعاً في توجيه الأمة نحو وحدتها والتئام شملها، حيث يقول: «انما أراد رسول اللهﷺ قوله تعالى: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[1]، لقد أمرهم ان ينفروا إلى رسول الله، ويختلفوا اليه، ويتعلموا ثم يرجعوا إلى قومهم، فيعلموهم، فقد اراد رسول الله اختلافهم في البلدان لتعليم الناس، لا اختلافهم في الدين».[2]

٥ــ وفي مساعيه الوحدوية كان الامام الصادقعليه السلام وانطلاقاً من رسوخه في علم شريعته ورسالته يدعو أتباعه وشيعته إلى عدم الاضرار بوحدة الصف الاسلامي من خلال الانعزال عن الآخرين الذين يخالفونهم في المذهب والمشرب، او عدم حضور الصلاة معهم، فكانعليه السلام يقول لهم: «صلوا في مساجدهم، وعودوا مرضاهم، واتبعوا جنائزهم»[3].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٢٢.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر ـ ج٢ ص ٢٨٦.

(٣) مستدرك الوسائل ـ باب ٢٥ ـ الحديث ١.

واذا كان البعض يريد ان يحمل هذا الحديث وامثاله على التقية فانها اذن تقية محمودة، فلسفتها ومؤداها وحدة الكلمة، والالفة، والتواصل، والانسجام ولو في الظاهر، وهذا المنحى في تفسير التقية يعطيها بعداً وحدوياً جامعاً للشمل، فهو يراها عبارة عن كتمان المكنون المخالف للواقع الحاكم والكيان القائم من أجل حفظ النفس في الدرجة الاولى، ودفع المكاره عنها، ولاجل ابقاء الشمل المؤتلف على ما هو عليه من ظاهر الفته ولحمته.

اتباع اهل البيت على مسار الاخاء

ان اتباع اهل البيت واقتداء برسولهم وائمتهم ومرجعيتهم كانوا ولا يزالون الدعامة الاسلامية للوحدة الاسلامية، وصمام الامان لها، والحامي لكيانها، وقد قدموا على طريقها ما لا يحصى من القرابين، وضربوا الامثلة الرائعة على حياطتها، وتفدّيها، وصيانة حرماتها، والحفاظ على المكاسب الكبرى التي ترجى منها ـ وفيما يلي نقرأ باختصار اهم المعالم الوحدوية الباهرة التي تميز بها خط السائرين على منهج الامامة.

١ـ لقد تثقف هؤلاء النجباء على حقيقة الاكبار لشأن الوحدة بين الامة، والسعي قدر المستطاع إلى حماية الألفة الاسلامية، واجتناب كل ما يضرها ويسيئ اليها حتى لو كان في ذلك فادح الضرر على نفوسهم، وراحتهم التي يجب ان تكون في ثقافتهم فداءً رخيصاً للأمة ووحدتها واستقرارها، ومن هنا آثروا السكوت على ظلامتهم، وركنوا إلى التقية التي هي في الواقع مبدأ وحدوي بارع، حاول من اوصوهم به وهم أئمتهم ان يبعدوهم من خلاله عن أي مظهر من مظاهر الخلاف والتعارض مع الواقع

الموجود، وكان هو الواقع الاسلامي السائد الذي فرض نفسه بالطريقة التي كانت لهم عليها اشكالات ومؤاخذات على الاسس والتفصيلات، فمنعوهم بواسطته من ان يثيروا حفيظة الجفاة عليهم، أو يروا فيهم نداً يصادمهم ويناوئهم، ويبغي لهم ما يحذرون فتصيبهم منهم معرة الغيظ، حتى لقد امروهم ان يؤدوا فرائضهم في الظروف التي تتطلب مظهر الانسجام بالطريقة التي يؤديها غيرهم، وهذا هو المنهج الذي سار عليه الامام الراحل الخميني الكبير في امره شيعة المسلمين ان يقيموا مناسكهم وعباداتهم وفرائضهم في الحج مع المسلمين الآخرين وحسب الظاهر العام الموجود الذي يجب ان يكون مصوناً من التشتت والاختلاف والتشرذم.

٢ـ لقد كانت المواقف التوحيدية التي ذكرناها آنفاً معلماً بارزاً في المسيرة التوحيدية الرائعة التي صنعها اهل البيت، ودعوا اتباعهم إلى ادامتها رغم القسوة التي يكابدونها فيها، وقد سار هداة هذا المسار بعد الأئمة وهم العلماء ورجال الحوزة الاكارم خلف اسوتهم حذو القذة بالقذة، وسلكوا طرقاً كثيرة إلى ذلك، واستعانوا فيه بوسائل كلفتهم في بعض الاحيان شيئاً من اعتبارهم عند مريديهم وعند امثالهم من رجال العلم، وقد تحسسوا منهم لكونهم في رأيهم اوشكوا ان ينسجموا مع الوضع الموجود حتى على الصعيد الفكري والعلمي وطريقة الاستنباط، حيث بدت عليهم فيه ملامح ظنها نظراؤهم من مختصات سواهم، وقد كان سلار وابن الجنيد وغيرهما، من مفاخر هذا الوسط الامامي العلمي الذي قيل انه انساب مع التيار الوحدوي إلى حد بعيد، وقد تكرر نظير هذا الامر في عصرنا الراهن في شهيد الاسلام الخالد الامام الصدر ومن احتذوا حذوه في التقريب والتأليف بين المسلمين، والسعي إلى جمع القلوب على محور الاسلام في اطاره

العام، فنالوا نصيبهم من سوء الظن من المتحجرين والمنغلقين، ولكنهم لم يعبأوا بذلك رغم قسوته لان هدفهم الكبير يستدعي في نظرهم بذل ارواحهم فضلاً عن راحتهم.

٣ـ لقد كان المظهر الابرز في الايمان التوحيدي لدى القيادات الشيعية هو في النموذج العراقي الذي تجسد في ابداء علماء الحوزة الامامية الاستعداد التام للدفاع عن كيان الوحدة الاسلامية، وعن عزة الامة ووجودها ورسالتها ضد أعدائها الغزاة البريطانيين الذين قصدوها بالسوء. هذا رغم ان الدولة التي كانت بيدها مقاليد الامور وهي الدولة العثمانية السنية ـ لم تكن تضمر او تظهر لهم الا الكراهية والبغضاء، وتجلياتهما القاسية من الاضطهاد والتنكيل والاقصاء والحرمان، وقد تحدثت(مس بيل) سكرتيرة الحاكم البريطاني العام للعراق آنذاك (ويلسن) عن هذه القضية حيث قالت: **«ان الاتراك كما سلف لم يبدوا اهتماما بالسكان الشيعة في العراق رغم ارتفاع نسبتهم وانتشارهم في مصب شط العرب الى شمال بغداد، وكان العنصر السني وفضلا عن الوزارة التي كانت تديرها الحكومة السنية ـ يتمتع بمنزلة اجتماعية لا تتناسب مع عدد نفوسه، وهو يتألف من الملاكين والتجار الاثرياء، اضافة الى استيلائه على اسواق البادية في نجد، كما ان الازدراء الشامل للتاجر السني اتجاه زبائنه الشيعة كان ملحوظا بكل وضوح»**[1].

لقد تناسى الشيعة جراحهم وهمومهم والحس الطائفي الذي كان يحكمهم، مؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، فهبوا للدفاع عن

---

(١) مذكرات مس بيل ـ ترجمة جعفر الخياط الصفحة ٣٦.

حريم الامة وكيانها السياسي القائم، ولصد الهجوم الكافر الذي شنّه البريطانيون على ارض الجنوب لمحاصرة الدولة العثمانية، وقد تصوروا **(أي البريطانيون)** ان شيعة العراق المضطهدين سيكونون عوناً لهم ضد من ظلموهم. وكانت ملحمة التصدي الشيعي الذي قاده رجال الشيعة في الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ حيث تصدى علماء الحوزة ورجالها لقيادة جماهيرهم ضد الغزو البريطاني، وهبوا للمواجهة فتحرك من الكاظمية السيد مهدي الحيدري، والشيخ الخالصي، ومن النجف انطلق الامام الحكيم والشيخ الشبيبي وعلي الشرقي والجماهير الغفيرة بقيادة الحبوبي، وتحرك من بغداد داود ابو التمن، وقد أرسل الامام اليزدي والامام الشيرازي ابنيهما للمشاركة في هذا العمل الجهادي، والتحمت هذه الجموع الامامية جنباً إلى جنب مع القوات التركية التي لم تر منها الا خشناء المضايقة الطائفية، والايذاء المذهبي، والاقصاء على الهوية.

وهكذا كان الامر في ثورة العشرين التي قادها علماء خط اهل البيت وعلى رأسهم الامام محمد تقي الشيرازي الذي عرف عنه تقريبه للخط السني، واحتضانه له، ومحاولته ان يكون له الدور الواضح في المقاومة للاحتلال، والمساهمة في صنع مستقبل العراق بعد دحر الغزاة، وكان من رموزهم التي انضوت تحت لواء الامام الشيرازي (يوسف السويدي، علي البزركان، حسين الدوري، سامي النقشلي).

وقد اقرت بهذه الحقيقة الجاسوسة البريطانية (مس بيل) بقولها: **«ان المتطرفين اتخذوا خطة من الصعب مقاومتها، وهي الاتحاد بين الشيعة والسنة، أي وحدة المسلمين، وهم يستغلون ذلك إلى اقصى الحدود، فهناك اجتماعان او ثلاثة اجتماعات تقام في كل اسبوع، فهي تقام في مساجد**

الشيعة احياناً وفي مساجد السنة احياناً اخرى، ويحضرها اناس من الطائفتين معا، انها في الواقع سياسية وليست دينية، انها زاخرة بالقاء القصائد والخطب التي تمزج بين الدين والسياسة»، «ان المعارضة للسيطرة الاجنبية كانت موجودة في بغداد لعوامل شتى. وبعد اذاعة قبول بريطانيا الانتداب على العراق في الثالث من مايس اخذت الحركة الوطنية ابعادا اخرى. وبغية تحقيق الاستقلال التام وجد من الضروري توحيد السنة والشيعة في جبهة متحدة، والابتعاد عن التعصب، وقد ظهرت بوادر التقارب عندما حضر السنة اجتماعين دينيين عقدا لتأبين المجتهد السيد محمد كاظم اليزدي.)،(هناك مجموعة من هؤلاء الذوات ـ العلماء ـ في الكاظمية، المدينة المقدسة الواقعة على بعد ثمانية اميال من بغداد، المتطرفة في ايمانها بالوحدة الاسلامية، والمتشددة في مناوأة الانجليز، وفي مقدمة هؤلاء اسرة الصدر التي قد تكون ابرز اسرة عرفت بالتعليم الديني في العالم الشيعي كله»[1].

لقد كانت ثورة العشرين وما قبلها غرة لامعة في جبين الامجاد والمفاخر التي سطرها اتباع خط الامامة ورموزه على مسار العطاءات التوحيدية لحفظ كيان الامة ـ كل الامة ـ من الانهيار والتصدع، رغم انهم يعلمون انهم لا ينالون من ذلك أي مكسب لطائفتهم، ولا تتغير به ظروف المكابدة والمعاناة وسياسة الاضطهاد التي كانوا يتجرعون كؤوسها الحنظلية، وواجهوا على يقينهم من ذلك نار الغزاة الحامية بصدورهم العارية، وقاوموا المدفع الهدّار ببديعة (المكوار)، وكتبوها فريدة من فرائد

(١) الشيعة والدولة العراقية الحديثة عدنان عليان ـ الصفحة ٣١٧.

البطولة والرجولة، وعجيبة من عجائب الايثار والفداء، من أجل الوحدة والألفة والاخاء. ومن طريف ما يجب ان يذكر هنا انْ القائد العسكري التركي اصيب في المواجهات في معركة الروطة في البصرة، وقد نقل للعلاج إلى بغداد، وحين زاره أحد رجال الدين السنة متفقداً، قال له القائد التركي: **«انت هنا في منتهى الراحة، ولا تهمك قضية المواجهة أي شيء مع انك تتقاضى راتباً كبيراً من الدولة طيلة عمرك، هذا في حين ان السيد مهدي الحيدري يحارب بنفسه الانكليز على شيخوخته، وهو الآن في مقدمة الصفوف، رغم انه لم يقبل من اموال الدولة قليلاً أو كثيراً»**[1].

ويقول هذا القائد التركي: **«اننا كلما اشتد علينا الضغط في المعركة هممنا بالانسحاب، ولكننا حين ننظر خيام السيد ثابتة في مكانها تقوى عزيمتنا ونستحي من التراجع»**[2].

و نود في ختام هذا الفصل ان نذكر بديعة من بدائع التوجه التوحيدي لدى جهابذة المنهج القيادي، الامامي، الرفيع، المفعم بالشموخ، والتسامي، والاستيعاب، والظل الوارف، فقد سطر تاريخ المحامد الوحدوية لدى الامام الشيرازي: ان البريطانيين حاولوا استمالته بالقاء القبض على بعض الحمقى من الجهال المحسوبين على خط التسنن، الذين كانوا يؤذنونه بالقاء الحجارة على بيته، و قام الغزاة المحتلون باخباره بهذه المبادرة التي ارادوها شافعا لهم، و ممهدا الى قلبه و قلوب الشيعة من ورائه، فما كان منه الا ان وقف

(١) الشيعة الدولة العراقية الحديثة ـ الصحفة ٢٧٣.

(٢) المصدر السابق.

في وجوههم ليوبخهم على هذا الفعل المشين الذي يراه تدخلا في شأن عائلي خاص، حيث لا يريد ابناء هذه العائلة ان يرفعوا مشاكلهم الى الغرباء، ولا يستجدوا منهم الحلول لها، و قد اصر على اطلاق سراح المعتقلين، لانه لا يحمل غيظا في قلبه عليهم، و ليس لديه شكوى ضدهم.

اساطين الحوزة ووحدة الامة

السيد جمال الدين الافغاني (الاسد آبادي)

لقد كانت هذه الشخصية الفذة من شخصيات الحوزة الخالدة - اعجوبة توحيدية باهرة، جسدت بارفع المواقف واسماها واجدرها بالاكبار والثناء روح الاسلام الوحدوي الجامع، ومصداق رمزه العلمائي الشامخ بوعيه وبصيرته وهمه الاسلامي المستوعب، وحرصه على عقيدته ورسالته إلى الحد الذي انساه كل دنياه وما فيها، وجعله وجوداً متمحضاً للرسالة، يخوض لها الاهوال والمحن، ويصارع الآلام والاحن، يتحدى الطغاة والظالمين، ويمشي بخطى واثقة على مسار التوعية بمشروع الصحوة الفكرية والثقافية، وبرنامج بث الروح النهضوية في الأمة، وتأصيل المبادئ الاساسية الثلاثة المطلوبة لعودة امجادها: مبدأ المقاومة للغزو، ومبدأ العودة إلى رحاب الشريعة، ومبدأ الوحدة اللازمة لاعادة العرى المنفصمة إلى لحمتها وتآصرها.

لقد كان هذا المشروع الوحدوي العجيب مظهراً من مظاهر الفناء في ذات المسؤولية الريادية التي يحس بها من وهب وعيه الرشيد شعور الحماسة والايثار والفداء، وحرك فيه اقتدار الهمة العلية التي تدفعه على

الطريق الذي استأثر حبه بقلبه ورغبته وكل احاسيسه، واخذ عليه اقطار توجهاته وميوله، وذلك هو طريق الاعزاز لكلمة الله في عودة الأمة إلى عقيدتها واصالتها ووحدتها، لتجد من خلال ذلك فحسب مجدها، وشموخها، ورفعتها، وقدرتها على المواجهة، والانتصار، ودحر المعتدين، وافشال مؤامراتهم ومكائدهم. لقد تجسدت حقيقة الصدق عند ذلك الهمام الوحدوي الفذ في امور كثيرة منها:ـ

١ـ تركه مظاهر الدنيا وزينتها، وعزوفه عن بهارجها وما يسمى ضروراتها كالزواج والعش الاسري الذي لم يجد غيره مندوحة عنه فاعطاه من وقته وهمه وجهده ما يستحقه، لقد عاش خالياً من هموم ذلك الشأن ومشاغله والتزاماته، ليتفرغ لهم واحد هو هم الامة ورسالتها ووحدتها.

٢ـ انصهاره في بوتقة التوجه الوحدوي انصهاراً فريداً عاد به إلى اصله الاسلامي الشامل الذي افقده الهوية المذهبية، والميزة الطائفية الشاخصة، والعلامة الجغرافية الفارقة، فتجلى به للامة رمزاً من رموز الاسلام قبل المذاهب والفرق، حيث الصفاء الايماني الذي لم تشبه شائبة الميول والحساسيات والصراعات، حتى لقد احتار المؤرخون والمصنفون الذين يضعون الرموز في الخانات المذهبية ـ في المعنى المذهبي لهذا الرجل العظيم، واجتهدوا في ذلك، وقدموا البراهين على اجتهاداتهم، ويكفيه فخراً في هذا المجال ان يدعيه الجميع، ويفاخروا بنسبته إلى انفسهم، ولم يجد أي طرف منهم غضاضة في ذلك، بل هو يجد فيه وسام فخر وكرامة.

لقد اذاب هويته المذهبية في الروح الاسلامية فعاد كماء النبع الزلال الذي يشتهيه الجميع، ولا يحسون له طعماً مذهبياً، ولا لوناً طائفياً، ولا رائحة قومية، ولا عجب فهو من نبع الشريعة في اصالتها وصفائها.

ومن الطريف ذكره في قضية الانصهار هذه انه لم يتخذ زياً معيناً لباساً خاصاً به، فهو متلون الزي حسب الجو الذي يتواجد فيه، فهو تارة بلباس الافغان (العمامة البيضاء)، وتارة (بالعمامة السوداء) زي العلماء الاشراف في إيران والعراق، وتارة بالكوفية والعقال حسب الزي الغالب في الخليج و بلاد الرافدين، وتارة اخرى بالطربوش عندما يكون في مصر.

وهكذا كانت سلامته من عقدة التمذهب والتحزب الطائفي باسطة نفوذها حتى على مظهره الخارجي الذي كان ينساب على واقع الوحدة الاسلامية، ويتوزع عليها برفضه عصبية الزي رفضه عصبية المحور.

٣ـ لقد كان ذلك المشروع الوحدوي البارع في الاداء لوظيفته التوحيدية مشروعاً متنقلاً، دوّاراً بطبه التأليفي على اقطار الدنيا، يسمعها كلمته الاسلامية الشفيقة الحانية، ويؤكد على امة التوحيد بالخصوص ان تلزم نهج عزتها وكرامتها ـ منهج الوحدة على اساس العقيدة.

وكانت جماهير البلدان التي يقصدها لذلك الهدف تستقبله بالحفاوة والترحاب والاكرام، مما يثير حفيظة الحكام والسلطات، ويحركها إلى مضايقته وحصاره، ثم اخراجه بالرضا او الاكراه. وقد شملت جولاته التوحيدية الهادفة:ـ العراق، إيران، الهند، الحجاز، دوُل الخليج، مصر، تركيا، اروبا، روسيا، امريكا.

لقد كان هو اول من رفع لواء **(الجامعة الاسلامية)** كبديل رشيد لما طرحه الطائفيون والقوميون من شعاراتهم، وما رفعوه من ألويتهم. وقد قام باصدار جريدة تهدف إلى دعوة المسلمين إلى الوحدة الاسلامية، وسماها **(العروة الوثقى)**.

ومن كلماته الوحدوية المليئة بالحرقة واللوعة على شتات المسلمين واختلافهم قوله يخاطب الامام الشيرازي:

«انك وحدك ايها الحجة بما اوتيت من الدرجة السامية والمنزلة الرفيعة علة فعّالة في نفوسهم، وقوة جامعة لقلوبهم، وبك تنتظم القوى المتفرقة الشاردة، وتلتئم القُدُر المتشتتة الشاذة، وان كلمة تأتي منك بوحدانية تامة يحق لها ان تدفع الشر المحدق بالبلاد، وتحفظ حوزة الدين، وتصون بيضة الاسلام. وانك ايها الحجة ان لم تقم لنصر هذه الامة، ولم تجمع كلمتها لاصبحت حوزة الاسلام تحت سلطة الاجانب، يحكمون فيها ما يشاؤون، ويفعلون فيها ما يريدونج»[1].

الامام شرف الدين الموسوي

الامام شرف الدين هو سادن المذهب الامامي كما يصفه شهيد الاسلام العظيم السيد محمد باقر الصدر رضوان الله عليه، وليس ثمة احد في اتباع المذهب ولا سيما مثقفيه، ولا في اتباع المذاهب الاخرى وخصوصاً مثقفيهم من لا يعرف هذا العلامة الكبير الذي لمع ضوؤه من فجر (مراجعاته و فصوله المهمة) كما تضيء الشمس في رائعة النهار، وهو على كونه المنافح الرشيد السديد عن خطه خط التشيع لكنه كان المنفتح الاول على الاخرين، والداعية الانشط في ذات التوحيد للأمة، والتأليف لقلوبها، وجمع صفوفها على كلمة سواء هي الألفة في الاسلام، والاجتماع على

(١) أعيان الشيعة ـ المجلد ٤ ـ الصفحة ٢١٤.

محور القرآن والشريعة، بعيداً عن معرة الاحتراب، والتناحر بالتكفير، والتضليل، والحكم على الغير بالخروج عن الصراط، واستحقاق حر السيف وعادية الردى.

وحيث يضيق المجال في هذا البحث الموجز عن الخوض في تفاصيل كل المواقف الوحدوية لهذا الامام الهمام، و عن عرض كل ما بدا منه من كلمات وتوجيهات في هذا الصدد ـ نكتفي ببيان ما تتسع له طبيعة العجالة في هذه الصفحات:ـ

أولاً:ـ زيارته﵁ لمصر عام ١٣٢٩هـ ـ ١٩٠٨م بهدف الاجتماع بالمؤسسة الازهرية التي تمثل في حينها المرجعية الدينية السنية الكبرى في العالم الاسلامي، حيث كان لقاؤه بشيخ الازهر سليم البشري﵀، وما استتبع ذلك من الحوار البناء على طريق اعادة امجاد الوحدة الاسلامية، وقد بذل الطرفان الجهد المبارك في هذا المنحى الميمون، فكانت بينهما تلك الرسائل المتبادلة التي انتجت مشروع (المراجعات) الذي كان منه منطلق الامام شرف الدين إلى تحقيق غايته السامية التي كانت اشهى طموحاته ورغباته على الاطلاق، وقد جهد في مراجعاته ان يبين للمسلمين جميعاً ان في ما هو موجود عندهم في العقيدة والفروع والفكر والتاريخ اكثر مما يتصورون من المشتركات وعوامل الوئام والالتئام، وان موجبات الخلاف والتعارض تكاد تكون اموراً شكلية في الجزئيات والاجتهادات التي قامت على تلك الاصول المشتركة.

يتحدث هو عن دوافع برنامجه التوحيدي (المراجعات) فيقول: «**أما فكرة الكتاب فقد سبقت المراجعات سبقاً بعيداً، إذ كانت تلتمع في صدري منذ شرخ الشباب، التماع البرق في طيّات السحاب، وتغلي في دمي غليان**

الغيرة، تتطلع إلى سبيل سوي يوقف المسلمين على حدٍّ يقطع دابر الشغب بينهم، ويكشف هذه الغشاوة عن أبصارهم، لينظروا إلى الحياة من ناحيتها الجدية، راجعين إلى الاصل الديني المفروض عليهم، ثم يسيروا معتصمين بحبل الله جميعاً، تحت لواء الحق إلى العلم والعمل، اخوة بررة يشد بعضهم أزر بعض..... وكنت الهمت أني موفق لبعض ما اريد، ومتصل بالذي اداور معه الرأي، وأتداول معه النصيحة، فيسدد الله بأيدينا من (الكنانة) سهماً نصيب به الغرض، ونعالج هذا الداء الملح على شمل المسلمين بالتمزيق، وعلى جماعتهم بالتفريق، وقد كان ـ والحمد لله ـ الذي املت، فأن مصر بلد ينبت العلم، فينمو به على الاخلاص والاذعان للحقيقة الثابتة بقوة الدليل، وتلك ميزة لمصر فوق مميزاتها التي استقلت بها»[1].

لقد انطلقت من هذا المشروع التقريبي العملاق تلك الخطوة المباركة الاولى لوضع الاساس المتين لمبادرة (جماعة التقريب) التي تم تأسيسها في مصر بعد فترة وجيزة من زيارة شرف الدين اليها، وانجاز خطوة المراجعات، حيث تم على يد تلك الجماعة قيام دار التقريب، واصدار فتوى الشيخ محمود شلتوت باعتبار مذهب اهل البيت كالمذاهب الاسلامية الاخرى في جواز التعبد به.

وبذلك يعتبر السيد شرف الدين هو المؤسس الحقيقي لجماعة التقريب التي اقامت صرحها بالجهود المباشرة للامام البروجردي والشيخ

---

(١) المراجعات ـ دار التوحيد للنشر ـ ص٢٩.

محمد تقي القمي، على ما بوّأ لها شرف الدين من مكان، واسس لها من كيان، ومهد لها من اجواء، واوجد لها من اولياء.

ثم دخل بعد تأسيسها في عضويتها، وكتب في مجلتها(رسالة لاسلام)، ليساهم في اعلاء هذا الصرح المبارك، وتمكينه من الهدف الذي انشئ له.

وقد انطلقت فكرة التقريب بالاعتراف الازهري بالمذهب الامامي من دعوة الامام شرف الدين الصريحة الواضحة للازهر للقيام بهذه الخطوة الرائدة حيث يقول: **«نعم، يلم الشعث وينظم عقد الاجتماع بتحريركم مذهب اهل البيت، واعتباركم اياه كأحد مذاهبكم، حتى يكون نظر كل من الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية إلى شيعة ال محمدﷺ كنظر بعضهم إلى بعض، وبهذا ينتظم عقد اجتماعهم.**

والاختلاف بين مذاهب اهل السنة لا يقل عن الاختلاف بينها وبين مذهب الشيعة، تشهد بذلك الالوف المؤلفة في فروع الطائفتين واصولها، فلماذا ندد المنددون منكم بالشيعة في مخالفتهم لاهل السنة، ولم يندوا باهل السنة في مخالفتهم للشيعة؟ بل في مخالفة بعضهم لبعض، فاذا جاز ان تكون المذاهب اربعة، فلماذا لا يجوز ان تكون خمسة؟ وكيف يمكن ان تكون الاربعة موافقة لاجتماع المسلمين، فاذا زادت مذهبا خامسا تمزق الاجتماع، وتفرق المسلمون طرائق قددا؟».[1]

(١) المراجعات ـ دار التوحيد للنشر الصحيفة ٤٦.

ومن رسالة له إلى المتصدين في دار التقريب المنبثقة من جماعة التقريب التي هي في حقيقة امرها معلولة لجهوده، ومساعيه المباركة: «نصحتم ـ شهد الله ـ لله، ولكتابه عز وجل، ولرسوله ﷺ، ولأئمة المسلمين، ولعامتهم، مخلصين بنهضتكم هذه، هاجرتم في سبيل الله، وجاهدتم في تحقيق وحدة المسلمين، فكان لكم أجر المهاجرين المجاهدين، ثم كان لكم هذا الفوز المبين فهذه «رسالة الاسلام» تشرفون على تحريرها وإصدارها مع بطل من أبطال الفكر والعلم والجهاد وحسن البلاء، هو العلامةُ الدَرّاكَةُ الشيخ محمد محمد المدني، في نفر من قادة الرأي في أمتنا الناهضة، نعم هي خير رسالة لخير حَمَلة، ترسل من نورها فيتبلغها المسلمون ويبلغونها رافعة الصوت، ثاقبة الفكر، بعيدة الغور، وهؤلاء السادة القادة علماء الأزهر الأنور، ومن إليهم من حكماء الأمة وزعمائها، يحملون هذا اللواء بأيد أمينة قوية، يدفعهم للهدف الأسمى: النصحُ لله ولرسوله ﷺ....

وقد كتبت لفضيلة العلامة المجاهد الشيخ أحمد حسن الباقوري، أشكر له ولكم تقديم هذه الخطوة العملية الى المسلمين بتينك المقدمتين، تتفجر البلاغة من بين سطورهما، وينطق الإخلاص في كل كلمة من كلماتها، وحقا إن لرجل التقريب عامة، وللشيخ الباقوري خاصة، الشكر لمساعيهم كلها عامة، ولطبعهم فقه الإمامية خاصة.

حقق الله آمالنا، وسهل لكم ما تبذلونه في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، وإلى رسوله ﷺ، والسلام عليكم أيها الناصحون لله تعالى في ذلك ورحمة الله وبركاته»[1].

---

(١) رسالة الاسلام ـ م ١٠ ـ صفحة ١٠٨.

يتحدث الدكتور حامد حفني داود رئيس قسم اللغة في كلية الالسن بجامعة عين شمس في القاهرة عن مساعي الامام شرف الدين التوحيدية في مصر وخطوته المباركة في حواراته مع شيخ الازهر سليم البشري، وانجاز رائعة المراجعات فيقول: «وكأن عناية الله سبحانه لهذه الامة التي يقول عنها سيد الانبياء: «لم تعط امة من اليقين ما اعطيت امتي»، ان يقيض هذين العالمين ليتربعا على عرش الفكر الاسلامي في مطلع هذا القرن، في وقت احوج ما يكون فيه الاسلام لمن يدير اموره ويوحد صفوفه، ومن ثم كان هذا الكتاب الجليل لبنة متينة في التقريب بين شطري المسلمين، وازالة اسباب الخلافات المذهبية بيهما.... وقد أثبت العلامة السيد شرف الدين ان كوكبة المحدثين عند الشيعة واسانيدهم مما هو موجود بنصه في مصادر الحديث عند السنة. وذلك وحده من اعظم الاسباب، ولا نكاد نجد بعد ذلك الا خلافات فقهية تقع في دائرة الفروع.... ان هذه النفحة المدوية التي احدثها هذا الكتاب الجليل، وهو يصرخ في اذن كل سني وشيعي ان: تقاربوا وتآلفوا بآداب النبي ﷺ، واعملوا بما امر به الله ونبيه من تراحم وتوادد وتأزر وتعاطف، كان لها أثرها.

وليس ادل على أثر هذا الكتاب في جيلنا السالف وجيلنا المعاصر، من ظهور جماعة من قادة الفكر في مصر والعراق وايران وغيرها من البلاد الاسلامية دعوا إلى التقريب بين المذاهب في مصر وايران، وقد حملت هذه الجمعية مشعل الدعوة، وظهرت لها مجالات ونشرات دورية اعادت إلى الاذهان سيرة السلف الصالح، وصدقت قول النبي ﷺ فيما اخبر به من احاديث المغيبات: «أمتي امة مباركة لا يدرى أولها خير أو آخرها»[1].

---

(١) المراجعات ـ دار التوحيد للنشر ـ الصفحة ١٢.

وحين تنعى دار التقريب الامام شرف الدين في مجلتها الكريمه - رسالة الاسلام - لا تنسى ان تؤكد على حقيقة دوره في إرساء دعائم هذا المشروع الوحدوي الشامخ حيث تقول: **«وقد اختمرت في رأسه فكرة التقريب بين المسلمين منذ شبابه، حتى اذا سمع بدعوتها اول نشأتها خف اليها يؤيدها، وينصرها، ويدعو لها، ويزكيها، ويفخر بالانتساب اليها، وظل على عهده ذاك الى ان رفعه الله اليه»**(١).

ثانياً:- جولاته المتعددة من اجل هدفه التوحيدي الكريم الذي كان شغله الشاغل، ورسالته المقدسة التي صمم ان يصب فيها جهده،ويبذل وقته، لانها الاحق بذلك ما دامت وحدة الأمة عنده تعني عودة مجدها وهيبتها وشموخها الذي سادت به الامم، واخذت بزمام المعمورة على هدى الله إلى شاطئ السلام.

وقد شملت جولاته المباركة اضافة إلى مصر كلا من السعودية وايران والعراق. وكانت كل لقاءاته بعلمائها ورموزها الدينية مفعمة بحرصه الشديد على جذبها إلى ميدان المواجهة ضد الفتنة الكبرى فتنة التخندق المذهبي المقيت الذي هدّ قواها، وشغلها عن التخندق ضد غزاتها الطامعين في اذلالها، والسيطرة على مقدراتها وثرواتها.

ثالثاً:- قيامه رحمه الله بانجاز رائعته التوحيدية الفذة (**الفصول المهمة في تأليف الامة**) التي يجد فيها القارئ المنصف حقيقة العالم الرباني المخلص الذي نفض عنه ركام التاريخ، والصراعات، والحساسيات، والعقل الذي كاد

(١) رسالة الاسلامي -. ١ - الصحيفة ١٠٩.

ان يكون جمعياً في النزاعات المذهبية، وانطلق حر الضمير، نقي الوجدان من عقال الشتات الموروث، ليطلق دعوة الاخاء من فم الحق والحقيقة صافية، نقية، مجردة من كل شائبة، كأنها خرجت من ثغر الاسلام في صدره الاول قبل فتنة الاحتراب المذهبي.

انه يقول في دعوته الصادقة تلك: «**لا تتسق امور العمران، ولا تستتب اسباب الارتقاء، ولا تبث روح المدنية، ولا تبزغ شموس الدعة من ابراج السعادة، ولا نرفع عن اعناقنا نير العبودية بيد الحرية الا باتفاق الكلمة، واجتماع الافئدة، وترادف القلوب، واتحاد العزائم، والاجتماع على النهضة بنواميس الامة، ورفع كيان الملة،... اما اذا كانت الامة اوزاعاً متباينة، وشيعاً متباغضة لاهية بعبثها، غافلة عن رقيها ـ لتكونن حيث منابت الشيح، ومهافي الريح، اذل الامم داراً، واجدبها قرارا... فحذار حذار من بقاء الفرقة، وتشتت الالفة، واختلاف الكلمة، وتنافر الافئدة... واني صادع بهذه المقالة، شارع بعون الله في تصنيف رسالة سميتها (الفصول المهمة في تأليف الامة) (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب**»[1].

بمناسبة الحديث عن كتاب (**الفصول المهمة**) يجدر بنا ان نستمع الى حديث العلامة الشيخ التسخيري وهو من الناشطين اللامعين المعاصرين في ميدان الوحدة الاسلامية وهو يستعرض خطوط الفكرة التوحيدية لدى الامام شرف الدين في كتابه المذكور: «**باستعراضنا لهذا الكتاب والمنهج المتبع فيه تبدو لنا الخطوط التالية:**

---

(١) مقدمة كتاب الفصول المهمة.

الخط الاول: اهمية الوحدة واخطار التمزق.

وهو يؤكد ان النهضة الاسلامية، وتنمية العالم الاسلامي، وتقدمه حتى في المجال المدني، وخلاصه من نير العبودية، واقامة نظام العدالة لا يتم الا من خلال الوحدة.

الخط الثاني: تعيين الحد الفاصل بين الايمان والكفر، والنجاة والهلاك .

وقد ركز عليه في فصول:

الفصل الثاني: حيث اكد اجماع اهل السنة على ان الاسلام والايمان عبارة عن الشهادتين، والتصديق بالبعث، والصلوات الخمس الى القبلة، وحج البيت، وصيام رمضان، والزكاة والخمس المفروضين. وقد ايد ذلك بروايات من صحيح البخاري وصحيح مسلم ومصادر الشيعة.

الفصل الثالث: حيث ذكر نبذة من الصحاح الدالة على ان من تشهد الشهادتين حقن ماله وعرضه ودمه، وذلك من صحيح البخاري وصحيح مسلم.

الفصل الخامس: حيث ركز فيه على نجاة اهل التوحيد، ذاكرا نصوصا من الصحاح تؤكد ذلك.

الفصل السادس: ركز فيه على فتاوى كثير من العلماء على نجاة من نطق بالشهادتين .

الخط الثالث: اعادة الثقة المتبادلة والتآلف بين السنة والشيعة.

وينتظم في محاور:

المحور الاول: الابتعاد عن لغة التجريح والنقد اللاذع. والاحترام للرأي الاخر بشكل لافت للنظر.

المحور الثاني: السنة والشيعة والمعايير المذكورة .

بعد ان تحدث عن معايير الايمان والنجاة راح يطبقها على السنة والشيعة في فصل كامل هو الفصل الرابع الذي عنونه (**السنة كالشيعة يجمعهم الاسلام**)، ويجعل ذلك في غاية الوضوح في مذهبه.

المحور الثالث: بشارات السنة للشيعة.

ويزيد في هذا المحور فيتحدث عن انصاف السنة للشيعة وبشاراتهم لهم تأكيدا لعرى المحبة وبعثا للثقة المتبادلة .

المحور الرابع: فتح باب التأول يمنع كثيرا من الاحكام الجارحة.

وهذا باب مهم يركز عليه كثيرا ليفسر كثيرا من المبهمات في اذهان الطرفين على اساس ان تلك التصرفات انما تعبر عن اجتهادات او تصورات قد تكون صحيحة او خاطئة، ولكنها لا تفتح باب الاتهام للانحراف والكفر والفسق.

الخط الرابع: التركيز على العناصر المفرقة ومناقشتها.

ويتجلى ذلك في قيامه بالبحث عن اسباب الفرقة والتباعد بهدف تشخيص الداء لوصف الدواء الناجع، ويراها كما يلي:

أ ـ الامور التي ينفر منها الشيعي واهمها امرآن: الاول: ما يسمعه من تكفير وتحقير وتزوير .

الثاني: اعراض الاخوة من اهل السنة عن مذهب اهل البيت، وعدم الاحتجاج بحديثهم ... وذكر هنا عدم رواية البخاري عن ائمة اهل البيت.

اما ما ينفّر السنة من الشيعة، فقد اشار الى انه ذكر بعضها في ثنايا الكتاب، واكد عدم صحتها.

ب ـ ركز على فتاوى التكفير الصادرة من البعض كالشيخ نوح الحنفي وغيره.

ج ـ تحدث عن دور الكذابين المفرقين من بعض الكتاب حيث نسبوا للشيعة امورا كثيرة يبرأون منها.

اضاءات وحدوية

حيث يعجز هذا البحث المختصر ان يعرض كل توجيهات الامام شرف الدين وكلماته في شأن الوحدة الاسلامية التي كانت المحور المقدس لجل تحركاته ونشاطاته وكتاباته ودعواته ـ فانه يكتفي ببيان شذرات منها[1].

«في نبذة مما صح عند اهل السنة والجماعة من الاحاديث الدالة على ان من قال «لا اله الا الله محمد رسول الله» محترم دمه وماله وعرضه، اوردناها لينتبه الغافل، ويقنع الجاهل، ويعلما ان امر المسلمين ليس كما يزعمه اخوان العصبية، وابناء الهمجية، وحلفاء الحمية حمية الجاهلية، الذين شقوا عصا المسلمين، واضرموا نار الفتن بينهم، حتى كانوا اوزاعاً وشيعاً، يكفر بعضهم بعضا، ويتبرأ بعضهم من بعض، من غير امر يوجب ذلك، الا ما نفخته الشياطين، او نفثته أبالسة الانس».

«واخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد إلى اليمن «ان رجلاً قام فقال:ـ يا رسول الله اتق الله، فقال ﷺ:ـ ويلك الست احق اهل

---

(١) مجموعة مقالات مؤتمر الامام شرف الدين ـ الصحيفة ١٨٩.

الارض ان يتقي الله؟!، فقال خالد:ـ يا رسول الله الا اضرب عنقه، قال:ـ لا، لعله ان يكون يصلي».

قلت:ـ اعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة واهلها، واذا كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله، وقد اعترض على النبيﷺ جهرة وكاشفه علانية، فما ظنك بمن يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، ويصوم الشهر، ويحج البيت، ويحلل الحلال، ويحرم الحرام، ويتعبد بقول النبيﷺ وفعله وتقريره، ويتقرب إلى الله تعالى بحبه وبموالاة اهل بيته، ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته، متمسكاً بثقليه، معتصماً بحبليه، ويوالي وليه، وان كان قاتل ابيه، ويعادي عدوه وان كان من خاصته واهليه؟».

«وروى الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي في ترجمة عمر من الاستيعاب انه قال لولده عبد الله: الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا اله الا الله، قلت اذا كان صاحب لا اله الا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها، فامر اهل التوحيد اذن سهل يسير، فليتق الله اهل الشقاق، ولينهض رجال الاصلاح باسباب الوئام والوفاق، فقد نصب الغرب لنا حبائله، ووجه نحونا قنابله واظلنا منطاده بكل صاعقة، واحاط بنا اسطوله، وضربت في اطلالنا طبوله، ولئن لم يعتصم المسلمون بحبل الاجتماع، ويبرأوا إلى الله من هذا النزاع ليكونن اذلاء خاسئين، وأرقاء صاغرين».

«في طائفة مما صح عند اهل السنة من الاحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين، اوردناها ليُعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع، والتنديد بهم على هذا

النزاع، والتنبيه لهم على ان هذا التدابر بينهم عبث محض، وسفه صرف، بل فساد في الارض، واهلاك للحرث والنسل».

«في لمعة مما افتى به علماء اهل السنة من ايمان اهل التوحيد مطلقاً، ونجاة اصحاب الشهادتين جميعاً، اوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى في ذلك، والغرض لمّ شعث المسلمين باجتماعهم، ورتق ما انفتق بتدابيرهم ونزاعهم، لان العاقل اذا رأى نصوص صحاحه وفتاوى علمائه تحكم بالايمان على مطلق اهل التوحيد، وتعلن نجاة جميع اصحاب القبلة لا يبقى بعدها امر يدعوه إلى هذه النفرة، او يصده عن الوئام والالفة (المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض)، فما بالهم وهم في الدين اخوة قد انشقت عصاهم، واختلفت مذاهبهم، فهاج بينهم قسطل الشر، وتعلقت اهواؤهم بفواقر الفتن، ولو رجعوا إلى ما افتى به المنصفون من علمائهم لايقنوا ان الامر على خلاف ما زعم المرجفون».

«نبذ اؤلئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعاً في الوظائف، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب، وارجفوا في المؤمنين، وفرقوا كلمة المسلمين، ولولاهم لتعارفت الارواح، وائتلفت القلوب، وامتزجت النفوس، واتحدت العزائم فلم يطمع بالمسلمين طامع، ولم يرمقهم من النواظر الا بصر خاشع، ولكن واأسفاه استحوذ عليهم اؤلئك المفسدون الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف، ويضحّون عباده في طلب القضاء والافتاء، فتناكرت بفتاواهم وجوه المسلمين، وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين، حتى كان من تفرق آرائهم وتضارب اهوائهم ما تصاعدت به الزفرات، وفاضت منه العبرات، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم».

في واحدة من خطبه التي القاها في جامع بيروت العمري بمناسبة مولد الرسول: «وبعد: فانه لا حياة لهذه الامة الا باجتماع آرائها، وتوحيد اهدافها بجميع مذاهبها وشتى مشاربها على اعلاء كلمتها باعلان وحدتها في بنيان مرصوص يشد بعضه ازر بعض، وجسم واحد اذا شكا منه عضو انّت له سائر الاعضاء، حتى ليكون المسلم في المشرق هو نفسه في المغرب، وعينه، ومرآته، ودليله، ومشكاته، لا يخونه، ولا يخدعه، ولا يظلمه، ولا يسلمه.

بذلك يكون المسلمون امة واحدة، وبه تكون كذلك (خير امة اخرجت للناس) تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعتصم بحبل الله جميعا ولا تتفرق».. فلا تقولوا بعد اليوم هذا شيعي، وهذا سني، بل قولوا: هذا مسلم، فالشيعة والسنة فرقتهما السياسة وتجمعهما السياسة، اما الاسلام فلم يفرق ولم يمزق، الاسلام جمعهما بأشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله..»[1].

يقول الامام شرف الدين في رسالته الى المجمع العلمي العربي:

«وما ادري فيم يتجهم لنا بعض اهل المذاهب الاربعة فنتجهم لهم؟، اليس الله عز وجل وحده لا شريك له ربنا جميعا، والاسلام ديننا، والقرآن الحكيم كتابنا، وسيد النبيين محمد ابن عبد الله نبينا، وقوله وفعله وتقريره سنتنا، والكعبة مطافنا وقبلتنا، والصلوات الخمس وصيام الشهر والزكاة الواجبة وحج البيت فرائضنا، والحلال ما احله الله ورسوله، والحرام ما حرماه، والحق ما حققاه، والباطل ما ابطلاه، واولياء الله ورسوله اولياؤنا،

---

(١) هذه الفقرات مأخوذة من كتاب (الفصول المهمة في تأليف الامة) للامام شرف الدين.

واعداء الله ورسوله اعداؤنا، وان الساعة آتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور... أليس الشيعيون والسنيون شرعا في هذا كله سواء؟ (كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير»[١].

وفي جوابه على الاتهام الموجه للشيعة بانهم يرفضون خلافة الشيخين كواقع تاريخي:

«لا ينكر خلافة الشيخين ذو شعور، ولا يرتاب فيها ذو وجدان، وقد امتدت امارتهما من سنة ١١ ـ ٢٣، وفتحت بها الفتوحات، وضرب الدين بجرانه. على ان خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بانقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء، فاي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها؟. واي ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها؟ . فهلموا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة .. واي وجه لتكفير المسلمين بانكار سياسة خالية وخلافة ماضية ؟!، وقد اجمع اهل القبلة على انها ليست من اصول الدين، وتصافقوا على انها ليست مما بني الاسلام عليه»[٢].

الامام محمد حسين آل كاشف الغطاء

يعتبر البعض هذا الرجل الكبير رائد الوحدة الاسلامية، واكبر داعية لوعي هذه الامة، وتحررها، واستقلالها، واخائها، وذوبانها في مصهر الحب، والوداد، والتعاطف، والالفة الجامعة. وقد كانت تحركاته ونشاطاته وجهوده الجبارة في مضمار المسؤولية الكبرى التي احتملها على عاتقه، ووجد معها

(١) بقية الراغبين الصفحة ٤٤٧.

(٢) الفصول المهمة في تأليف الامة الصفحة ٢٠٧.

نفسه مسؤولا امام ربه وشريعته وضميره عن نجاة امة الاسلام مما هي فيه من تخلفها، وجهلها، وشتاتها، ووقوعها لذلك فريسة في ايدي المستكبرين، يسومونها سوء العذاب، يستعمرونها، ويستغلونها، ويمتهنون كرامتها، ويجعلون منها خولا ودولا، بعد ان كانت سيدة العالم ورائدة الأمم بعقيدتها وجهادها وتآزرها.

لقد كانت مساعيه التوحيدية الفذة، وكلماته ونداءاته نابعة من صميم الحرص والاشفاق، وروح التصميم القاطع على ان يعود لهذه الأمة مجدها المذال الذي كانت معه تمثل ارادة الله لها ان تكون خير امة اخرجت للناس، لانها حسب اختياره سبحانه لها ان تكون امة التوحيد والوحدة، وهما عنصران يفوق الوصف أداؤهما وعطاؤهما في مسيرة الشهادة على الامم، ووظيفة الريادة التي ارادها لامته امة الاسلام من الوحدة والألفة والشموخ في ذروة الصدق: صدق الانقياد، وصدق الاتحاد.

لقد كانت طريقة عمل هذا الرجل العامة تتمثل في:-

أ -الخوض في غمار السياسة التي يراها جزءً لا يتجزأ من عقيدته، ويرى الخوض فيها امراً لازماً لا بد منه ما دام الدين والسياسة عضوين لكيان واحد اسمه الرسالة الاسلامية، وما دامت السياسة هي الباب الذي يؤتى منه إلى تحقيق الهدف المنشود للعقيدة، وهو قيادة الأمة إلى عزتها وكرامتها وانتصارها.

وكان دوره السياسي الذي التزمه في زمانه هو حسب عبارته:

«الوعظ والارشاد، والنهي عن الفساد، والنصيحة للحاكمين ولعامة البلاد، والتحذير من الوقوع في حبائل الاستعمار والاستعباد، ووضع القيود

والاغلال عن البلاد والعباد»[1]. ويقول: **«أنا غارق فيها أي -السياسة- إلى هامتي، وهي من واجباتي، وأراني مسؤولاً عنها أمام الله والوجدان»**[2].

وكان يسعى قدر جهده ان يؤدي وظيفته السياسية هذه في كل المجالات المتاحة لا سيما الحركات الوطنية في العراق والعالم العربي والاسلامي، ومن هنا كانت مساهمته الباهرة في الحرب على الانكليز في عدوانهم على العراق، وكان يجاهرهم بآرائه ضدهم، وبيان حقيقة ما تكنه الامة لهم من العداء، لاعتقادها انهم مصدر الفساد والتخريب والتمزيق، وبهذه الحقيقة الدامغة كان محور كلامه مع السفير الانكليزي الذي زار النجف في الثاني من جمادي الاولى عام ١٣٧٣هـ حيث صرّح بجرأته المعهودة: **«ان ضياع فلسطين، وتشريد اهلها هما ام الجرائم التي ارتكبها البريطانيون بحق العالم الاسلامي»**[3].

وعلى هذا المنوال كان حواره مع السفير الامريكي، ذلك الحوار الذي لم يخل من عبارات نابية من قبيل قوله له: **«ان قلوبنا دامية منكم معاشر الامريكيين، لانكم طعنتمونا في الصميم طعنة نجلاء لا يمكن السكوت عنها، ان القلوب كلها ضدكم، وتقطر دماً من فظاعة ضربتكم التي قصمتم بها ظهر العرب»**[1].

وقد صفع هؤلاء الامريكان صفعة مذلة حين رفض الحضور في مؤتمر بحمدون الذي خططوا له وروجوا بواسطة **(جمعية اصدقاء الشرق**

---

(١) اصل الشيعة واصولها الصفحة - ١٢- الطبعة العربية القاهرة.

(٢) نفس المصدر السابق.

(٣) اصل الشيعة واصولها- الصفحة ١٤.

الاوسط) ليحضره لفيف من علماء الديانتين المسيحية والاسلامية لهدف ظاهرة تعميق القيم الروحية، اما واقع الدافع لهذا المؤتمر فهو محاربة الشيوعية التي ترى فيها امريكا عدوها اللدود حين ذاك. وقد اعلن كاشف الغطاء رفضه الحضور ببحثه القيم **(المثل العليا في الاسلام لا في بحمدون)**.

ب ـ محاربة نفوذ الاستعمار، والتركيز على ضرورة وعي الامة لاهداف المستعمرين وخططهم التمزيقية القائمة على اساس جعل العالم الاسلامي عبارة عن كانتونات متصارعة، وفئات متناحرة، لا تعتصم بحبل ربها، ولا تأوي إلى ركن شديد من الالفة والتآخي، ما دامت سياسة (فرق تسد) هي الوباء الذي يسري في اوصالها فيشلها، ويجعلها فريسة الضعف، والهوان، والتدهور، والتسليم لارادة المستعبدين واذنابهم. ومن اشهر عباراته في هذا الصدد قوله: «ان معظم النكبات والشرور التي حلت بالعالم الاسلامي هي من الاستعمار الغربي ومن امريكا بالذات»، وقوله: «الدول الاستعمارية تصنع معنا معاشر المسلمين ـ اذا اشتكينا اليهم يضربون بعضنا ببعض، ويلقون بأسنا بيننا، ثم يسلطون اليهود علينا...»[2].

ج ـ الدعوة الجدية الصادقة إلى وحدة الأمة، ولمّ شملها، وجمع صفوفها في اطار العقيدة والهم المشترك امام الهجوم الاستعماري الكاسح. وقد كانت كل نشاطاته، وسفراته إلى مختلف البلدان العربية والاسلامية، وحضوره في المؤتمرات الاسلامية، تنصب في هذا الهدف المقدس الكبير

(١) المصدر السابق .

(٢) أصل الشيعة وأصولها ـ الصفحة ١٤.

الذي نذر نفسه على الطريق اليه قربانا وفداءً لوحدة الامة وعودتها إلى سابق عزها في الفتها واخائها. وقد دوت صيحاته في هذا المجال في ارجاء الوطن العربي والاسلامي حيثما حل من ارض العروبة والاسلام، كالحجاز، القاهرة، فلسطين، لبنان، وباكستان، وكان يركز في كل خطاباته ونداءاته على الاخوة الاسلامية والاخوة العامة بين المسلمين وغيرهم. ومن كلماته الخالدة في هذين الصعيدين:-

الصعيد الاول:

الوحدة الاسلامية: (قد بني الاسلام على دعامتين: توحيد الكلمة، وكلمة التوحيد. توحيد الخالق، وتوحيد بين الخلائق).

(حرام وافظع من كل حرام ان يحارب المسلم اخاه المسلم من أي عنصر كان، ومن أي بلاد يكون)[١].

(ان العناصر المختلفة، والشعوب المتفرقة من: ايراني، او تركي، او هندي، او صيني، او غيره اذا دانوا بدين الاسلام، وحافظوا على لغة القرآن والحديث فهم اخواننا بجامعة الاسلام، بل بالوحدة القومية بمعناها الواسع. كما ان الواجب الاكيد على جميع المسلمين ان يلتفوا حول راية الاسلام، ويكونوا قلباً واحداً، ويداً واحدة، ولا يتركوا مجالاً للحزازات الطائفية والمذهبية في نفوسهم)[٢].

---

(١) الدين والاسلام ـ الصفحة ٢٥٦.

(٢) مجلة العرفان ـ السنة العاشرة ـ العدد ٥.

(تربط الامة الاسلامية ثلاث اواصر:ـ اله واحد، وكتاب واحد، وقبلة واحدة)[١].

واما على الصعيد الآخر (الاخوة العامة)، فيقول كاشف الغطاء:

(وحدة الايمان تدعو إلى وحدة اللسان، ووحدة اللسان واللغة رابطة، والرابطة اخاء، واخوة الادب فوق اخوة النسب، وهي التي توحد العناصر المختلفة والمذاهب المتغايرة، فالنصراني واليهودي والمجوسي والصابئي الذين يخدمون لغتنا وثقافتنا، يسالموننا، ويواسوننا في السراء والضراء، ولا يساعدون الاعداء علينا، ويحامون عن اوطاننا، هم اخوان المسلمين... وتجمعنا معهم الوحدة القومية، والقرآن الكريم ينادي ويشهد بذلك كما في قوله تعالى:ـ (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين)[٢].

ج ـ دعمه القوي لمشروع التقريب بين المذاهب الذي مشى خطوات قوية وموفقة في مصر بدفع القيادات العلمائية الواعية الحريصة على وحدة الامة الاسلامية، وتقاربها، وصفاء العلاقة بين مذاهبها واجتهاداتها التي يجب ان تكون عنصر قوة فكريّة وشرعية وثراء علمي وفقهي متين، لا سبباً من اسباب التدابر والصراع. وقد جسد الامام كاشف الغطاء موقفه من الرسالة التقريبية التي هي من اهم وظائف علماء الامة

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) نفس المصدر السابق.

المخلصين - بدخوله عضواً في جماعة التقريب، وبرسالته القيمة إلى الشيخ محمود شلتوت، والتي تضمنت حرصه الاكيد على وحدة الأمة، ودعمه لكل جهد مبارك على هذا المسار، موضحاً انه بذل عمره من اجل تحقيق هذا الهدف المقدس الكبير: «**فضيلة العالم الجليل الشيخ محمود شلتوت ايده الله: اطلعت على كلمة لكم في بعض الصحف، كان فيها لله رضا وللأمة صلاح، فحمدناه تعالى على ان جعل في هذه الامة وفي هذا العصر من يجمع شمل الأمة، ويوحد الكلمة، ويفهم حقيقة الدين، ويزيد الاسلام لاهله بركة وسلاماً، وما برحنا منذ خمسين عاما نسعى جهدنا في التقريب بين المذاهب الاسلامية، وندعو إلى وحدة اهل التوحيد**»[١].

د - الذي يطالع ما كتبه كاشف الغطاء في جميع المناحي العلمية والثقافية يجد الروح الوحدوية والنفس الاستيعابي لكل شرائح الأمة، ويلمس اجواء المودة الاسلامية وانفاس الشوق والحرص البالغين على تأليف القلوب تحت لواء الوحدة الاسلامية، وراية الاخاء الايماني. وحتى فريدته الرائعة كتاب (**اصل الشيعة واصولها**) ورغم انه كتاب يخص المذهب الذي ينتمي اليه، لكنه يتبدى لمن يتملى فيه روضة عابقة باريج التوجهات الوحدوية التي تركز على بيان هوية عضو من اعضاء الجسد الاسلامي (**مذهب أهل البيت**)، ورفع الحيف عنه ليكون في الساحة الاسلامية العامة شأنه شأن المذاهب الاخرى التي يكون الوئام بينها والاحترام لها داعياً من دواعي وحدة الأمة، وتآزرها، واحساسها انها كيان

---

(١) رسالة الاسلام - والسنة الاولى - العدد الثالث

واحد مهما اختلفت مذاهبه واجتهاداته ومراجعه الشرعية، ما دام الاطار واحداً، والاصول العامة واحدة، والاسس التي تقوم عليها المنظومة الاجتهادية مشتركة.

في ختام البحث حول الدور التوحيدي الرائد لدى الامام كاشف الغطاء لا يفوتنا ان نزين الحديث عن هذا المجال بمقاطع من بحثين شيقين له حول مشروعه لتوحيد المسلمين، واللذين جمع فيهما خلاصة افكاره، ورؤاه، واشواقه، ولوعته، وما يجيش به صدره من الهموم والآلام لحال المسلمين في تفككهم، واختلافهم، وهيمنة القوى الطامعة على إرادتهم ومقدراتهم:

البحث الاول بعنوان (**كيف يتحد المسلمون**) نشره في كتابه القيم (**اصل الشيعة واصولها**)، ومما جاء فيه: (لم يبق ذوحس وشعور في شرق الارض وغربها، إلا وقد احس وشعر ـ بضرورة الاتحاد والاتفاق، ومضرة الفرقة والاختلاف، حتى أصبح هذا الحس والشعور أمراً وجدانياً محسوساً يحس به كل فرد من المسلمين، كما يحس بعوارضه الشخصية من صحته وسقمه وجوعه وعطشه... .

صرخ المصلحون فسمع المسلمون كلهم عَظيم صرخاتهم بأن داء المسلمين تفرقهم وتضارب بعضهم ببعض، ودواؤهم الذي لا يصلح آخرهم إلا به، كما لم يصلح إلا عليه أولهم ـ ألا وهو الاتفاق والوحدة، ومؤازرة بعضهم لبعض، ونبذ التشاحن، وطرح بواعث البغضاء والإحن والأحقاد تحت أقدامهم، ولم يزل السعي لهذا المقصد السامي والغرض الشريف إلى اليوم دأب رجالات أنار الله بصائرهم، وشحذ عزائمهم، واشعل جذوة الاخلاص لصالح هذه الأمة من وراء شغاف افئدتهم، فما انفكوا

يدعون الى تلك الوحدة المقدسة (وحدة أبناء التوحيد) وانضمام جميع المسلمين تحت راية: (لا إله الا الله محمد رسول الله) من غير فرق بين عناصرهم ولا بين مذاهبهم....

نحن نحسب أننا إذا قلنا قد اتحدنا واتفقنا وملأنا بتلك الكلمات لهواتنا وأشداقنا، وشحنا بها صحفنا وأوراقنا ـ نحسب بهذا ومثله يحصل الغرض المهم من الاتحاد، ونكون كأمة من الأمم الحية التي نالت بوحدتها عزها وشرفها، وأخذت المستوى الذي يحق لها، ولذلك تجدنا لا نزداد إلا هبوطاً، ولا تنال مساعينا إلا اخفاقاً وحبوطاً، لا تجد لأقوالنا وأعمالنا أثراً، إلا اننا نأنس بها ساعة سماعنا لها، وما هي بعد ذلك إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ويستحيل لو بقي المسلمون على هذه الحال أن تقوم لهم قائمة، أو تجتمع لهم كلمة، أو تثبت لهم في المجتمع البشري دعامة ولو ملأوا الصحف والطوامير، وشحنوا أرجاء الأرض وآفاق السماء بألفاظ الاتحاد والوحدة، وكل ما يشتق منها ويرادفها، بل ولو صاغوا سبائك الخطب منها بأساليب البلاغة، ونظموا فيها عقود جواهر الابداع والبراعة، كل ذلك لا يجدي إذا لم يندفعو الى العمل الجدي والحركة الجوهرية ويحافظوا على اخلاقهم وملكاتهم، ويكبحوا جماح أهوائهم ونفوسهم بإرسال العقل والروية والحنكة والحكمة، فيجد كل مسلم أن مصلحة أخيه المسلم هي مصلحة نفسه، فيسعى لها كلما يسعى لمصالح ذاته، وذلك حيث ينزع الغل من صدره، والحقد من قلبه، وينظر كل من المسلمين إلى الآخر ـ مهما كان ـ نظر الاخاء لا نظر العداء، وبعين الرضا لا بعين السخط، وبلحاظ الرحمة لا الغضب والنقمة.

ذاك حيث يحس بوجدانه، ويجد بضرورة حسه، إن عزه بعز إخوانه، وقوته بقوة أعوانه، وإن كل واحد منهم عون للآخر... فهل يتقاعس عن تقوية عونه، وتعزيز عزه وصونه؟.

كلا ـ ثم إذا كان التخلق بهذا الخلق الشريف عسيراً لا ينال، وشأواً متعالياً لا يدرك، ولا يستطيع المسلم أن يواسي أخاه المسلم، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وأن يجد أن صلاحه بصلاح أمته، وعزه بعزة قومه، فلا أقل من التناصف والتعادل والمشاطرة والتوازن، فلا يجحد المسلم لأخيه حقاً، ولا يبخسه كيلا، ولا يطفف له وزناً، والأصل والملاك في كل ذلك ـ اقتلاع رذيلة الحرص، والجشع، والغلبة، والاستئثار، والحسد، والتنافس، فإن هذه الرذائل سلسلة شقاء، وحلقات بلاء، يتصل بعضها ببعض، ويجر بعضها إلى بعض، حتى ينتهي إلى هلاك الأمة التي تتغلغل فيها، ثم تهوي إلى أحط مهاوي الشقاء والتعاسة. والبذرة الأولى لكل من تلك الثمار الموبوءة هو حب الأثرة، وقد قيل: الاستئثار يوجب الحسد، والحسد يوجب البغضاء، والبغضاء توجب الاختلاف، والاختلاف يوجب الفرقة، والفرقة توجب الضعف، والضعف يوجب الذل، والذل يوجب زوال الدولة، وزوال النعمة، وهلاك الأمة... والتاريخ يحدثنا والعيان والوجدان يشهدان لنا شهادة حق إنه حيث تكون تلك السخائم والمآثم، فهناك فناء الأمم، وموت الهمم، وفشل العزائم، وتلاشي العناصر، هناك الاستعباد والاستعمار والهلكة والبوار، وتغلب الأجانب، وسيطرة العدو... ذاك يوم كان للمسلمين وحدة جامعة وأخوة صادقة، يوم كانوا متحدين بحقيقة الوحدة، وصحيح الأخاء، يوم كانت مصالح المسلمين مشتركة، ومنافعهم متبادلة، وعزائمهم متكافلة، ولا يجد المسلم من أخيه فيما يهمه إلا كل نصر، ومعونة، ورعاية وكفاية، ثم

دارت الدوائر، ودالت الأيام، والأيام دول، وأصبح المسلم لا يجد من أخيه القريب فضلا من البعيد إلا القطيعة بل الوقيعة، ولا يرتقب منه إلا المخاوف بل المتالف، ولا يحذر من عدوه الكافر أكثر من حذره من أخيه المسلم، فكيف يرجى وحال المسلمين هذه أن تقوم لهم قائمة، أو تشاد لهم دعامة.

وهيهات أن يسعدوا مالم يتحدوا، وهيهات أن يتحدوا مالم يتساعدوا، فيا أيها المسلمون لا تبلغون الاتحاد الذي بلغ آباؤكم ما بلغوا بتزويق الألفاظ، وتنميق العبارات، أو نشر الخطب والمقالات، وضجيج الصحف وعجيج الأقلام، ليس الاتحاد ألفاظاً فارغة، وأقوالاً بليغة، وحكما بالغة، بما بلغت من أوج البلاغة وشأو الفصاحة، ملاك الإتحاد حقيقة التوحيد هنا ـ صفاء نية، وإخلاص طوية، وأعمال جد ونشاط.

الاتحاد سجايا وصفات، واعمال وملكات، وأخلاق فاضلة، وحقائق راهنة، ونفوس متضامنة، وسجايا شريفة، وعواطف كريمة.

الإتحاد أن يتبادل المسلمون المنافع، ويشتركوا في الفوائد، ويأخذوا بموازين القسط، وقوانين العدل ونواميس النصف، فاذا كان في قطر من الأقطار كسوريا والعراق طائفتان من المسلمين أو أكثر فالواجب ان يفترضوا جميعاً أنفسهم كأخوين شقيقين قد ورثا من أبيهما ارثاً أو عقاراً فهم يقتسمونه عدلا، ويوزعونه قسطاً، ولا يستأثر فريق على آخر فيستبد عليه بحظه، ويشح عليه بحقه (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) فتكون المنافع عامة، والمصالح في الكل مشاعة، والأعمال على الجميع موزعة.

ليس معنى الوحدة في الأمة أن يهضم أحد الفريقين حقوق الآخر فيصمت، ويتغلب عليه فيسكت، ولا من العدل أن يقال للمهضوم إذا طالب بحق، أو دعا إلى عدل إنك مفرق أو مشاغب، بل ينظر الآخرون إلى

طلبه فان كان حقاً نصروه، وإن كان حيفاً أرشدوه وأقنعوه، وإلا جادلوه بالتي هي أحسن مجادلة الحميم لحميمه، والشقيق لشقيقه، لا بالشتائم والسباب، والمنابزة بالألقاب، فتحتدم نارالبغضاء بينهما حتى يكونا لها معاً حطباً، ويصبحا معاً للأجنبي لقمة سائغة، وغنيمة باردة. وقد عرف اليوم حتى الأبكم والأصم من المسلمين أن لكل قطر من الاقطار الإسلامية حوتاً من حيتان الغرب، وأفعى من أفاعي الاستعمار فاغراً فاه لالتهام ذلك القطر وما فيه، أفلا يكفي هذا جامعاً للمسلمين ومؤججا لنار الغيرة والحماس في عزائمهم؟ أفلا تكون شدة تلك الآلام وآلام تلك الشدة باعثة لهم على الإتحاد وأماتة ما بينهم من الاضغان والاحقاد؟ وقد قيل: (**عند الشدائد تذهب الاحقاد**) وكيف يطمع المسلم أن يكتسح أخاه أو يستعبده وهو شريكه في البلاد من أقدم العهود وأبعد الاجداد؟، افلا تسوقهم المحن والمصائب التي انصبت عليهم صب الصواعق من الأجانب إلى إقامة موازين العدل والتناصف فيما بينهم، ويحتفظ أهل كل قطر على التعادل الانتفاعي، والتوازن الاجتماعي؟....

فلينظر عقلاء الفريقين إلى أين ينتهي حال المسلمين من هذه الهوة السحيقة؟. وما الثمرة والفائدة من كل ذلك؟ وما ذنب الشيعة سوى موالاة أهل بيت نبيهم ﷺ.

ولكن مع كل ذلك لا يأس من روح الله ورحمته، ولا قنوط من خفي ألطافه بدينه وشريعته، فعسى أن يرشد الله الغيارى على الاسلام من عقلاء الفريقين فيضربوا على الأيدي التي تنشر تلك النشرات الخبيثة منا ومنهم - تلك النشرات التي هي السم المزهق لروح الاسلام، وهذا البصيص من الأمل هو الذي دعانا إلى الاذن في إعادة طبع هذه الرسالة ثانياً، ونشر ما يضاهيها من إرشاداتنا وتعاليمنا في الحث على قيام كل مسلم بهذه الفريضة اللازمة

والقضية الضرورية، كل بحسبه ومقدار وسعه إلا وهي إعادة صميم الأخاء والوحدة بين عموم فرق المسلمين. وأول شرط ذلك سد باب المجادلات المذهبية وإغلاقها تماما، فإن أراد أحد التنويه عن مذهبه فعلى شرط أن لا يمس مذهب غيره بسوء ولا غميزة.

والشرط الثاني بل هو الأول في الأهمية -ان يعقد المسلم قلبه على الاخاء الصحيح لأخيه المسلم، وأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويبرأ من كل حقد وحسد عليه جداً وحقيقة لا لقلقة في القول، ومخادعة في اللسان، ومنافسة على المصالح الفردية والمنافع الذاتية كما هي الحال السائدة اليوم عند الجميع.....

ينسى الكل أو يتناسى عدوهم الصميم الذي هو لهم بالمرصاد، والذي يريد سحق الكل ومحو الجميع، ويبث بذور الشقاق بينهم ليضرب بعضهم ببعض، وينصب أشراك المكر ليصد الجميع، ولا يسلم المسلمون من هذه الأشراك المبثوثة لهم في كل سبيل حتى يتحدوا عملا لا قولا، وجداً لا هزلا، وأقرب وسيلة إلى تنمية تلك البذرة وتلك الفكرة فكرة الاتحاد الجدي -هو عقد المؤتمرات في كل عام أو عامين يجتمع فيها عقلاء المسلمين وعلماؤهم من الأقطار النائية ليتعارفوا أولا، ويتداولوا في شؤون الاسلام ثانيا، بل وأوجب من هذا عقد المؤتمرات والمعاهدات بين ملوك المسلمين **(لو كان للمسلمين ملوك حقاً)** فيكونون يداً واحدة بل كيدين لجسد واحد يدفعان عنه الأخطار المحدقة به من كل جانب، وقد أملت عليهم الحوادث بعد الحرب العامة دروساً بليغة وعبراً محسوسة لو كانوا يعتبرون.....

حرره منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٥٥

محمد الحسين آل كاشف الغطاء).

البحث الثاني بعنوان (بيان للمسلمين)

وهو عبارة عن كلمة له‌رحمه الله نشرتها مجلة رسالة الاسلام التابعة لدار التقريب، ومما جاء فيها: «المسلمون بعد اتفاقهم كلمة واحدة على أن القرآن العزيز وحي من الله عز وجل، وأن العمل به واجب، ومنكر كونه وحياً كافر، والقرآن صريح في لزوم الاتفاق والإخاء والنهي عن التفرق والعداء، وقد جعل المسلمين إخوة فقال عز شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ إلى كثير من أمثالها، فبعد اتفاقهم على وجوب الأخذ بنصوص الكتاب الكريم فاي عذر لهم في هذا التباعد والتباغض والعداء والبغضاء؟، وكفى بالقرآن جامعاً لهم مهما بلغ الخلاف بينهم في غيره، فان رابطة القرآن تجمعهم في كثير من الأصول والفروع، تجمعهم في أشد الروابط من التوحيد والنبوة والقبلة وأمثالها من الاركان والدعائم. واختلاف الرأي فيما يستنبط او يفهم من القرآن في بعض النواحي، اختلاف اجتهادي لا يوجب التباغض والتعادي.

نعم أعظم فرق جوهري، بل لعله الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنة والشيعة هو قضية الامامة، حيث وقع الفرقتان منها غلى طرفي الخط، فالشيعة ترى ان الامامة اصل من اصول الدين، وهي رديفة التوحيد والنبوة، وانها منوطة بالنص من الله ورسوله، وليس للامة فيها من الرأي والاختيار شيء، كما لا اختيار لهم في النبوة بخلاف إخواننا من أهل السنة، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين، ومختلفون بين قائل بوجوب نصب الامام على الرعية بالاجماع ونحوه، وبين قائل بانها قضية سياسية ليست من الدين في شيء لا من أصوله ولا من فروعه، ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين

الفريقين في هذه القضية، هل تجد الشيعة تقول إن من لا يقول بالامامة غير مسلم (**كلا ومعاذ الله**) أو تجد السنة تقول ان القائل بالامامة خارج عن الاسلام ـ لا وكلا ـ اذن فالقول بالامامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الاسلامية واحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله، ووجوب اخوته، وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته، إلى كثير من امثال ذلك من حقوق المسلم على أخيه.

نعم ونريد ان نكون أشد صراحة من ذلك، ولا نبقي ما لعله يعتلج او يختلج في نفس القراء الكرام. فنقول: لعل قائلا يقول ان سبب العداء بين الطائفتين ان الشيعة ترى جواز المس من كرامة الخلفاء او الطعن فيهم، وقد يتجاوز البعض إلى السب والقدح مما يسيء الفريق الآخر طبعاً، ويهيج عواطفهم، فيشتد العداء والخصومة بينهم.

والجواب ان هذا لو تبصرنا قليلا ورجعنا إلى حكم العقل بل والشرع ايضاً لم نجده مقتضياً للعداء ايضا:

أما (**أولا**): فليس هذا من رأي جميع الشيعة وإنما هو رأي فردي من بعضهم وربما لا يوافق عليه الأكثر. كيف وفي أخبار أئمة الشيعة النهي عن ذلك فلا يصح معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرفين منهم.

ثانياً: ان هذا على فرضه لا يكون موجبا للكفر والخروج عن الاسلام بل اقصى ما هناك ان يكون معصية، وما أكثر العصاة في الطائفتين. ومعصية المسلم لا تستوجب قطع رابطة الأخوة الإسلامية معه قطعا.

ثالثاً: قد لا يدخل هذا في المعصية أيضاً ولا يوجب فسقا إذا كان ناشئاً عن اجتهاد واعتقاد، وإن كان خطأ، فان من المتسالم عليه عند الجميع في باب الاجتهاد أن للمخطئ أجراً وللمصيب أجرين. وقد صحح علماء السنة الحروب التي وقعت بين الصحابة في الصدر الأول كحرب الجمل

وصفين وغيرهما، بأن طلحة والزبير ومعاوية اجتهدوا، وهم وإن أخطأوا في اجتهادهم، ولكن لا يقدح ذلك في عدالتهم وعظيم مكانتهم. وإذا كان الاجتهاد يبرر ولا يستنكر قتل آلاف النفوس من المسلمين وإراقة دمائهم، فبالاولى أن يبرر ولايستنكر معه ـ أي مع الاجتهاد ـ تجاوز بعض المتطرفين على تلك المقامات المحترمة.

والغرض من كل هذا أننا مهما تعمقنا في البحث ومشينا على ضوء الأدلة عقلية أو شرعية، وتجردنا من الهوى والهوس والعصبيات، فلا نجد أي سبب مبرر للعداء والتضارب بين طوائف المسلمين مهما اتسعت شقة الخلاف بينهم في كثير من المسائل.

هذا كله بالنظر إلى القضية من حيث ذاتها مجردة عن كل الملابسات، فكيف إذا نظرنا اليها من حيث ما جرّه هذا الخلاف والعداء من الويلات والبليات على المسلمين، وما ضاع على أثره من الممالك الإسلامية الكبرى كالاندلس والقوقاز وبخارى ونحوها، ولو أن المسلمين كانوا في تلك الظروف يداً واحدة كما امرهم الله، لما انتزع من الإسلام شبر واحد.

وإذا لم يكفنا عبرة ما سجله التاريخ من تلك الفجائع فليكفنا ما رأيناه بأعيننا من رزية المسلمين بفلسطين...)[1].

الامام البروجردي

لقد كان هذا العملاق الحوزوي الرائد بديعةً من بدائع العطاء الفذ لخط الامامة، وقد كانت توجهاته الكبيرة وهمومه الشامخة المقدسة على طريق الخدمة الاسلامية العامة الشاملة تهدف في الاساس توحيد شمل الامة من خلال توحيد كلمة روادها ورموزها وقادتها وآثارها المباركة على واقع الساحة الاسلامية في انطلاقة وحدوية مباركة آتت أكلها في:ـ

---

(١) رسالة الاسلام ـ العدد ٧ ـ والصفحة ٢٦٨.

أولاً:ـ بذل المساعي الجدية مع مشيخة الازهر في مصر منذ سنة ١٩٣٧ لردم الهوة بين المذاهب الاسلامية، والقيام بالمبادرات الصادقة من اجل ايجاد الاخاء والالفة بينها تمهيداً لقيام الوحدة الجامعة التي هي مطلب كل عالم ورائد اسلامي صادق مع ربه ورسالته وامته وضميره. وقد اثمرت هذه الجهود المباركة قيام جماعة التقريب الخالدة، التي كان لها الاثر الكبير في ايجاد دار التقريب في مصر، واصدار شيخ الازهر في حينها فتوى بجواز التعبد بالمذهب الجعفري كمذهب خامس حاله حال المذاهب الإسلامية الأخرى، وقد استتبع ذلك الموقف التاريخي مواقف جمة على صعيد المبادرات والانجازات التوحيدية الباهرة التي ساهمت في تأليف قلوب المسلمين، وتقريب صفوفهم، ورفع الجفاء بينهم، وتغيير الصورة المشوهة التي أوجدتها قوى الكفر والكيد والتطرف في نفوس بعضهم ضد البعض الآخر.

لقد كان مكان وجود دار التقريب هو القاهرة، وكانت اهدافها الاساسية:ـ

أ ـ السعي الجدي لايجاد الوحدة بين المذاهب الاسلامية المختلفة.

ب ـ نشر مفاهيم وعقائد الاسلام إلى العالم بلغات مختلفة.

ج ـ السعي لرفع التجاذبات والنزاعات الكلامية بين الطائفتين الاساسيتين في الامة (الشيعة والسنة).

وقد ضمت جماعة التقريب شخصيات ورموزاً تمثل كافة التوجهات المذهبية في الساحة الاسلامية، ومنها:ـ

١ـ الشيخ محمد تقي القمي من المذهب الامامي.

٢ـ الشيخ محمود شلتوت عضو هيئة كبار العلماء من المذهب الحنفي.

٣ـ الاستاذ حسن البنا.

٤ـ الشيخ عبد المجيد سليم رئيس هيئة الافتاء في جامعة الازهر.

٥ـ الشيخ امين الحسيني مفتي فلسطين.

٦ـ الشيخ محمد عبد اللطيف رئيس ادارة الازهر.

٧ـ الشيخ محمد عبد الفتاح العناني عضو هيئة كبار العلماء، ورئيس المذهب المالكي.

٨ ـ الشيخ عيسى منون ـ عضو هيئة كبار العلماء ورئيس جامعة الشريعة من علماء الشافعية.

٩ـ الشيخ علي الخفيف استاذ الفقه في جامعة الملك فؤاد.

١٠ـ الشيخ علي بن اسماعيل المؤيد ممثل الشيعة الزيدية في اليمن.

١١ـ الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي (استاذ في الازهر من المذهب الحنبلي).

١٢ـ الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء من علماء النجف.

١٣ـ العلامة هبة الدين الشهرستاني من علماء الكاظمية.

١٤ـ السيد شرف الدين، من علماء سوريا ولبنان.

وقد تحدث فأجاد الشيخ محمود شلتوت عن هذه الجماعة ودورها، وهدفها، وحماتها، وانجازاتها، وفيما يلي نص كلامه: **«أحسنت دار التقريب صنعاً، اذ فكرت في اصدار كتاب تسجل فيه قصة هذه الفكرة الاسلامية، وتذكر اطوارها وتاريخها، وما صادفها من تأييد المؤيدين، او معارضة المعارضين، حتى أصبحت من الحقائق العلمية الثابتة في تأريخ الفكر الاسلامي، وسرى بها روح من الاصلاح والمحبة والاخوة بين المؤمنين،**

تحقيقاً لقول الله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

ولقد كنت أود لو استطيع ان اكتب هذه القصة بنفسي لاسجل فيها الواناً من المشاعر والافكار التي مرت بي في فترات مختلفة من العصر الذي عشته في جوها، والذي عاصرت فيه أخوة اعزاء، احببتهم واحبوني في الله، وناظرتهم وناظروني بحثاً عن الحقيقة، والتماساً لآفاق من العلم الديني من واجب المؤمنين ان يلتمسوها، وان يردوا لأهليهم أوديتها.

كنت اود لو استطيع ذلك بنفسي لأسجل لمحات كنت المحها في فكرة تعرض، او رأي ينفذ، او اجتماع يعقد، او بحث ينشر، او رسالة ترد، او وفد يفد... فان دعوة التقريب هي دعوة التوحيد والوحدة، وهي دعوة الاسلام والسلام، وان أسلوبها الذي تنتهجه لهو الاسلوب الحكيم الذي امر الله به رسوله الكريم اذ يقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

واذا اتجهت العقول إلى البحث في اخلاص وتضامن، لا هم لها الا ابتغاء الحق، لمعت امامها الاضواء، وسرت اليها اشعة الهداية الربانية وكان لها قبسات، وكان لها لمحات، واني لارجح ان قوله تعالى: (واتقوا الله ويعلمكم الله) يشمل الامر بالتجرد عن كل هوى من شانه ان يخل بتقوى الله حين يتجه المرء إلى محراب العلم ملتمساً ان يفيض الله عليه من نفحاته.

ان المتقي لله في مقام ابتغاء العلم هو ذلك الذي لا تأخذه عصبية، ولا تسيطر عليه مذهبية، ولا ينظر يميناً أو شمالاً دون قصده.

كنت أود لو استطيع ذلك بنفسي لاصور فكرة الحرية المذهبية الصحيحة المستقيمة على نهج الاسلام، والتي كان عليها الائمة الاعلام في تاريخنا الفقهي، اؤلئك الذين كانوا يترفعون عن العصبية الضيقة، ويربأون بدين الله وشريعته عن الجمود والخمول، فلا يزعم احدهم أنه اتى بالحق الذي لا مرية فيه، وان على سائر الناس ان يتبعوه، ولكن يقول كما كان يقول الائمة الاولون: «هذا مذهبي وما وصل اليه جهدي وعلمي، ولست ابيح لاحد تقليدي واتباعي دون ان ينظر ويعلم من أين قلت ما قلت، فان الدليل اذا استقام فهو عمدتي، والحديث اذا صح فهو مذهبي».

وكنت أود لو كتب قصة التقريب أحد غير أخي الامام المصلح محمد تقي القمي، ليستطيع أن يتحدث عن ذلك العالم المجاهد الذي لا يتحدث عن نفسه، ولا عما لاقاه في سبيل دعوته، وهو أول من دعا إلى هذه الدعوة، وهاجر من أجلها إلى هذا البلد بلد الازهر الشريف... فعاش معها والى جوارها منذ غرسها بذرة مرجوة على بركة الله، وظل يتعهدها بالسقي والرعاية بما آتاه الله من عبقرية واخلاص، وعلم غزير، وشخصية قوية، وصبر على الغِيَر، وثبات على صروف الدهر، حتى رآها شجرة سامقة الاصول، باسقة الفروع، تؤتي اكلها كل حين باذن ربها، ويستظل بظلها أئمة وعلماء ومفكرون في هذا البلد وفي غيره، ولكني اعود فأقول:

من هو أدرى بالدعوة وظروفها من داعيها الاول؟...

لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم، وأسهمت منذ أول يوم في جماعتها، وفي وجوه نشاط دارها بأمور كثيرة، كان منها تلك الفصول المتتابعة في تفسير القرآن الكريم التي ظلت تنشرها مجلتها (رسالة الاسلام) قرابة اربعة عشر عاماً حتى اكتملت كتاباً سوياً اعتقد أنه تضمن أعز

أفكاري، وأخلد آثاري، وأعظم ما ارجو به ثواب ربي، فان خير ما يحتسبه المؤمن عند الله، هو ما ينفقه من الجهد الخالص في خدمة كتاب الله.

ولقد تهيأ لي بهذه الأوجه من النشاط العلمي أن أطل على العالم الاسلامي من نافذة مشرفة عالية، وان أعرف كثيراً من الحقائق التي كانت تحول بين المسلمين واجتماع الكلمة وائتلاف القلوب على أخوة الاسلام، وان اتعرف إلى كثير من ذوي الفكر والعلم في العالم الاسلامي، ثم تهيأ لي بعد ذلك، وقد عهد الي بمنصب مشيخة الازهر أن اصدرت فتواي في جواز التعبد على المذاهب الاسلامية الثابتة المعروفة المصادر، المتبعة لسبيل المؤمنين، ومنها مذهب الشيعة الامامية (الاثنا عشرية) وهي تلك الفتوى المسجلة بتوقيعنا في دار التقريب التي وزعت صورتها الزنكغرافية بمعرفتنا، والتي كان لها ذلك الصدى البعيد في مختلف بلاد الامة الاسلامية، وقرت بها عيون المؤمنين المخلصين الذي لا هدف لهم الا الحق والالفة ومصلحة الامة، وظلت تتوارد علي الاسئلة والمشاورات والمجادلات في شأنها وانا مؤمن بصحتها، ثابت على فكرتها، أؤيدها في الحين بعد الحين، فيما ابعث به من رسائل للمستوضحين، أو أرد به على شبه المعترضين، وفيما أنشئ من مقال ينشر، أو حديث يذاع، أو بيان أدعو به إلى الوحدة والتماسك والالتفاف حول اصول الاسلام، ونسيان الضغائن والاحقاد، حتى اصبحت والحمد لله حقيقة مقررة، تجري بين المسلمين مجرى القضايا المسلمة بعد ان كان المرجفون في مختلف عهود الضعف الفكري، والخلاف الطائفي، والنزاع السياسي يثيرون في موضوعها الشكوك والاوهام بالباطل.

وها هو ذا الازهر الشريف ينزل على حكم هذا المبدأ (التقريب بين أرباب المذاهب المختلفة)، فيقرر دراسة فقه المذاهب الاسلامية، سنيها

وشيعيها دراسة تعتمد على الدليل والبرهان، وتخلو من التعصب لفلان أو فلان، كما أنه اهتم في تكوين مجمع البحوث الاسلامية بان يكون اعضاؤه ممثلين لمختلف المذاهب الاسلامية،

وبهذا تكون الفكرة التي آمنا بها، وعملنا جاهدين في سبيلها قد تركزت الان، واصبحت رسالة الدار محل التقدير والتنفيذ.

وكنت أود لو استطيع ان اتحدث عن الاجتماعات في دار التقريب حيث يجلس المصري إلى الايراني، او اللبناني، او العراقي، او الباكستاني، او غير هؤلاء من مختلف الشعوب الاسلامية، وحيث يجلس الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي بجانب الامامي والزيدي حول مائدة واحدة تدوي بأصوات فيها علم، وفيها أدب، وفيها تصوف، وفيها فقه، وفيها مع ذلك كله روح الاخوة، وذوق المودة والمحبة، وزمالة العلم والعرفان.

وكنت اود لو استطيع ان ابرز صورة كصورة الرجل السمح الزكي القلب، العف اللسان، رجل العلم والخلق المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ مصطفى عبد الرزاق، أو صورة كصورة الرجل المؤمن القوي الضليع في مختلف علوم الاسلام، المحيط بمذاهب الفقه اصولاً وفروعاً الذي كان يمثل الطود الشامخ في ثباته، والذي افاد منه التقريب في فترة ترسيخ مبادئه أكبر الفائدة المغفور له أستاذها الاكبر الشيخ عبد المجيد سليم رضي الله عنه وأرضاه، أو صورة كصورة ذلك الرجل الذي حنكته التجارب واحتضنته محافل العلم والرأي المغفور له الاستاذ محمد على علوبة، جزاه الله عن جهاده وسعيه خير الجزاء.

ولعلي ايضاً كنت استطيع ان أتحدث عن صور لكثيرين ممن وهبوا أنفسهم لهذه الدعوة الاسلامية ووقفوا عليها جهودهم، وآمنوا بالتقريب

سبيلاً إلى دعم قوة المسلمين وابراز محاسن الاسلام، وغير هؤلاء كثيرون ممن سبقونا إلى لقاء الله من أئمة الفكر في شتى البلاد الاسلامية الذين انضموا إلى التقريب، وبذلوا جهودهم لنشر مبادئه، وساجلناهم علماً بعلم ورأياً براي، وتبادلنا واياهم كثيراً من الرسائل والمشروعات والمقترحات، وفي مقدمتهم المغفور له الامام الاكبر الحاج حسين البروجردي احسن الله في الجنة مثواه، أو المغفور لهما الامامان الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي رحمهما الله.

لقد تلقى أولئك الاعلام دعوة التقريب في أول نشأتها، ففتحوا لها قلوبهم وعقولهم، واصفوها أكرم جهودهم حتى ذهبوا إلى ربهم راضين مرضيين، وان لهم لتأريخاً يذكر، وفضلاً يجب ان يسجل ويؤثر، وغير هؤلاء كثير، ولسنا بصدد العد والاحصاء.

ولقد ذهب هؤلاء إلى ربهم راضين مرضيين، وان لنا لاخوة آمنوا بالفكرة، ولا يزالون يعملون في سبيل دعمها، وهم ائمة الاسلام وأعلام الفكر في شتى الاقطار الاسلامية، اطال الله اعمارهم، وسدد في سبيل الحق خطاهم: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1].

واذا كان هذا جانباً من جوانب التأييد والتلاقي حول فكرة التقريب، فان جانباً آخر من الحرب والمعارضة قابل هذه الدعوة، وحاول ان يصد عنها، شأن كل دعوة اصلاحية حين يتصدى لها الذين لم يألفوها، فلقيت

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

بذلك دعوة التقريب نصيباً كبيراً من المعارضة لها، والهجوم عليها بقدر اهميتها وعظم هدفها، وكان هذا النصيب متعدد الاشكال والانواع.

كان الجو السائد عند بدء الدعوة مليئاً بالطعون والتهم، مشحوناً بالافتراءات وأسباب القطيعة وسوء الظن من كل فريق بالاخر، حتى عد تكوين الجماعة بأعضائها من المذاهب المختلفة، السنية الاربعة، والامامية والزيدية، نصراً مبيناً أهاج نفوس الحاقدين، وهوجمت الدعوة لا من فريق واحد بل من المعتصبين أو المتزمتين من كلا الفريقين، السني الذي يرى ان التقريب يريد ان يجعل من السنيين شيعة، والشيعي الذي يرى اننا نريد ان نجعل منهم سنيين، هؤلاء وغيرهم اساؤا فهم رسالة التقريب فقالوا: انها تريد الغاء المذاهب، أو ادماج بعضها في بعض.

حارب هذه الفكرة ضيقو الافق، كما حاربها صنف آخر من ذوي الاغراض الخاصة السيئة، ولا تخلوا اية امة من هذا الصنف من الناس، حاربها الذين يجدون في التفرق ضماناً لبقائهم وعيشهم، وحاربها ذوو النفوس المريضة واصحاب الاهواء والنزعات الخاصة، هؤلاء واولئك ممن يؤجرون اقلامهم لسياسات مفرقة لها أساليبها المباشرة وغير المباشرة في مقاومة أية حركة اصلاحية، والوقوف في سبيل كل عمل يضم شمل المسلمين ويجمع كلمتهم.

كانوا يهاجمون الفكرة كل على طريقته، ويسممون الجو بقدر استطاعتهم بغية القضاء على تلك الدعوة الواضحة المبادئ والاركان، والقائمة على العلم والدراسة والبحث، الداعية إلى فتح المجال امام الدليل من أي افق طلع....

كنت أود لو استطيع ان أبرز هذه النواحي كلها في قصة التقريب، اكتبها بنفسي، واتتبع تفاصيلها كما لابستها وعشت ظروفها، ثم أتتبع مجلة (رسالة الاسلام) التي أدت أمانتها، واحسنت سفارتها، وكانت معرضاً لاراء العلماء من كل فريق، يمدونها بالبحوث، وينظرها كل منهم حريصاً عليها، فتزدان بها مكتبة الشيعي كما تزدان بها مكتبة السني، وينهل من معارفها الغربي كما ينهل من معارفها الشرقي، ولكن حسبي ان اكتب هذه المقدمة مشيراً بها إلى بعض جوانب هذه القصة.

وانا لنحمد الله سبحانه ان اصبحت فكرة التقريب نقطة تحول في تاريخ الفكر الاصلاحي الاسلامي قديمه وحديثه، وانها اثرت تاثيراً بعيد المدى، وانه ليحق للمسلمين ان يفخروا بأنهم كانوا اسبق من غيرهم تفكيراً وعملاً في تقريب مذاهبهم وجمع كلمتهم، وقد نجحوا في ذلك بفضل اخلاق القائمين على أمر هذه الدعوة، وسلامة تفكير المسلمين.

وان لنسأل الله تعالى دوام النجح لهذه الدعوة حتى يعود للاسلام مجده وللمسلمين عزهم، ويتحقق فيهم وصف الله عزوجل.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

﴿قُلْ هذه سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾.

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْيِيكُمْ﴾[1][2].

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

(٢) مقالات دار التقريب الصفحة ٤٣٩.

وكان مما ذكره العلامة الشيخ محمد تقي القمي رئيس دار التقريب باشراف وتوجيهات الامام البروجردي ـ وهو يتحدث عن أهمية ابداع هذا المشروع الاسلامي المبارك الكبير (جماعة التقريب):

(توجد في التاريخ لحظات زمانية مباركة وخالدة، وان لحظة ايجاد جماعة التقريب هي احدى تلكم اللحظات، وان التاريخ يخلد اشخاصاً معدودين، وان اعضاء جماعة التقريب هم من أولئك الاشخاص الخالدين لانهم ارادوا ان يوجدوا تحولاً تاريخياً يتمثل في تجديد عظمة الاسلام من خلال رفع الخلافات بين المسلمين، وايجاد روح الوحدة والاخاء بينهم، ليخرجوهم من هذا الوضع البائس الذميم الذي يعيشون فيه، مأساة التخندق والاحتراب والحساسيات المذهبية ـ وهو ما أدى إلى جعل الاسلام والمسلمين على حال سيئة تثير الحزن واللوعة.

ان هذه الجماعة تتحمل مسؤولية خطيرة وحساسة جداً، وسوف تواجهها لاداء هذه المسؤولية مشاكل كبيرة جداً، وان عيون المسلمين مشدودة إلى هذه الجماعة، وهم يأملون ان يستفيدوا من عطاءاتها الكريمة الهادفة إلى اشاعة روح المحبة والتفاهم بين اخوة في الاسلام يؤمنون برب واحد، ونبي واحد، وقبلة واحدة، ويؤدون فريضة واحدة)[1].

وقد تحدث الشيخ شلتوت في رسالته إلى الامام البروجردي مشيداً بدوره في مشروع التقريب ـ وبدور الشيخ محمد تقي القمي ومعاناته على هذا الطريق:

---

(١) نفس المصدر السابق ـ الصفحة ١٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد صاحب السماحة الاخ الجليل الامام البروجردي

سلام الله عليكم ورحمته

اما بعد:

فأني أبدأ بالسؤال عن صحة السيد الاخ الجليل الغالية، والدعاء بأن يكون سماحته دائماً مصدر بركات للمسلمين ووحدة كلمتهم، أطال الله عمره، وأعز بالصالحات نصره.

وانتهز الفرصة السانحة بسفر سماحة اخي العلامة الجليل الاستاذ القمي ايده الله في جهاده المشكور، لأكتب إلى سماحتكم مقدراً جهودكم، سائلاً الله جلت قدرته أن يحقق ما ترجونه من الخير للمسلمين، وأن يوفق مساعيكم الراشدة في سبيل جمع كلمتهم، وتأليف قلوبهم، وأبشركم بأن خطواتنا في سبيل التقريب، تلك الخطوات التي أعرف انكم تؤيدونها كل التأييد، وتولونها أعظم العناية والاهتمام، تسير سيراً موفقاً، بتيسير من الله تعالى، وبصالح دعواتكم.

وان النخبة المصطفاة من رجالنا في الازهر واخواننا الذين جاهدوا في التقريب حق الجهاد يعاونوننا عن ايمان صادق، ويقومون بما يجب عليهم لدينهم وللرسالة الانسانية الرفيعة التي اعتنقوها.

وإني لأرجو أن يعود السيد الأخ الاعز سماحة الاستاذ القمي الينا باسرع وقت لنسعد بأخباركم السارة ان شاء الله، ولنتعرف إلى آرائكم السديدة في تحقيق امانينا المشتركة، وقد اوضحت لسماحته كثيراً من الامور، ورجوت منه ان يبلغكم تفاصيلها.

والله المسؤول أن يجمع بيننا في رضاه، وان يديم ربط قلوبنا للعمل في سبيله. انه سميع الدعاء، لطيف لما يشاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

شيخ جامع الازهر

شيخ محمود شلتوت

٢٤ من ذي القعدة ١٣٧٩هـ

١٩ من مايو ١٩٦٠م[١]

(١) دعوة التقريب ـ وزارة الاقاف المصرية ـ الصفحة ١٩٨.

ثانياً: اصدار الفتوى التاريخية من قبل مشيخة الازهر باعتبار المذهب الجعفري الاثني عشري ـ مذهباً رسمياً يمكن للمسلمين ان يتعبدوا به ربهم مثل بقية المذاهب الاربعة الاخرى، وفيما يلي نص الفتوى:ـ

فتوى الشيخ محمود شلتوت

مكتب شيخ الجامع الازهر

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الفتوى التي اصدرها السيد صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر في شأن جواز التعبد بمذهب الشيعة الامامية

قيل لفضيلته: «ان بعض الناس يرى أنه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلد أحد المذاهب الأربعة المعروفة وليس من بينها مذهب الشيعة الامامية ولا الشيعة الزيدية، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على اطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مثلا.

فاجاب فضيلته:

١ـ إن الاسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتباع مذهب معين بل نقول: إن لكل مسلم الحق في ان يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلا صحيحاً، والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة، ولمن قلد مذهباً من هذه المذاهب ان ينتقل إلى غيره ـ أي مذهب كان ـ ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢ـ إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الامامية الاثنا عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعا كسائر مذاهب أهل السنة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكل مجتهدون مقبولون عند الله تعالى يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات[١].

محمود شلتوت

---

(١) دعوة التقريب ـ وزارة الاوقاف المصرية ـ ص ٢٢٥.

ثالثاً: الزيارة التاريخية لمشيخة الازهر إلى ايران عام ١٣٠٥هـ ولقاؤهم بعلماء الشيعة في طهران، وما جرى في ذلك اللقاء من الحوار الصريح، والتفاهم الجدي، والتوجه القاطع لإيصال مسيرة التقارب ورسالة جماعة التقريب إلى اهدافها المنشودة.

رابعاً: قيام دار التقريب ولهدف تعريف العالم الاسلامي بالفكر الامامي واصوله وتفصيلاته بنشر كتب كثيرة في هذا المجال اشتملت على محاور الفقه والحديث والتفسير.

خامساً: قيام الشيخ محمود شلتوت باصدار امره إلى جامعة الازهر بتدريس الفقه المقارن (السني والشيعي)، على ان يكون الحكم الذي يتمتع بالدليل الاقوى هو المأخوذ به في ساحة التطبيق العملي.

سادساً: المساهمة الجدية في ايجاد المؤتمرات الاسلامية الهادفة إلى تعميق روح الوحدة بين المسلمين، والمشاركة الفاعلة فيها من اجل مساعدتها على تحقيق غايتها المنشودة.

العجيب في امر الامام البروجردي مع قضية التقريب انها كانت حاضرة معه حتى وهو يوشك ان يغادر الدنيا، حيث اصابته سكتة ادخلته في اغماءة طويلة، وحين أفاق منها كان اول ما نطق به قوله: **«التقريب مشروع مهم، وكنت اود ان اكتب رسالة للشيخ شلتوت حول تفعيل هذا الامر المهم»**[1].

ومما يؤكد دور الامام البروجردي الفاعل في ايجاد جماعة التقريب وما نجم عنها هو النعي الذي اصدرته جماعة التقريب بمناسبة رحيله إلى

(١) ملف التقريب ـ محمد على اذرشب ـ الصفحة ١٣٥.

ربه، وهو بحق شهادة صادقة لدور هذه الشخصية الفذة في بناء كيان الوحدة الاسلامية، وتأسيس جماعة التقريب، وانها كانت وراء نشاطات الشيخ القمي في مصر لتأسيس ذلك المشروع الكبير...

ومما جاء في النعي المذكور:

«إنه ليعز على جماعة التقريب في مركزها العام بالقاهرة، وفي مختلف مراكزها في العالم، وعلى أسرة (رسالة الاسلام) ان تنعى إلى كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها، بل إلى كل عامل على توطيد دعائم السلام في هذا العالم الذي ينوء تحت اعباء جسام يثقله بها مثيرو الحقد والنزاع والخصومات في مختلف الشعوب والأمم السيد حسين الطباطبائي البروجردي الذي توفي صباح الخميس ١٣ من شوال سنة ١٣٨٠هـ الموافق ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٦١م، عن عمر مبارك يناهز التسعين عاما، والذي ملأ الدنيا علماً وبراً وسعياً حميداً، وجهاداً مشكوراً في خدمة الاسلام والمسلمين، والذي كان من أكبر العاملين على جمع كلمة المسلمين، والذي أدركته منيته ولسانه رطب بذكر الله، وبالوصية بالتقريب وأهله ودعوته، التي هي سياج الاسلام وجوهر رسالته.

إننا ننعى هذا العالم الرباني الاعظم لكل هؤلاء، لأنه لم يكن رجل طائفة بل كان رجل الدنيا والدين وللناس جميعاً، وللإسلام كله بمختلف مذاهبه وعلومه، وطوائفه وأفراده.

اغدق الله على جدثه الطاهر من سحائب رضوانه، وبعثه في زمرة جده الأعظم الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وآله الطيبين الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

إن مآثر عظمى، ومفاخر كبرى تذكر لهذا الفقيد العظيم، ولو شئنا أن نسجل هذه المآثر، وندرس آثارها وثمراتها على العلم والدين، والصلات الوثيقة بين المسلمين، لطال بنا القول، ولاحتجنا إلى مئات الصفحات، ولكننا نكتفي بناحية من نواحي عظمته، هي تلك الناحية التي تخص التقريب.

لقد كان رضي الله عنه إمام الشيعة الاثنا عشرية في ابرز حلقات هذا القرن الذي نعيش فيه، هو مرجعهم الذي إليه يرجعون، وكهفهم الذي إليه يأوون، وكان أعظم ما يشغله أن المسلمين ودينهم واحد، وربهم واحد، ورسولهم واحد، وكتابهم واحد، ما يزالون مختلفين تتقاطع شعوبهم، وتختلف طوائفهم، ويتنازع علماؤهم، والعالم من حولهم غير مكترث بهم، ولا ينظر اليهم الا كما ينظر الصائد إلى فريسته...

والذين فطنوا إلى هذا الخطر الداهم من علماء المسلمين وزعمائهم كثيرون في مختلف العصور، ولكن الذين اتخذوا في شأنه خطوات عملية، ورفعوا لواء الجهاد ليدرأوا عن الامة شره، إنما هم أفراد معدودون سوف يأتي الوقت الذي يعرفون فيه، وتعرف جهودهم، وتوزن بميزان التاريخ أعمالهم الصالحة المجيدة التي كانوا وما يزالون يقومون بها في صمت ومثابرة وإنكار نفس واختفاء....

لقد كان مركز إمامته في (قم) تلك البلدة المباركة التي يتمثل فيها علم الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بإيران.

.... فكان رضي الله عنه لا يفتأ يبث هذه النفوس المتقبلة، والقلوب المتعطشة، دعوة الإسلام صافية كعهدها يوم كان الرسول صلوات الله عليه وآله يبثها، ويؤلف القلوب عليها، ويربط المؤمنين برباطها، وكانت غايته

دائماً هي ان يقر في قلوب تلاميذه ومريديه واتباعه ان الاسلام هو دين الله الذي عليه كل من آمن بمحمد نبياً ورسولا، وبالقرآن كتاباً، وبالصلوات الخمس وبقية اركان الايمان فرائض واجبة الأداء، واتجه إلى القبلة المقدسة في مكة المكرمة، وان كل خلاف وراء الاصول الاساسية للإيمان إنما هو خلاف ثانوي لا يخرج به المسلم عن دينه، ولا تنقطع به أخوته، ولا يحرم به من حقوقه على إخوانه المسلمين، وكان هناك تلميذ له ومريد يبدو ذكاؤه، ويبرق نور الايمان من وجهه، وقد انجبه والد نجيب من أهل العلم والراي والاجتهاد، ومن خيرة الاسر، فاصطفاه لنفسه، ثم عقدت بينهما المحبة في الله، والرغبة في خدمة الاسلام والمسلمين، رباطاً وثيقاً وفهماً عميقاً، ثم اراد الله ان يأتي الشاب إلى مدينة القاهرة، وان يبقى الشيخ في مدينة قم، وأن يتصل بين المركزين روح اثيري متجاوب من تلك النفحات الربانية يجود الله بها على الناس حيناً بعد حين، فكان التقريب وكانت جماعته وكانت رسالته)[1].

تنويه لازم:

مما يجب ذكره ما دام الحديث عن جماعة التقريب ودارها وابداعاتها ان الاستاذ حسن البنا (زعيم حركة الأخوان المسلمين) كان من اشد انصار التقريب والمتحمسين له، ولعله كان من قرابينه وضحايا جهوده المبرورة على طريق اهدافه النبيلة، فهو:

---

(١) رسالة الاسلام ـ العدد ١٣ ـ الصفحة ١٠١.

أ ـ كان عضواً فاعلاً في جماعة التقريب.

ب ـ هو الذي قام بتسمية الدار التي انشأتها الجماعة فاطلق عليها اسم (دار التقريب).

ج ـ قام انطلاقاً من حماسته التقريبية وتعاونه الحازم مع جماعة التقريب بايصال صوتها إلى العالم في جريدة جماعة الاخوان، والطريف انه عندما منعت السعودية دخول كتاب (**الحج على المذاهب الخمسة**) الذي اصدرته دار التقريب، وارادت نشره بين المسلمين لاسيما ايام الحج ـ قام الاستاذ حسن البنا وبفطنته البالغة بنشر موضوعات الكتاب في الجريدة المذكورة وادخالها إلى السعودية في موسم الحج، حيث تلاقفها المسلمون، واثرت أثرها المنشود في تقريب وجهات النظر بين المسلمين واذابة الجليد بينهم.

يقول الشيخ القمي عن اغتيال الاستاذ البنا:

«لقد كان في دار التقريب ليلة الاغتيال، وما إن خرج حتى انقطع التيار الكهربائي، وفي وسط الظلام امتدت الأيدي الاثيمة لتقضي على ذلك الداعية الكبير»[١].

الامام الحكيم

لقد تجلت في مرجعية الامام الحكيم قدس سره مفردات زاهرة للسعي التوحيدي للأمة، والذي كانت ترى فيه (وظيفتها الشرعية) ولا معدى لها عن القيام به لانه تكليف من تكاليف الدين، وحكمة عملية من حكم

---

(١) ملف التقريب ـ الصفحة ١٣٨.

العقلاء، وسياسة رشيدة من سياسات القادة الافذاذ الذين يجدون في تأليف شمل الامة ولم صفوفها سبيلهم المثلى إلى بلوغ الهدف الاسمى وهو عزة الامة وسيادتها وشموخها.

من أهم تلك المفردات الكريمة التي لمعت في الجهود الوحدوية المناهضة للحساسيات الطائفية والمذهبية والعرقية ما يلي:ـ

١ـ فتواه المشهورة بحرمة القتال بين العرب والاكراد، حيث كان يرى في ذلك صراعاً ظالماً تحركه المصالح والمطامع الخبيثة التي تنساق وراءها السلطة الحاكمة، وتجعل الفصيلين المسلمين (العرب والاكراد) وقوداً لها، وضحية من ضحاياها، هذا على رغم ان هذه الفتوى تمثل تحدياً سافراً لتوجهات السلطة وارادتها، وهي لا بد تستتبع حقدها وغيظها وتجليات سخطها وانفعالها لاخطر موقف تتخذه اقوى سلطة حقيقية في الشارع العراقي المسلم وهي سلطة المرجعية الدينية التي يتعبد هذا الشارع بقيادتها وتوجيهاتها ما دام يرى فيها مرجعية الامة كلها بمنتهى الحرص على سلامتها وكرامتها ووحدتها... ومن الجدير بالذكر ان الاخوة الاكراد يخلدون في قلوبهم هذا الموقف الوحدوي الرائع من المرجعية الواعية الرشيدة الحريصة على اداء مسؤوليتها تجاه أمتها بكل جدارة واهتمام وتقيد ومراعاة للوظيفة الشرعية مهما كلف ذلك من اثمان وتبعات، ولا زالت هذه الفتوى جاذبة عميقة قديمة من جواذب الاكراد إلى حياض المرجعية التي لم يروا فيها الا النبل والايثار والموقف المشرف الذي يحرص على رد العادية عنهم، واداء حكم الله في دفع الاذى عن ساحتهم.

ومما يجب ذكره في تفصيلات موقف الامام الحكيم من القضية الكردية، وفتواه ضد الحرب على الاكراد ـ ان النظام العراقي في عهد عبد السلام عارف حاول ان يجند الدين والفتوى ضد الاكراد، ليحرك العاطفة

الدينية عاملاً قوياً في الحرب عليهم، فقام بعقد مؤتمر في العراق دعا اليه رجال الدين من داخل العراق وخارجه، حيث حضره رجال الدين السنة وعلى رأسهم شيخ الازهر، وكانت نتيجة المؤتمر اصدار فتوى تدين الاكراد، وتصفهم بالبغاة الذين تجب محاربتهم حتى يفيئوا إلى امر الله. وقد رفض الامام الحكيم ورجال الدين في الحوزة حضور هذا المؤتمر رغم الضغوط التي تعرضوا لها. ولم يكتف الامام الحكيم بهذا الموقف، بل قام بعقد مؤتمر مضاد لمؤتمر السلطة وذلك في صحن الامام الحسين في كربلاء، وكانت نتيجته اعلان حرمة محاربة الاكراد لانهم مسلمون، ويجب حل المشكلة معهم بالطرق السلمية. واخذ الامام الحكيم يفتي الجنود الذين يستفتونه عن موقفهم من الحرب ضد الاكراد بانها امر حرام. وحين جاء البعثيون إلى السلطة وواجهوا هذا الموقف الشرعي الصارم من الامام الحكيم ضد مقاتلة الاكراد قاموا باتهام ولده السيد مهدي الحكيم بالخيانة والتآمر في تعاونه مع البرزاني.

ومما يسجل للامام الحكيم في هذا المجال انه كان يرفض استقبال عبد السلام عارف واخيه عبد الرحمن لمواقفهما الطائفية المدمرة لوحدة الامة، ولحربهما على الاكراد، والتي تسعى ان تفصل جزءً من الشعب من جسده، وتصده عن تحمل مسؤولية المصير المشترك.

٢ـ فتوى الامام الحكيم بوجوب حماية الوجود الفلسطيني المسلم المقاوم، ومساندته ضد العدو الصهيوني الغاشم الذي استباح حرمات فلسطين واهلها، وعاث في مسرى الرسول واولى القبلتين فساداً، وشكل في جسد المسلمين ورماً خبيثاً يدمر بالتدريج سلامة كيانهم وبريق مجدهم في عزتهم وكرامتهم واستقلالهم.

وقد تجلى في هذه المواقف جهد المرجعية التوحيدي على مستوى الامة قاطبة بمنأى عن النظر إلى الحدود المذهبية والجغرافية، واذا كانت الفتوى السابقة في النقطة الاولى تعبر عن دأب تلك المرجعية في شد اواصر اللحمة الوطنية داخل الحدود الجغرافية لبلد واحد فان فتواها في الشأن الفلسطيني مثال شامخ على شعور هذه الريادة الربانية بأن وظيفتها وتكليفها هما فوق القيود والاعتبارات المصطنعة الزائفة، وانها حريصة اشد الحرص على وحدة الامة وتواشجها والتحام عراها على كل صعيد وبلا استثناء، وانها لا تحدها حدود جغرافية، ولا تصدها عن ذلك الهدف المقدس حواجز مفتعلة، حاول من خلالها أعداء الامة المتربصون الماكرون ان يفرقوا بها شملها، ويقسموا كيانها، ويشتتوا صفها تحت عناوين مذهبية، وجغرافية، ولغوية، وعرقية. ولم يكن ليخطر في بال تلك المرجعية في مواقفها الباهرة على طريق الوحدة ـ أن اكثرية الاكراد الذين وقفت إلى جانبهم هم على غير المذهب الذي تتعبد الله به، وان الفلسطينيين الذين دعت إلى نصرتهم واعزازهم ومساندتهم على عدوهم هم كذلك على غير مسارها المذهبي، فقد نزعت هذه المرجعية من ضميرها الريادي الرشيد كل الاعتبارات والحساسيات التي تنغلق عليها القيادات الوضعية الزائفة.

وقد كان الموقف الفتوائي الشامخ للأمام الحكيم لاسناد القضية الفلسطينية على مرحلتين:

١ـ مرحلة اصدار فتوى باسناد العمل الفدائي.

٢ـ مرحلة اصدار فتوى بصرف الزكاة والحقوق الشرعية في مجال دعم ذلك العمل الجهادي الكبير.

وقد كان مندوبو منظمة التحرير في العراق يراجعون الامام الحكيم في شؤونهم، وقامت اوساطه بحملة واسعة لجمع التبرعات لاسناد العمل الجهادي الفلسطيني.

وقد اثر موقف الامام الحكيم من العمل الفلسطيني على موقف مقلديه في جبل عامل في لبنان، الذين راحوا على خطى مرجعهم ووكيله آنذاك السيد موسى الصدر في لبنان يحتضنون العمل الفلسطيني بكل حب واحترام واسناد، حيث لم تكن تؤويهم في ذلك الوقت لا سوريا ولا لبنان.

٣ـ وفي نفس ذلك المنحى التوحيدي الواعي السديد المتعالي على صغائر الهموم وعلى الأثارات اللئيمة التي يحركها الاعداء كان طلب تلك المرجعية الرشيدة من الرئيس جمال عبد الناصر التراجع عن حكمه باعدام المفكر الاسلامي سيد قطب ورفاقه الذين اتهمتهم حكومة مصر بالتآمر لقلب نظام الحكم بالقوة، ومحاولة اغتيال رئيسه، في قضية مدبرة ضد تيار الاخوان المسلمين وحركتهم الصاعدة التي احس فيها المستعمرون واذنابهم خطراً اسلاميا يهدد مصالحهم ونفوذهم ومشروعهم الاستكباري على ارض مصر.

وقد تناست هذه المرجعية وهي تتخذ موقفها الكريم ذاك ما اثاره بعض المتحجرين والمنغلقين وذوي النزعات الضيقة على تلك الشخصية الاسلامية الكبيرة (سيد قطب) من اثارات مذهبية بادعاء انه على غير مذهب أهل البيت، وان له كلمات مسيئة لاهل البيت وشيعتهم في بعض كتبه.

لقد نسي الامام الحكيم او تناسى تلك الامور التي يراها ازاء الهجمة الاستكبارية الشاملة على الاسلام وامته ورجالات الدين ورموزه، اموراً جزئية قد تحركها الاجتهادات العلمية، ووجهات النظر الثقافية، وهي قابلة

للرد والنقاش والحوار الهادئ، ولا يجوز الالتفات اليها من قبل المرجعية التي تحمل على كاهلها عبء التصدي لريادة الامة على مسار المواجهة الحامية في ميدان الدفاع عن حرمة الرسالة. ونسي الامام الحكيم كذلك ما يسببه موقفه في قضية سيد قطب ورفاقه، ورفضه لاعدامهم من الحساسية بينه وبين جمال عبد الناصر القائد العربي المعروف في حينه، وبينه وبين التيار القومي المناصر له في طول الوطن العربي وعرضه.

٤ـ موقفه بدعم النشاط السياسي السني في العراق، حيث قام بتأييد تأسيس الاخوة السنة لحزب سياسي اسلامي هو (**الحزب الاسلامي**)، الذي اسسه نعمان عبد الرزاق السامرائي الذي واجه عقبة الرفض من حكومة عبد الكريم قاسم التي سمحت بانشاء الاحزاب السياسية لكنها تحفظت ومانعت من ايجاد الاحزاب الاسلامية بضغوط العلمانيين وتأثيراتهم.

وقد قام رئيس الحزب بزيارة الامام الحكيم للحصول على دعم معنوي وسياسي اثر اثره الكبير في اجبار المحكمة العليا على اصدار اجازة لتأسيس هذا الحزب. ولم يكن الامام الحكيم ليتحفظ ويتحسس من مجيئ حاكم سني في العراق ما دام يحكم بالعدل، وكانت كلمته المشهورة في هذا الصدد:

«اذا جاء حاكم سني عادل فأنا اكون إلى جانبه، واذا جاء حاكم شيعي ظالم فأنا احاربه»[1].

(١) الامام الحكيم ـ قراءة تحليلية في السيرة الذاتية ـ الصفحة ٢٤١.

٥ـ موقف الامام الحكيم من الغزو الاستعماري الانكليزي على العراق والذي تمثل في عدة أمور:ـ

أ ـ مشاركته الفعلية في صد العدوان البريطاني على جنوب العراق، وكان ذلك في العشرينات من عمره، تحت قيادة علماء الحوزة من قبيل السيد مهدي الحيدري ومحمد سعيد الحبوبي، وليس خافياً ان هذا الموقف الخالد يعبر عن توجه توحيدي للامة التي كان حكامها العثمانيون يمارسون بدوافع طائفية ومذهبية تحريك التيار السني ضد الشيعة، لعزلهم وحرمانهم من حقوقهم السياسية والمدنية وعلى كل الاصعدة، ولم يكن علماء الحوزة بمن فيهم الامام الحكيم يعيرون اهتماما لموقف العثمانيين القاسي ضد مسارهم (**خط اهل البيت**) وضد حوزتهم، ولا يحفلون بكون الوجود البريطاني على العراق هو لضرب الدولة العثمانية التي كانت تخوض الحرب ضد البريطانيين، ولم يكن نصب اعينهم الا قضية الدفاع عن الاسلام في اطاره العام، ووحدة الامة، وحرمة التراب الوطني، ولم يكونوا يعانون من عقدة التخندق الطائفي والنزعة المذهبية التي تعاني منها السلطة الحاكمة آنذاك (**الدولة العثمانية السنية المتطرفة ضدهم**).

ب ـ رفضه التعاطي مع الحكومة التي انشأها الانكليز في العراق، والتي كانت تبعد الاسلاميين وتأتي بمن تسميهم الوطنيين.

ج ـ امره الناس بعدم استلام الاموال التي كانت تقدمها الحكومة البريطانية في العراق لدعم مجالس العزاء وبعض المؤسسات الدينية لكسب عاطفة الشارع الشيعي، وتغيير ملامح الصورة القبيحة التي كانت مطبوعة في ذهن هذا الشارع ضد الاحتلال البريطاني والحكومة التي اوجدها.

٦ـ موقفه الداعم للمسلمين الكشميريين الذين يخوضون الحرب ضد جيش الاحتلال الهندي الذي قام بالاستيلاء على ارضهم كشمير وضمها إلى الهند، وقد تجلى اسناده لهم في ضغطه السياسي المباشر على الحكومة الهندية، وعن طريق سفارتها في العراق، وتجلى كذلك في دعمه المعنوي لهم عن طريق مقلديه في منطقة شبه القارة الهندية، حيث كان هو المرجع الثاني هناك بعد السيد البروجردي.

الامام الخميني

كان الامام الخميني مشروعاً اسلاميا معجزاً اقتحم اسوار المحظور، منتفضاً من تحت دثار القرون والحجر والفيتو الاستكباري الصارم على الحالة الاسلامية، وقد كانت معالم هذا المشروع تتمثل في:

١ـ اعلان الثورة الاسلامية الساعية إلى بناء الدولة التي تقوم على اساس القرآن.

٢ـ اعلان الوحدة الاسلامية لقيام الجبهة الايمانية التي تضم شعوب الاسلام قاطبة.

٣ـ اعلان الوحدة العالمية بين مستضعفي الأرض، والتي ينجم عنها تحالف الامم المستضعفة ضد الطغاة والمستكبرين.

وقد كانت قضية الوحدة الاسلامية على رأس أولوياته، متزامنة مع اولوية الثورة الاسلامية، لان الوحدة في داخل الشارع الايراني المسلم وفي التيار الشعبي المسلم في شتى اقطار العالم الاسلامي هي الوقود المادي والمعنوي الذي يزود هذه الثورة بالطاقة اللازمة للحركة وديمومة المقاومة، وقد تمثلت الامور والمواقف التي بادر اليها الامام الخميني رضوان الله عليه

لايجاد هذه الوحدة، وتمكينها من تحقيق الهدف المنشود من وجودها في محاور كثيرة منها:

١ـ دعواته الكثيرة المفعمة بالصدق والاشفاق واللوعة والتطلع لعودة الامة المسلمة إلى سابق عهدها مع وحدتها والفتها، لتعود اليها عزتها وكرامتها وشوكتها ومجدها المذال.

٢ـ نداءاته الهائلة إلى امة الاسلام لنبذ الصراعات المذهبية والطائفية التي يحركها اعداء الامة، والتمسك بعروة الله الوثقى وهي عروة الاسلام الاصيل الذي يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الامة في اطاره الجامع الذي وجدت فيه منتهى كرامتها وشموخها وسعادتها.

٣ـ دعواته الوافرة لحكام العرب والمسلمين ان يكونوا مع شعوبهم يداً بيد على طريق الوحدة الاسلامية، واقامة مشروع الحلف الاسلامي الذي يتصدى لحلف الكفر العالمي وجبهة الباطل التي يقودها الشيطان الاكبر، وسنقرأ معاً في آخر هذا الفصل مجموعة من هذه الدعوات.

٤ـ النداءات على الاصعدة الثلاثة، وسنرى فيها ذلك القلب السليم الطافح بالألم لما تعانيه أمة القرآن من بلية الاختلاف ومحنة الشتات.

٥ـ اعطاؤه الاولوية القصوى لشأن الوحدة الاسلامية في المشاريع السياسية والاقتصادية والاعلامية والثقافية لانجاز مشروع الوئام الاسلامي، وفي منع أي مظهر من المظاهر التي لا تساعد على بلوغ هذا الهدف الكبير.

٦- تبنيه القضايا الاسلامية المصيرية الكبرى مثل قضيّة فلسطين التي تهم المسلمين جميعاً بلا استثناء، وقيامه بدعمها بمنتهى صور الدعم التي لم توفرها لها اية جهة أخرى، مع ان الطيف العام في ارض فلسطين وفي

المقاومة الفلسطينية هو طيف لا ينضوي مذهبياً تحت لواء المذهب الذي ينتمي اليه قائد الثورة الراحل.

٧- دعمه لكل قوى التحرر الاسلامي في اقطار العالم الاسلامي وفي كل العالم، وهي في الاعم الاغلب لا يجمعها برائد الثورة الاسلامية الا مشترك الاسلام، حيث لا عبرة عنده بالأطر المذهبية الضيقة التي يريد لها المتحجرون من اهلها ان تكون موانئ بين المسلمين.

٨- دعوته الاكيدة إلى اقامة مشروع الجيش الاسلامي الواحد الذي يضم عشرات الملايين من ابناء الامة، لان مثل هذا الجحفل الجرار من الطاقات الاسلامية هو الكفيل بصد العدوان على بلاد المسلمين، وتحرير اوصالها المغتصبة، واعادة شخصيتها واستقلالها وعزتها، وجعلها مهابة، مكرمة، يخشاها الطامعون، ويحسبون لها الف حساب قبل ان يفكروا بالحاق الاذى بها.

٩- اعلان يوم الجمعة الاخير من شهر رمضان يوماً رسمياً عالمياً للتضامن الاسلامي مع بيت المقدس الشريف المغتصب، وجعل هذا اليوم محوراً للألفة الاسلامية، واتحاد الايادي المسلمة التي ترتفع هاتفة في المظاهرات الحاشدة بالموت لاسرائيل، وبعودة القدس السليبة إلى اهلها الشرعيين وهم المسلمون.

١٠ـ اقامته مشروع البراءة من المشركين في موسم الحج، والذي اعتبره فرضاً واجباً يؤدي فيه المسلمون الايرانيون بمشاركة اخوانهم في البلاد الاسلامية ـ وظيفة المسيرة الموحدة في مكة المكرمة لاعلان البراءة من المشركين والمستكبرين، والرفض المطلق لهيمنتهم على مقدرات المسلمين، والتأكيد على الوحدة الاسلامية من خلال الشعارات الوحدوية وابرزها الشعار المعروف «**يا ايها المسلمون، اتحدوا، اتحدوا**».

١١ـ ترتيب مشروع اسبوع الوحدة من الثاني عشر إلى السابع عشر من ربيع الاول أي بين التاريخين المعروفين لدى المسلمين لولادة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ويتم في هذا الاسبوع دعوة علماء المسلمين وشخصياتهم لحضور مؤتمر الوحدة الذي تنصب اهتمامات المشاركين فيه على قضية الوحدة الاسلامية ـ معالمها ـ آفاقها ـ موجبات رشدها ـ آفاتها وموانعها ـ عوامل نجاحها وتحققها.

١٢- فتواه الصارمة لحجاج بيت الله من المسلمين الايرانيين وغيرهم من الشيعة بوجوب حضور صلاة الجماعة والجمعة التي تقام في الحرمين، والاقتداء بأئمتها وهم من اهل السنة طبعاً، كما الزم المسلمين الايرانيين وشيعة العالم الاسلامي الحاضرين في الحج ان يؤدوا مناسكهم في الموقفين حسب توقيت القضاة الشرعيين في السعودية من خلال تحديدهم لرؤية هلال ذي الحجة.

باقات وحدوية من كلام الامام الراحل

لو كان حكام البلاد الاسلامية اسلاميين ويقيمون حكم الله لما اوقعوا شعوبهم وبلدانهم في هذه الصراعات والحساسيات والذلة التي تكابدها امام عصابة صهيونية خائبة في فلسطين[(١)].

انما سعينا لاقامة الحكومة الاسلامية من اجل ايجاد الوحدة الاسلامية، واخراج الاسلام من تحت نفوذ المستعمرين وعملائهم.

---

(١) هذه المقطوعة وما يليها مأخوذة من كتاب ـ الوحدة في نظر الامام الخميني ـ موسسة نشر اثار الامام الخميني .

يجب على المسلمين قبل أي شيء ان يتحلوا بالوعي الكامل لاوضاعهم وظروفهم وما يحيط بهم، وان يجعلوا مصلحة الاسلام والامة نصب اعينهم، فيبادروا إلى توحيد كلمتهم وجمع صفوفهم.

لقد كان نبي الاسلام يسعى إلى ايجاد وحدة الكلمة في كل المعمورة تحت لواء التوحيد، وقد استطاع ان يحقق ذلك في ربعها، وحالت بينه وبينها، وبين بلوغ هدفه النهائي حوائل القوى المعادية.

ان شعب ايران لا يرى نفسه منفصلا عن شعب العراق، وقد كان على الدوام في رأس قائمة الدفاع عن هذا الشعب في محنه ومشكلاته، ولا ينسى هذا الشعب مواقف السيد اليزدي والميرزا الشيرازي في التصدي للعدوان على حريمه ومقدساته، وبغض النظر عن الاعتبارات السياسية قام الشعب الايراني بتقديم الدعم الاقتصادي اللازم لشعب العراق المظلوم لان المسلمين يجب ان يكونوا يداً واحدة ليمكنهم ان يقطعوا ايادي المستعمرين التي تريد ان تعبث في مقدراتهم وخيراتهم.

يجب اليوم على كافة المسلمين وعلى الحكومات الاسلامية والعربية بالخصوص تقديم الدعم المطلوب للفدائيين المجاهدين في فلسطين، ليستطيعوا ان يواصلوا مسيرتهم النضالية على طريق تحقق الهدف المنشود بالتوكل على الله، ولالتزام بتعاليم القرآن، ليحرروا فلسطين، ويعيدوا المجد الاسلامي وشرف المسلمين، ويجب على المسلمين في هذا الاتجاه ان يوحدوا كلمتهم، ويجمعوا صفوفهم، ويتخلصوا من دواعي الاختلاف واسباب التفتت الداخلي المدمر.

نداثي للاخوة العرب والمسلمين جميعاً هو (تعالوا وضعوا يداً بيد، واتركوا اختلافاتكم جانباً، واجعلوا سندكم ومحوركم هو الاسلام، لتكونوا بما لديكم من القدرة المعنوية للاسلام، ومن الامكانات المادية التي لا تحصى ـ قوة مهابة لا يفكر اعداؤكم معها بالتسلط عليكم او نهب ثرواتكم).

يجب علينا جميعاً ان ننهى عن الضغينة، وان نجعل شعارنا الوحدة الاسلامية، فاننا بها تحت لواء لا اله الا الله سوف ننال النصر المؤزر، ونكون قدرة فوق كل القدرات.

المشكلة الاساسية للمسلمين هي بعدهم عن الاسلام، وعدم التزامهم بامر الله سبحانه: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)، ولو أنهم استجابوا لما في هذه الآية من الأمر والنهي لاستطاعوا رفع كل معضلاتهم.

يا مسلمي العالم، واتباع راية التوحيد، ان سر كل المكابدات التي تعاني منها الدول الاسلامية هو اختلاف الكلمة، وعدم التعاون، وهما مدعاة عدم الانتصار. ما الذي جرى لكم وانتم الذين دحرتم بالقوة القليلة في صدر الاسلام تلك القوى العظمى، واوجدتم امة اسلامية انسانية كبرى؟. انهضوا ووحدوا كلمتكم، وارفعوا القرآن بايديكم، واعملوا بامر الله لتعيدوا اللحمة بين القلوب التي يجب ان تتوحد وان بقيت الحدود على حالها.

ان جعل المسلمين يوم القدس العالمي محوراً للوحدة والظهور فيه جميعاً بهتاف واحد، (الموت لامريكا الموت لاسرائيل) سيكون بمثابة موت

لهؤلاء الذين لم يزل همهم ان يزرعوا فتنة الاختلاف بين المسلمين، ويفرقوا كلمتهم، ليتسلطوا عليهم، وينهبوا ثرواتهم.

اليوم هو يوم الاخاء الاسلامي والمسلمون هم اخوة ويد واحدة على من سواهم، ولا تضرهم الدسائس التي تحاك لهم لتفريقهم، وجعلهم فئات متناحرة تحت مسميات شيعة وسنة، وجعل الشيعة تتصارع من داخلها ايضاً، وهكذا الامر بالنسبة للسنة.

دعائي الخالص إلى الله سبحانه وتعالى ان يعي المسلمون امورهم، وان يتحركوا باتجاه تحقيق المقاصد الاسلامية،وان يقطعوا الايدي التي تثير الخلافات بينهم، وان يكونوا مثل اسنان المشط، وهذا ما أراده الاسلام لهم، دون ان يكون هناك أي اثر للون او العرق في ايجاد الفواصل والموانع بينهم.

أليس عارا على مسلمي العالم ان يخضعوا للطغاة من المستكبرين وقطاع الطريق، وهم يمتلكون هذه الامكانات الهائلة من البشر والثروات والقدرة المعنوية؟!.

الم يحن الوقت لهم للتخلص من الاهواء والرغبات النفسية، ويمد بعضهم إلى بعض يد المحبة والاخوة ليتخلصوا من اطواق الذل والهوان والتبعية، ليكون لديهم جواب مقبول امام الله الذي دعاهم إلى الاعتصام بحبله، ونهاهم عن الاختلاف والتدابر؟.

لقد أنصبت جهود الشياطين من اعداء الامة على فصل جناحي (السنة والشيعة) عن بعضهما، وجعل هذه الطائفة تكفر تلك، وجعل كل واحدة منهما مجموعة من الفئات المتصارعة. لقد مزقوا كيان الامة بهذه الاحزاب المصطنعة، وادخلوا علينا قضية القومية بواسطة من يسمونهم بالمتنورين والمثقفين، فرفعوا شعارات الامة العربية، والامة الفارسية، والامة التركية، لتكون حربة في خاصرة الشعار الاسلامي.

ان من اهم المسائل السياسية في القرآن دعوته للوحدة، ونهيه عن التفرق، وهما اصلان سياسيان مهمان في الاسلام. وهناك اصل مهم آخر وهو عدم الخضوع للكفار، والبقاء تحت نفوذهم وسلطتهم، ولكننا نلاحظ مع الاسف ان المسلمين وهم اتباع القرآن قد تحولوا إلى فئتين: فئة كبرى هي الشعوب، وفئة صغيرة وهي الايادي الحاكمة التي لم تتحد فيما بينها لتتحد شعوبها على اثرها.

املي من الله سبحانه ان يوفق المسلمين لليقظة والوعي والالتفات إلى ما يحيط بهم من المكائد، وان يدركوا انهم لو لم يقفوا في وجه امريكا واذنابها، ولو اعطوهم الفرصة لاستباحوا كرامة المسلمين وثرواتهم، فان آمال امريكا وطموحاتها ليست محدودة، وهي تريد بسط نفوذها على كل العالم، مع ان اليوم هو يوم ان يتحد المسلمون جميعاً، ويوجهوا الضربة القاصمة إلى أمريكا، وهو قادرون على ذلك بوحدتهم وطاقاتهم وثرواتهم التي ترى فيها امريكا شريان حياتها.

ان شعار لا اله الا الله هو محور وحدة المسلمين وسر عزتهم وانتصارهم، واذا لم يجتمعوا تحت لوائه، ويتكاتفوا متعاضدين في رحاب الاخوة الاسلامية لا يستطيعون ان يقفوا في وجه القوى المعادية لهم.

اذا تحققت الوحدة الاسلامية بين حكومات الدول الاسلامية وشعوبها استطاعت هذه الحكومات وباسناد الشعوب ان تشكل جيشاً دفاعياً مكوناً من عشرات الملايين من الطاقات المسلحة تحت لواء الاسلام، ليكونوا بذلك اكبر قوة في العالم، ولينعموا بالخلاص من الذل والخضوع امام القدرات المستكبرة، ويتذوقوا طعم الحرية والاستقلال.

ان وحدة المسلمين هي الشرط الأساس لاداء مناسك الحج، وعليهم ان ينبذوا كل الاعتبارات والعناوين الزائفة المفرقة: اللون، الجنس، اللغة، القبيلة، الطائفة، الحدود، والعصبيات الجاهلية، وان تتصافح ايديهم بحرارة المحبة، ويطلقوها صيحة واحدة بالبراءة من الظالمين والطغاة.

ان البلية الاخطر من بلية القومية على امتنا هي فتنة الخلاف بين السنة والشيعة، والتي تثيرها امريكا والصهيونية واذنابهما من المنافقين ووعاظ السلاطين، لتفريق وحدة المسلمين، والقضاء على السنة والشيعة معا، وان الذين يثيرون هذه الفتنة من داخلنا ليسوا سنة ولا شيعة، وليس لهم شأن بالاسلام، والا كيف يبادر مسلم إلى افتعال فتنة الاختلاف وهو يعلم ان عزنا ونصرنا في ايام مجدنا هو في وحدتنا التي وجد المستكبرون فيها سر هزيمتهم امامنا، وسعوا بكل جهدهم إلى تحطيمها وشل فاعليتها ودورها، لذلك يجب على الجميع ان لا يصغوا لاي نداء من الخارج لضرب الاسلام.

يجب على الايرانيين وشيعة الدول الاخرى ان يحترزوا من التأثر بافعال الحمقى التي توجب تفريق صفوف المسلمين، وان يحضروا في صلاة الجماعة التي يقيمها اهل السنة في موسم الحج، وان لا يقيموا صلاة جماعة خاصة بهم في اماكن اقامتهم. وان يقوموا بمتابعة قضاة اهل السنة في توقيت المناسك حتى مع القطع بان الواقع في خلافهم، وان يتجنبوا القيام بالاعمال التي تضر عيد الوحدة، واجتماع الكلمة.

نحن ابناء امة واحدة هي امة الاسلام، ونريد خدمته واعزازه، وان العناوين المفرقة مثل سنة، وشيعة، وحنبلية، وشافعية، واخبارية - هي امور غير صحيحة من الاساس، ولا ينبغي ان يتم تداولها، وان الاختلاف الفتوائي بين اجتهادات هذه المذاهب ليس مبرراً لاختلافها الذي ليس في مصلحة أي واحد منها، بل هو في مصلحة عدوها الذي يريد ان يقضي عليها جميعاً، يجب ان نبقى امة القرآن والتوحيد، وان تنصب جهودنا على عزتهما وبسط لوائهما.

الامام الشهيد الصدر

الحديث عن الشهيد العظيم الامام السيد محمد باقر الصدر ﵀ ومتبنياته في الوحدة الاسلامية هو حديث طويل ذو شجون، لانه حديث عن ذلك القلب الذي تمحض عشقاً وشوقاً وذوباناً في عقيدته وامته، وعن ذلك الوجود الانساني الشامخ الذي نذر نفسه للمكرمات التي كان على رأسها الحرص الفذ على سلامة الامة، وكرامتها، ووحدتها، وعزتها في الفتها، وخلاصها من اسر طغاتها، ونجاتها من براثن جلاديها. ويمكن ان نجمل مواقف الشهيد الصدر قدس سره في هذا المجال في النقاط التالية:ـ

١ـ لقد عايش ﵀ هم الامة في مشاكلها مع الانحراف، وفي تمزقها، ومكابداتها مع الظالمين بسبب اختلافها وصراعاتها المفتعلة التي اثارتها في اوساطها مكائد المستكبرين واذنابهم، ومن هنا بادر إلى ايجاد تنظيم منفتح، مستوعب، بعيد عن العقد الطائفية والمذهبية والحساسيات الضيقة، حتى اتهمه اعداؤه لذلك بأنه ذو ميول سنية، وينزع من منزع الاخوان المسلمين. وقد كتب له مبادئه والخطوط العامة لسياسته وبرنامجه، والتي كانت حافلة بالتركيز على وحدة الامة، وتلاحمها، واتحاد فصائلها، وخير شاهد على ذلك بحثه القيم العميق بعنوان (رسالتنا قاعدة للوحْدة)، والذي جاء فيه: «الوحدة في كل ما يجب أن تكون فيه شعار من شعارات الاسلام الكبرى التي لا يفتأ الاسلام يدعو إليها، والى تحقيقها في الواقع المعاش، لتكون لهم القوة، والمنعة، والغلبة حين يلتحمون مع عدوهم في صراع.

وهذه الوحدة التي دعا الاسلام أتباعه إلى تحقيقها تتميز في أصولها وفي مظاهرها عن الوحدة التي تبشر بها الرأسمالية الغربية والاشتراكية الماركسية.

ففي المجتمعات الرأسمالية تجد المجتمع موحداً في الظاهر ولكن الوحدة فيه تقوم على وحدة المصالح الشخصية والحزبية أو الطبقية، فإذا حدث ما يهدد مصلحة من هذه المصالح حدث الانشقاق والتصدع، وتبين أن الوحدة الظاهرة كانت سرابا خادعا. واظهر مثل على هذا (فرنسا) التي تصدعت وحدتها في أخطر ساعة من ساعات وجودها، وكانت النهاية هي إنهيارها أمام الغزو الالماني في ساعات.

وفي المجتمعات التي تدين بالماركسية ومن قبلها المجتمعات النازية والفاشية نجد المجتمع موحداً في الظاهر أيضا، ولكنها وحدة مفروضة من خارج، وحدة تقوم على إنكار كل قيمة حقيقية للفرد الانساني ولما له من مجال خاص يجب أن ينمو فيه نمواً حراً يتيح لكافة قواه أن تبدع وتزدهر، وحدة تقوم على القسر ولا تقوم على الطواعية والاختيار، وحدة يفرضها إرغام الدولة ولا يبعث اليها الشعور النابع من العقل والقلب، ومن ثم فمصير وحدة كهذه إلى زوال عند أول فرصة تلوح للأفراد الذين يتوقون إلى تحقيق ذواتهم، وكل وحدة لا تنشأ من داخل، وحدة مزيفة لا تلبث أن تزول لأنها لا واقع لها في نفوس الافراد. إن الوحدة الصحيحة هي المعبرة عن حاجة نفسية عميقة توشج بين الافراد برباط من الحب والمودة والإلفة، ولا شيء كالدين يمكن أن يبعث على وحدة من هذا القبيل، والوحدة القائمة على الدين هي الوحدة النابعة من القلب، الثابتة الراسخة مهما تنوعت مصالح الأفراد والأحزاب والطبقات، لأنها وحدة تقوم على أصل ثابت عند الجميع، مشترك بين الجميع.

وهذه هي الوحدة التي دعا الله تعالى عباده المتقين إلى تحقيقها، هي ليست وحدة المصالح، وليست وحدة الإرغام، وإنما هي وحدة تنبع من القلوب المؤمنة بالله.

إن الوحدة التي دعا إليها الاسلام هي الوحدة المسايرة لواقع الكائن الانساني، إنها الوحدة التي تترك للفرد مجاله وشخصيته، وتهيىء له جميع وسائل النمو والابداع والتفتح، وتوازن بين طاقاته فلا تغلب فيه طاقة على طاقة ولا استعداد على استعداد. والاسلام يساير الواقع فلا يدعو المسلمين إلى الوحدة، ثم يترك في صميم الكيان الاجتماعي العناصر التي تهددها، انه يعنى بما يوفر لهذه الوحدة الثبات والديمومة، وينظم مصالح الأفراد والطبقات والمصالح العامة، ويوفر لها الانسجام فلا تتصادم فتؤدي بالمجتمع إلى التصدع والإنحلال.

إنه يعنى بكل ذلك، ويهيىء له الحلول العادلة الصحيحة، ثم يدعو إلى الوحدة، وهذه الوحدة النابعة من القلوب ليست مظهرا للمسلمين وحدهم وإنما هي مظهر لكل المؤمنين المصدقين برسالات السماء.

وقد تحققت هذه الوحدة بين المسلمين في أروع مظاهرها على عهد رسول الله ﷺ ما وسعهم، وبها تحققت للمسلمين الغلبة على أعدائهم الكثر. وقد كان أعداؤهم على خلافهم في ذلك، كانوا متفرقي النفوس، موزعي القلوب، كل نفس لها غاية، وكل قلب له هوى، ومن هنا هوّن الله من شأن اليهود ـ أعداء الاسلام التقليديين ـ حين كشف عن ضعفهم الناشىء عن تفرقهم بقوله تعالى:

﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾[1].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٤.

أما المسلمون فكانوا كما قال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

مرصوص في مظهره، ومرصوص في معناه، توحده وتلاحم بين أجزائه النظرة الواحدة إلى الكون والحياة والانسان، والفكرة الواحدة عن الوسائل والأهداف.

ولكن واقع المسلمين الزاهر الباهر تغير حين تغير المسلمون، وبعدوا عن الاسلام، وتوزعت قلوبهم وعقولهم دعوات أخرى غير الاسلام، واستأثرت بنشاطهم غيرُ أهداف الاسلام. ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ﴾[1].

واليوم يواجه الوجود الاسلامي في العالم واقعاً كالحاً، واقع الاستعمار والصليبية الحاقدة والنزعات المادية الالحادية، يواجههم وهم متفرقون، متفرقون على كل صعيد.

الدعوات الضالة المضلة تتوزع ناشئتهم، وتبعدها عن الاسلام. والأفكار والتصورات الوثنية تقيم الحواجز الفكرية والعاطفية فيما بينهم، فقد أفلح الاستعمار في أن يقيم الحياة المعاصرة في كثير من المجتمعات الاسلامية على أصول فكرية وعاطفية ترجع إلى عهد سابق على إسلام هذه المجتمعات. وبذلك حال بين هذه المجتمعات وبين أن تلتقي على الاسلام، وفتت وحدة المسلمين حين صرف قلوبهم وعقولهم عن أهداف الاسلام.

---

(١) سورة الرعد: الآية ١١.

واليوم وهذه حالة المسلمين في تفرقهم وتشتتهم وتوزع عقولهم وقلوبهم، تقوم في قلب العالم الاسلامي في فلسطين جماعات من الناس لا يجمع بينها وطن، ولا لغة، ولا ثقافة، ولا عادات، ولا تقاليد، شراذم تجمعت من قارات الدنيا كلها، تريد ان تبني لنفسها وجوداً مستقلاً، كيانا متميزاً يقوم على وحدة الدين ولا شيء غير الدين. ولذلك فهي تطبع كل مظهر من مظاهر وجودها بهذا الدين لتبرز هذا العنصر المشترك بينها، وتقيم وجودها عليه.

هؤلاء هم اليهود، وهم ماضون في تجربتهم هذه، مصرون عليها.

هذه التجربة التي يقوم بها يهود اليوم تحت سمع المسلمين وبصرهم وفي بلد من بلاد المسلمين اغتصبوه وأعانهم على ذلك أعداء الاسلام والمسلمين، هذه التجربة تضع المسلمين وجهاً لوجه أمام قضية وجودهم كمسلمين، ومصيرهم كمسلمين. إنهم إذا لم يركزوا وجودهم المعاصر على الاسلام، ولم يستلهموه حلاً لمشاكلهم، ولم يتبعوا مبادئه في حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع غير المسلمين، فسيبقون لقمة سائغة لكل طامع، وهدفا سهل المنال لكل مستعمر غاشم.

فعلى المسلمين أن يعوا أن خلاصهم الوحيد بالاسلام))[١].

وقد اعلن رضوان الله عليه افكاره الريادية الجامعة في بياناته الصوتية التي ودع فيها الدنيا، تاركاً رسالته القيادية الوحدوية امانة في اعناق المتصدين الصادقين مع ربهم وقضيتهم ووحدة امتهم.

٢ـ لقد كان مساره الفكري والسياسي مساراً توحيدياً خالصاً لم تشبه شائبة من توجهات مذهبية او طائفية او فئوية اطلاقاً ... تلك هي تجربة حياته

(١) رسالتنا ـ الصفحة ٥٥ـ والدرر الامامية.

الزكية على صعيديها الفكري والسياسي لم تكن الا عبارة عن تجرد مطلق عن تلك التوجهات، وذوبان كامل في الجهود التوحيدية الصادقة التي كلفته ضريبة التهم من قبل بعض الحمقى من ابناء مذهبه او حوزته الذين اخذوا عليه انه لم يذكر الخلفاء بسوء، وانه لم يضع حاجزاً نفسياً بينه وبين العلماء والكتاب والمفكرين المتسننين، ولا عن ثقافتهم، ولا التواصل معهم ولقائهم ومحاورتهم، ولم تتضمن كتبه الشامخة اية اثارات مذهبية او شتائم للغير كما يريد له المتحجرون والمنغلقون الذين اتهموه بالالتقاطية، وادانوه حتى على صغائر الامور مثل اعجابه بتفسير (**في ظلال القرآن**)، وارشاده من يسأله عن كتاب نافع في التفسير إلى ذلك الكتاب، ودلالته من يستعلمه عن كتاب مفيد في قصص الانبياء إلى كتاب (**قصص الانبياء**) لعبد الوهاب النجار، مع أن اهل العلم والبصيرة والوعي يدركون ما في هذين الكتابين مما يستدعي الشهيد الصدر مطالعتهما، وارشاد من يبتغون الافادة اليهما، وهما طبعاً كتابان لشخصيتين لا تنتميان إلى مذهبه.

٣ـ ان الحجة الفاصلة في حقيقة الموقف الوحدوي عند شهيدنا الكبير هي بياناته الاخيرة التي لفظ فيها انفاسه الكريمة في احتجازه اليتيم في بيته الا بقية أتت عليها مقصلة الطغاة المجرمين. ونورد منها هنا بيانه الثالث الذي يتضمن بديعة الابداعات في مواقف الصدر التوحيدية التي سجلها في تاريخ المكارم القيادية التي تلتمع اوسمة للمجد ونياشين للفخار على صدور القادة الافذاذ الخالدين.

«يا شعبي العراق العزيز!

ايها الشعب العظيم!

اني اخاطبك في هذه اللحظة العصيبة من محنتك وحياتك الجهادية، بكل فئاتك وطوائفك: بعربك واكرادك، بسنتك وشيعتك، لان المحنة لا تخص مذهباً دون آخر، ولا قومية دون اخرى، وكما ان المحنة هي محنة كل الشعب العراقي، فيجب ان يكون الموقف الجهادي، والرد البطولي، والتلاحم النضالي، هو واقع كل الشعب العراقي.

واني منذ عرفت وجودي ومسؤوليتي في هذه الامة، بذلت هذا الوجود من أجل الشيعي والسني على السواء، ومن اجل العربي والكردي على السواء، حيث دافعت عن الرسالة التي توحدهم جميعاً، وعن العقيدة التي تضمهم جميعاً، ولم اعش بفكري وكياني الا للاسلام: طريق الخلاص وهدف الجميع.

فانا معك يا اخي وولدي السني! بقدر ما انا معك يا اخي وولدي الشيعي! انا معكما بقدر ما انتما مع الاسلام؛ وبقدر ما تحملون من هذا المشعل العظيم لانقاذ العراق من كابوس التسلط والذل والاضطهاد.

ان الطاغوت واولياءه يحاولون ان يوحوا إلى ابنائنا البررة من السنة: ان المسألة مسألة شيعة وسنة، ليفصلوا السنة عن معركتهم الحقيقية ضد العدو المشترك.

واريد ان اقولها لكم - يا ابناء علي والحسين، وابناء أبي بكر وعمر: ان المعركة ليست بين الشيعة والحكم السني.

ان الحكم السني الذي كان يحمل راية الاسلام قد افتى علماء الشيعة - قبل نصف قرن بوجوب الجهاد من اجله، وخرج مئات الآلاف من الشيعة وبذلوا دمهم رخيصاً من اجل الحفاظ على راية الاسلام، ومن اجل حماية الحكم السني الذي كان يقوم على اساس الاسلام....

ان الحكم السني لا يعني حكم شخص ولد من ابوين سنيين بل يعني حكم ابي بكر وعمر، الذي تحداه طواغيب الحكم في العراق اليوم في كل تصرفاتهم، فهم ينتهكون حرمة الاسلام وحرمة علي وعمر معاً في كل يوم، وفي كل خطوة من خطواتهم الاجرامية.

الا ترون - يا اولادي واخواني - انهم اسقطوا الشعائر الدينية التي دافع عنها علي وعمر معاً؟!.

الا ترون انهم ملأوا البلاد بالخمور، وحقول الخنازير، وكل وسائل المجون والفساد التي حاربها علي وعمر معاً؟!

الا ترون انهم يمارسون اشد الوان الظلم والطغيان تجاه كل فئات الشعب، ويزدادون يوماً بعد يوم حقداً على الشعب، وتفنناً في امتهان كرامته والانفصال عنه، والاعتصام ضده في مقاصيرهم المحاطة بقوى الامن والمخابرات، بينما كان عليٌّ وعمر يعيشان مع الناس، وللناس، وفي وسط الناس، ومع الآمهم وآمالهم؟!...

يا اخواني وابنائي من ابناء الموصل والبصرة... من ابناء بغداد وكربلاء والنجف.... من ابناء سامراء والكاظمية.... من ابناء العمارة والكوت والسليمانية... من ابناء العراق في كل مكان، اني اعاهدكم باني لكم جميعاً، ومن أجلكم جميعا، وانكم جميعاً هدفي في الحاضر والمستقبل... فلتتوحد كلمتكم، ولتتلاحم صفوفكم تحت راية الاسلام، ومن اجل انقاذ العراق من كابوس هذه الفئة المتسلطة، وبناء عراق حر كريم، تغمره عدالة الاسلام، وتسوده كرامة الانسان، ويشعر فيه المواطنون جميعاً - على اختلاف قومياتهم ومذاهبهم - بانهم اخوة، يساهمون جميعاً في قيادة بلدهم وبناء

وطنهم، وتحقيق مثلهم الاسلامية العليا المستمدة من رسالتنا الاسلامية وفجر تاريخنا العظيم»[١].

المورد الأخير الذي نذكره كشاهد على نزعة الصدر الوحدوية هو كلامه الشريف حول ازمة الصراع الكردي العربي المشؤوم في شمال العراق، وذلك في محاضرة له رضوان الله عليه في حاضرته العلمية النجف الاشرف في ٢٦ صفر ١٣٨٩ هجرية:

«لا بد قبل كل شيء ان ننظف مشاعرنا، وان نجعلها مشاعر صحيحة واسلامية تنبض بالغيرة على الاسلام لا بالغيرة على مصالحنا الخاصة، بالغيرة على الوجود الكلي لهذا الكيان، لا بالغيرة على هذا الوجود، وهذا الوجود، وذاك الوجود.

لاننا ما لم ننظف هذا الشعور ونحن في غمرة الامتحان القاسي المرير، ما لم نستطع على اقل تقدير ان ننتصر في معركة تغيير هذا الشعور، وفي معركة ايجاد شعور نظيف تجاه هذا الامتحان، ان لم نستطع ان نغيّر هذا القدر الضئيل من نفوسنا، كيف نطمح ان نبني انفسنا ككل؟، وكيف نطمح ان نبني المسلمين ككل؟، اذن منطلق الحديث هو هذا الشعور الذي يواجهه الانسان الممتحن تجاه محنته.

كيف يكون هذا الشعور؟

كثيراً ما توجد محنة، وتولّد مشاعر متعددة، وبالرغم من وحدة المحنة تختلف هذه المشاعر في درجاتها ومستوياتها تبعا لاختلاف التصور

---

(١) نداءات صوتية للشهيد اثناء محنة الحصار اليتيم.

والتفكير، ولاختلاف الروحية والاتجاه. وان اختلاف الشعور يؤدي لا محالة إلى اختلاف الموقف الذي يتخذه الممتحن تجاه محنته.

مثلا هناك محنة يعيشها العراق منذ سنين، محنة صراع مسلح بين اخوين مسلمين في الشمال، بين الاكراد وبعض العرب.

قد يكون شعور بعض الناس ازاء هذه المحنة ان كلفته ولده، أخاه، صديقه، قد يعيش هذه المحنة على هذا المستوى، ويشعر بها بهذه الدرجة، وهذا هو الشعور الشخصي المحدود بالمحنة.

وموقفه ازاء هذا الشعور ان يُهرّب اخاه، او اباه، ان يتهرب من واجبات القانون حتى في مأساة من هذا القبيل، ولا يرى له واجبا وراء ذلك.

واخرى يتعمق هذا الشعور اكثر فاكثر، فيكون شعوره ازاء المحنة شعورا اقليميا على اساس ان ابناء البلد والواحد يتصارعون ويتنازعون فيما بينهم، وهذا الشعور والانفعال الاقليمي تجاه المشكلة يؤدي إلى اتخاذ موقف اوسع من الموقف الاول، إلى موقف يفكر فيه بأن يعيد الصفاء والسلام إلى ابناء البلد الواحد.

وقد يكون شعوره أعمق من هذا وذاك، قد يشعر ازاء المحنة ان المحنة هي نتاج عدم تطبيق شريعة الله تعالى على هؤلاء المسلمين، ان عدم تطبيق شريعة الله عليهم هو الذي ادى إلى تعميق التناقض بين الاخ واخيه حتى ولدت مشكلة بين هذا وذاك، وتصارع الكردي والعربي.

ان هذا الشعور سوف يولّد موقفا يختلف عن الشعور السابق الاقليمي او الشعور الاسبق الشخصي، سوف يجعله هذا الشعور يحمل هم الشريعة ويصل إلى السبب الحقيقي لهذا التوتر»[1].

---

(١) مجلة الرياحين ـ العدد السابع ـ الصفحة ١٦.

من ذلك المنحى التوحيدي الصارم الذي اخذ الصدر على نفسه ان يلتزمه مهما كلف الثمن ـ كان الصدر حبيب المسلمين جميعاً بلا استثناء، وقد عشقوه لاسيما في عراق المكرمات على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم، وصار فكره العملاق منارة لهم، وغدت كتبه الباهرة الفريدة مدرسة لعقولهم، ومستقى لبصائرهم، تدرس في جامعاتهم وحلقاتهم، وهم لا يشعرون الا انها تمثل الفكر الاسلامي في اوج صفائه ونقائه وسعته، بعيداً عن الضيق، والانغلاق، والفئوية، والتشرذم.

الشهيد الصدر الثاني

لا ريب ان مسار هذا الشهيد الكبير، ومسيرته، وما بدر منه في حياته، وما خلفه بعده من خط وتراث ومنارات وطاقات ـ كلها تحكي عمق قضية المنهج الوحدوي، وقداستها، واصالتها، وضرورتها عنده رضوان الله عليه.

وكانت مفردة التأليف بين قلوب الأمة، وجمعها في بوتقة الاخاء الاسلامي والوطني، مفردة حساسة ولازمة في مشروعه التغييري الفذ الذي مشى فيه نحو مطلع الشموخ على جمر الاذى والتضحيات، ولا عجب فكل مبدع مخلص دفع ضريبة اخلاصه وصدقه من رد الفعل الذي يولده الجهل، والحماقة، وانفعالات الغيظ والحسد.

وقد فتح الشهيد ابواب مشروعه التوحيدي على مصراعيها، وعلى مختلف الاصعدة.

فعلى صعيد الحوزة دعا رجالها ورموزها إلى الالتقاء والتفاهم والتعاضد، واعلنها صريحة جاهرة من على منبر الجمعة في الكوفة ـ دعوة اخوية صادقة لكل كيانات الوسط الحوزوي إلى الجلوس معاً على مائدة

الحوار البناء، ونبذ الخلافات والحساسيات، والانطلاق في مسيرة الاخاء الريادي بين الفصائل القيادية الحقيقية التي ان لمت شملها، وجمعت كلمتها، كانت شرائح الامة التي تقتدي بها وتسير على هداها على شاكلتها في التآخي، والوداد، والوقوف جنباً إلى جنب في كل خطى المواقع والخنادق، ليكونوا لرموزهم صفاً واحداً يلبي لهم كل نداء، ويؤدي لهم افضل الاداء.

وعلى صعيد الامة انطلقت نداءاته وبرامجه التوحيدية تفعل فعلها العجيب في مشروعه الوحدوي الباهر، دعا العشائر إلى الوحدة، وجعل من نفسه قطب الرحى لأخائها ووحدتها، ورتب لها (السنينة العشائرية) التي اراد ان يجمعها بها على محور الشريعة، ويخرجها بالتدريج من متاهات العرف والعادات والتقاليد الجافية الخارجة عن روح الدين وتعاليمه السامية.

ووجه نداءه الحاني الحبيب حتى إلى الغجر الذين عزلتهم عن الامة ظروفهم وعاداتهم وتربيتهم الخاصة -إلى ان يعودوا إلى رحاب الالفة، والمحبة، والأنسجام، والاستقامة، مع امتهم ورسالتهم. وكان نداؤه الوحدوي البديع لامته في البرنامج الجامع للقلوب والاجساد وهو (صلاة الجمعة) التي بقيت قروناً متطاولة في ارض الرافدين حبيسة الحظر والحجر بين اطواق السلطة والاحتياط الفقهي الحجتي.

لقد احيا الصدر هذه الفريضة المظلومة، وشد في لحمتها صفوف الامة، وجمع في اطارها الوفها بل ملايينها، وشد بعراها ازرها، وقوى بأواصرها ظهرها. جمعها بها في مناطقها ومحافظاتها، ثم جمع محافظاتها بها في الصلاة الموحدة، لتسمع شعاراته الجامعة (نعم نعم للاسلام، نعم نعم للحوزة، كلا كلا امريكا، كلا كلا يا شيطان)، فالتقت جموع الامة في

جمعتها، وتصافحت ايدي لم تكن لتتصافح فيما عداها، واحس كل عضو في جامعة الجمعة انه من العضو الآخر كمثل اعضاء الجسد الواحد، لا غناء لاحدها عن غيره، بل لاحق لاحدها في ان ينفصل عن هذه التركيبة الواحدة العابدة، في سرائه وضرائه.

وان أيسر ملاحظة لما تركه الشهيد الصدر الثاني من بعده من معالم الخط والمسار، او طبيعة التوجهات التي مشى عليها اتباعه ومريدوه اقتداء به وهم سواد الامة لقيادة من تربوا على انفاسه ورؤاه - تكشف مظاهر شامخة للانطلاقة الوحدوية التي اسس لها، ورفع القواعد من كيانها، وحدد معالمها، فاتباعه الاستيعابيون المنفتحون مثلاً يصلون خلف اخوانهم السنة في مساجدهم حيث لا يشعرون باية حساسية مذهبية، ولا يجدون في انفسهم حزازة من هذا الامر، ما داموا قد استلهموه من روح الريادة والموقف لدى مرجعهم وزعيمهم وامامهم الصدر. وقد تجلت مظاهر هذه الاسس النفسية والتربوية الوحدوية لدى هذا الخط بعد الاحتلال تجلياً كبيراً، وظهر بمصاديق ومفردات ملفتة للنظر، انتقده عليها المتحجرون الذين يضيقون ذرعاً بغيرهم، والمنغلقون الذين تسوؤهم الالفة مع سواهم، واتهموه بالانحراف والضلالة والبعد عن جادة المذهب، وتغاظمت هذه التهم حين انطلق رموز هذا التيار يذيبون انفسهم جاهدين في اطار الوحدة الشاملة التي تتطلبها ظروف الاحتلال، وفريضة المقاومة، ودواعي المحنة المشتركة.

وصار اللقاء السني والشيعي على مستوى الكوادر، والطاقات، والفصائل، والقواعد امراً اعتياديا لدى جماهير هذا الخط الذين انسوا بمظاهر هذه الوحدة، واستعذبوها، ووجدوا فيها بشير خير للاسلام والامة في اخطر الظروف، واشد المحن، وأدعاها إلى التآصر، والتناصر، وجمع

الشتات، والعزوف المطلق عن أي حالة من حالات التخندق الطائفي، والتناحر المذهبي، والتهاتر الاثني.

وليس خافياً على ذي لب حقيقة ما تعرض له هذا التيار بسبب مرتكزاته الوحدوية الزاهرة من مؤامرة كبرى استهدفت شخصيته بالدرجة الاولى، ثم هذه الالفة القائمة بينه وبين اخوانه في الاسلام من أهل السنة الكرام، حيث قام اعداؤه واعداء هذه الامة والوحدة الاسلامية بالتظاهر بزي جيشه (جيش المهدي) وبشعاره وعنوانه، والهجوم على مساجد اهل السنة ورموزهم وائمة مساجدهم، وقد سعوا لايجاد شرخ كبير بين هذا التيار الميمون والساحة الاسلامية السنية التي رأت فيه أملاً من آمال الخلاص، وحصناً من حصون الوحدة، فمدت يدها اليه، وصافحته بكل حرارة، وهتفت له، واعلنت دعمها له في محنته، لتجزبه بالاحسان على ما كان منه من الاحسان في دعمه لها ومساندتها ومواساتها في آلامها ومآسيها، وقد افلحت المؤامرة في بعض مفرداتها، وثارت التهم، وتكدرت الاجواء، وسعى التيار إلى دفع الفرية، ووضع الاصبع على موضع الكيد الذي ليس هو سوى الاحتلال واذنابه وسياسة فرق تسد.

والمضحك في البلايا وهو شرها طبعاً أن تتناوب على هذا الخط تهمتان متضادتان، وقفتا ازاءه ترميانه بسهامهما عن يمين وشمال، واحدة متحجرة تنبزه بالسنية والوهابية، واخرى كائدة تصمه بحرب اهل السنة. والمنصفون في هؤلاء يتذكرون ان هذا التيار وعلى لسان قائده وفي ثورة العصاب المرير والهياج الديني العاطفي بعد تفجير مرقد الامامين العسكريين، قد أمر ـ انسجاماً مع توجهات المرجعية ـ اتباعه بضبط النفس، وحماية مساجد اهل السنة ومؤسساتهم ورموزهم من أي اعتداء، وهذا ما

حصل فعلاً، فاي مؤشر اقوى من هذا المؤشر على تزكية الخط من هذا الافتراء الظالم والبهتان العظيم.

ان الامر المهم الذي لا يصح ان يفوت ذكره هنا هو ان الشهيد الصدر الثاني قد نبت في مدرسة استاذه العملاق الكبير الشهيد الصدر، وهي مدرسة الاسلام في عمقه، وشموله، واستيعابه، واصالته، واسسه المتينة القائمة على التوحيد والوحدة.

وقد تفردت مدرسة ذلك الاستاذ العظيم بكونها مدرسة ثورية تغييرية على اساس الفكر المهيب للشريعة: وقد جعلت همها وهدفها نجاة كل الامة، وتدرّعت بفصائلها وشرائحها بلا استثناء، ونادتها كلها كما رأينا فيما سلف نداءً واحداً بلا تمييز، تهيب بها للألتفاف حول المسار الواحد نحو الهدف الواحد وهو العودة إلى رحاب الله الانوس، واقامة دولته في ارضه، لتعود امجاد الاسلام المذالة، ويطلع لواؤه الفذ الذي ارغم على الانزواء والانطواء خلف اطواق التعتيم والتضليل والاغواء.

عبقات وحدوية صدرية

١- أوفى البحوث في الوحدة وأعمقها -بحث جذاب كتبه الشهيد السعيد لمجلة الاضواء في الستينات، و مما جاء فيه:

«وحدة الصف من الامور الجوهرية الحساسة لحياة كل امة، ونجاح كل حركة، ونيل كل شعب حقه من العدل والحياة، وبدونه لا يمكن ان ينال هدفا، وان يرقى سلم النجاح في اي عمل اجتماعي عام.

وقد اصبح هذا المفهوم في ايامنا الحاضرة واضح المعالم، بديهي الصحة، بعد ان اثبتت التجارب في واقعنا الحياتي المعاش صحته وجدواه.

والاسلام بصفته حركة اصلاحية عالمية شاملة، تستهدف قيادة البشرية جمعاء نحو شاطئ العدل والنور يحتاج الى وحدة في الصف، وتكتيل في الرأي، ومركزية في العاطفة اكثر من اي حركة اخرى تقصر عنه في الاهداف، او تقل عنه في المخططات.

اذن لا بد للاسلام وهو بهذه السعة والشمول ان يحكم خططه، ويدقق في اتجاه عمله، وان يزيد من هدى اصحابه وذويه، من حيث ايمانهم بالهدف الكبير، واطلاعهم على عوائق الطريق، والتفافهم باخلاص عظيم حول قيادتهم الاسلامية، وهي تسير بهم نحو الكمال المنشود.

ومن هنا رأينا التوجيهات الاسلامية وتأكيداتها المتواصلة للمسلمين على رص الصفوف، وتوحيد الكلمة، وتكتيل العمل، قد اثرت في نفوس مسلمينا الاوائل تأثيرا بالغا، ونجحت في تحقيق مهمتها نجاحا منقطع النظير. هذا النجاح وذلك التأثير الذي جعل المسلمين كتلة متراصة واحدة، تفتح رقعة واسعة من العالم في غضون اعوام قليلة.وقد كان بالامكان ان يشمل الفتح الاسلامي تمام الكرة الارضية لكي يسود العدل والرفاه ربوع البشر اجمعين لولا انشقاق الصفوف والاختلافات في ايام الفتح المتأخرة، تلك الاختلافات التي لا زلنا نجتر من آثارها الشي الكثير، وما حدث مثل هذه الخلافات الا من تناسي تعاليم الاسلام، وصرف النظر عنها، والتأكيد على المصالح والاهواء... .

من اهم عناصر النجاح في الدعوة هو وحدة الصف، ومركزية العاطفة، ومن ثم فقد جعل الاسلام في اذهان معتنقيه صورة مفصلة عن ذلك، يحمل احد جوانبها صورة واسعة لمساوئ التفرق والاختلاف، وما يجره على اصحابه من شر ووبال.معتمدا في ذلك على التجارب الفعلية التي

كانت تعيشها الدعوة الاسلامية في ذلك الحين. ويحمل الجانب الاخر صورة مفصلة عن محاسن وحدة الصف الفعالة في سرعة النجاح واكماله وتوسيعه، معتمدا ايضا في الاستدلال على ذلك بالتجارب التي كان يعيشها المسلمون في تلك الايام.

ويعمل الجانب الثالث والاخير الفصل المهم من هذه الجوانب جميعا وهو توضيح الحد الفاصل عند حدوث الاختلاف، وتفرق الاراء حول اي امر من امور العقيدة والحياة، ليتدارك بسرعة ولباقة قبل ان يتفاقم اثره، ويتطور الى ما لا تحمد عقباه...

يبدأ القرآن اولاً بتوجيه تعاليمه الى المسلمين كافة بتوحيد الصف، والاخوة، والتصافي على اساس من المنبع الالهي الفياض (واعتصموا بحبل الله) بامر الله وعهده اليكم، ولا تفرقوا، فهذا هو الاولى بكم والاجدر بان يوصلكم الى كمالكم وسعادتكم، وتطبيق قوانين دينكم، فان كل هذه الثمرات الطيبة لا يمكن ان تجنى عند التفرق والاختلاف.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾(١) ومنه بالوجود، وفتحه لكم فرصة التعقل والتفكير، واخيرا هدايته لكم الى توحيده، والاخلاص له، واتباع دينه الحنيف ﴿إِذْ كُنْتُمْ﴾ قبل دخولكم هذا الدين ﴿أَعْدَاءً﴾ متخاصمين متكالبين على حطام الدنيا، جاعلين اقصى همكم هو السيطرة، واعلى مثلكم هو المادة، اما عند انبثاق نور هذا الدين الجديد في قلوبكم، فقد

(١) سورة المائدة: الآية ٧.

تساميتم فوق هذا المستوى المنحط الى الافق الالهي النير،حيث الكون الرحيب والحياة الفضلى.

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بما انزل عليكم من نعمة الاسلام، وبما منّ من الهداية الى الصراط المستقيم، فوحد به بينكم برابطة قوية خالدة تجمعكم في العقيدة والعاطفة والهدف.

وهكذا يحافظ الاسلام ويضع التدابير الحاسمة لخلق هذا العنصر للنجاح، فان وحدة الصف لن تكون تامة ومترابطة وخالدة الا اذا كانت قائمة على عقيدة راسخة وخالدة ايضا، اما بدون وحدة العقيدة فلن يوجد الا التفرق والدمار، وليس ادل على ذلك من حالهم قبل الاسلام، تلك الحال التي اشار اليها القرآن بقوله ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً﴾.

اما الان وبفضل هذا النور الخالد (فاصبحتم بنعمته اخوانا) فالمسلم اخو المسلم، ولئن كانت الاخوة في النسب اذا لم تصاحبها اخوة في العقيدة، كثيرا ما يشوبها الاختلاف والتشاحن لاختلاف الاغراض والمصالح، فان ذلك مما لا يمكن ان يحدث في اخوة العقيدة، بعد ان كانت العقيدة نفسها، وهي اثمن جزء في النفس هي القدر المشترك الكبير بين القلبين....

لذا يبادر القرآن بعد تلك التوجيهات الثمينة الى الوقوف امام هذا الخطر المحتمل، وسد بابه وهو يقول:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ فلم يستطيعوا ان ينالوا في ايمانهم خيرا، وهذا سند تاريخي يعطيه القرآن، مذكرا المسلمين بامم انزل الله اليهم الهداية، واراد لهم الخير والصلاح، الا انهم لقصر نظرهم، وضيق نفوسهم، وتشبثهم بطحالب المصالح الوقتية

الزائلة، لم يستطيعوا المحافظة على نعمة الله، ولم يتمكنوا من صيانتها ورعايتها حق الرعاية، وذلك لانهم اختلفوا وتفرقوا بعد ما جاءتهم البينات، فلم يستطيعوا ان ينالوا في ايمانهم خيرا... .

ان الجماعة انما تتكون والجيش انما يستقيم امره بالوحدة في الرأى والتآلف على اساس العقيدة والهدف المشترك، اما الجماعة التي تتكون لمجرد تجاوز الاجسام (وقلوبهم شتى) فانها ليست في النظر الدقيق بجماعة على الاطلاق، وانما هو احد اوهام الحس البصري، بعد ان لم تكن تجمعها رابطة، ولا يخاف منها اي خطر.

(ذلك بانهم قوم لا يفقهون) اذ لو كانوا ذوي تفكير سديد وبعد نظر لادركوا مصالحهم، ولعلموا ان وحدة الصف، واتفاق الكلمة من ضروريات مكافحة العدو المشترك... .

لذا نرى القرآن بعد خلوصه الى هذه النتيجة الرائعة ينادي بصراحة ووضوح: (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وهذه الآية وان كانت واردة في مورد القتال الا ان تكوين هذا البنيان المرصوص ضروري لكل عمل من اعمال الدعوة وفي سبيل الوصول الى اي هدف من اهدافها، مهما سهل وصغر... .

ان وحدة الصف، وتضامن الكلمة، وتأليف القلوب، انما هي فيض من الله ونعمة من نعمه الكبرى عزّ وجل، وما ذلك الا لان وحدة الصف ثمرة مهمة من ثمرات العقيدة، والعقيدة بنفسها هي نور الهي، ونعمة من نعم الرب الرحيم، تفضل بها لهداية البشر، واخراجهم من ظلمات الجهل والضلال الى افق النور والحياة.

كما ان وجود العقيدة في المجتمع غير مُجد للشخص الا اذا انضم اليها التوفيق الالهي له بان يهتدي ويرشد، وان تلامس اوتار قلبه انغام الايمان، لكي يستطيع بهذا الايمان ان يتخذ مكانه اللائق في الصف الموحد بين اخوانه في العقيدة، وان يمزج عاطفته مع عواطفهم ووجدانه بوجدانهم... .

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾(١) وهو الذي انعم على نبيه ﷺ ايضا بتأليفه بين قلوب اصحابه وتوحيد كلمتهم، بواسطة تلك العقيدة السامية التي انزلها بينهم والتاييد الالهي الذي رزقهم.

وهذه الاخوة الصادقة والتاليف الحقيقي بين القلوب ذلك التاليف الذي يمكن ان تجنى منه ثمراته الكبرى المطلوبة يانعة شهية، اما الاخوة القائمة على اساس المادة، والصفاء الحاصل من توافق المصالح الضيقة، فهو تأليف صوري لا يحتوي على اي مغزى او روح، وانما هو موجود سطحي ظاهري من الوهج العاطفي، سرعان ما يخبو وينطفئ عندما ينطفئ سببه ويخبو، وما اسرع ما يكون ذلك في المصالح الضيقة والمادة المقيتة.

ويقرر القرآن هذه الحقيقة قائلا: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾(٢) فان التأليف الحقيقي ما لا يمكن ان يجنى ببذل المال مهما كثر او زاد، وانما المطلوب هو التأليف على العقيدة والاخوة في الله، وليس للمال في ذلك اي اثر: (ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم).....

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

هذه المراحل كلها اذا انتهت بفوز ونجاح، وتكللت باهدافها الكبرى، فان ذلك مما يستدعي من الحيطة والحذر اكثر فاكثر، فان الضمانات لوحدة الصف، واتفاق الكلمة مهما كانت قوية، ومهما كانت التأكيدات عليها شديدة، الا انه من المحتمل ان يدخل عنصر الضعف الانساني في الموضوع، وتندس الى الحركة في بعض مراحل تطورها بعض الاخطاء والعقبات التي تهددها بشر مستطير.

اذن فمن المنطقي جدا ان نحذر من التفرق والاختلاف كل الحذر بعد ان رأينا آثار هذا الخطر الرهيب على معسكر الكافرين، وان نضع الضمانات الكافية لذلك، لئلا يندس اثره الى صفوف المسلمين.

وينبغي ان يكون الضمان قويا وحاسما، واشد تأثيرا بكثير من الضمان الذي استطعنا ان نحدث به الاتفاق والوحدة، فان الظروف التي يحدث فيها الاختلاف، تكون عادة اخطر واعقد بكثير من الظروف التي يمكن ان تحدث الاخوة والوفاق.

وقد تصدى الاسلام لذلك، فاحكم خططه، وسدد نظره، واعطى المشكلة علاجا حاسما غير قابل للتأويل والتبديل، حيث امر المسلمين عند بروز اي اختلاف بينهم بالرجوع الى نفس المصدر الذي استقوا منه عقيدتهم ودينهم، فانه المصدر الحكيم، وان قوته الفصل في اي شأن من شؤون المسلمين.....

ويستنتج القرآن من ذلك نتيجة طبيعة واضحة، هي ان رفض الرجوع الى الله والرسول حين الاختلاف، وتفضيل الرجوع الى غيره في ذلك، هو من شأن المنافقين الذين يظهرون الايمان، ويبطنون الكفر، حيث يقول جل

وعلا: (واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا)

وليس معنى الرد الى الله والرسول هو الرجوع اليهما مباشرة، ليقال ان هذا مما لا يتيسرالا لمن كان متصلا بمصدر الوحي في زمن الرسول الاعظمﷺ وانما المقصود من ذلك هو الرجوع الى ذلك المصدر او الى من جعله حجة بيننا وبين الله... .

بعد هذه الجولة المفصلة بين آي القرآن الكريم وارشاداته نكون قد عرفنا كيف ان القرآن قد اعطى الدستور الكامل والتصميم الدقيق لضمان وحدة الصف واتفاق الكلمة، وليس علينا بعد ذلك الا ان نفتح لذلك قلوبنا، ونقدم عقولنا، لنتفهمهما، والاستضاءة بنورهما، والاخذ من معينهما الفياض المنير، كما قد فعل ذلك اخواننا المسلمون في مبدأ الدعوة الاسلامية رضي الله عنهم اجمعين)[١].

٢ـ المفاصل الإساسية للوحدة

هذه النقطة وما يليها هي مجموعة مفاهيم توحيدية طرحها الشهيد السعيد في خطب صلاة الجمعة.

(الاسلام هو دين الوحدة، والاخوة، والتماسك، والرحمة، والانسانية، واللطف، والتعاطف على مختلف المستويات التي يمكن ان نعرض المهم منها فيما يلي:

---

(١) مقالات الشهيد الصدر في الصحافة النجفية ـ الصفحة ١١٣ـ دار المجتبى.

المستوى الاول: وحدة الحوزة العلمية، واخوةً اعضائها، والمشاركين فيها في الهدف المشترك مهما تباعدت بعض المصالح والاهواء والاساليب، وهذا واقع لا مناص منه ولا خلاص، وهو مطبقٌ فعلا فاننا جميعا في الحوزة يد واحدة، وروح واحدة، كلنا يعمل لمصلحة الدين، وكلنا يتصرف في حدود استطاعته وفهمه باتجاه الهدف المشترك، وهو عز الاسلام، وارتفاع وعظمة كلمة التوحيد في كل زمان ومكان، وتكثير طاعات الله سبحانه في البشرية، وتقليل معاصيه بين البشر، وكلنا ضد من ناوانا وعادانا، لان من عادى الحوزة فقد عادى الدين، ومن كاد للحوزة فقد كاد للدين، ومن اعتدى على الحوزة فقد اعتدى على الدين، وليس هؤلاء الناس باشخاصهم بطبيعة الحال، والحوزة واحدة في كل مكان وزمان، لانها تتوحد بوحدة العاطفة، والعلم، والعمل، والهدف، وكله واحد بحسب توفيق الله تعالى، فليس هناك حوزات متباينة، او مختلفة فيما بينها في النجف، وفي قم، وفي سوريا، وفي لبنان، وفي خراسان، وفي البحرين، وفي القطيف، وفي الاحساء، وفي الباكستان، وفي الهند، وفي غيرها من بلاد الله، بل كلهم رجل واحد، وقلب واحد، ويد واحدة، وعلم واحد، لمصلحة الدين وشريعة سيد المرسلين، وضد العدو في كل جيل، وفي كل مكان وزمان.

المستوى الثاني: وحدة المؤمنين في المذهب الواحد مهما تكثرت اعمالهم، وطبقاتهم، ومستوياتهم، وعواطفهم، فانهم ما داموا يشعرون باهمية الدين، واهمية ولاية امير المؤمنين عليه افضل الصلاة والسلام، وعصمة القادة الائمة المعصومين سلام الله عليهم، فهذا يكفي تماما لان يكون الفرد مندفعا نحو طاعة الله، متحمسا نحو الهدف المشترك،

واقفا ضد العدو المشترك، منجزا مصلحته العادلة الشخصية والاجتماعية، مبتعدا عن الذنوب، والعيوب، والموبقات، ومن لم يكنْ كذلك فنتمنى ان يكون كذلك في اقرب وقت، وبحسن توفيق الله وتسديده.

المستوى الثالث: الاخوة في الاسلام وهي الاهم والاتم، لانها تشكل حجر الزاوية في المبعث النبوي الشريف، لان المبعث مبعث الاسلام، فالاخوة في الاسلام هي الرئيسة، لان القرآن واحد، والنبي واحد، والقبلة واحدة، والدين واحد، والهدف واحد، وان اغلب الاختلافات بين علماء الاسلام طبيعي، وموجود بين اي تفكيرين او اي مفكرين، وليس ذلك بعيب، ولا يشكل نقصا حقيقيا، ولا ينبغي ان يكون سببا للعداء والتضارب والتحارب والعياذ بالله، وانما الهدف مشترك، والعمل مشترك والعدو مشترك، وخاصة ونحن نعيش في اشد العصور حاجة الى ذلك، لتكالب الاعداء ضد الاسلام، ومكرهم من داخلهم، ومن خارجهم، وبيدهم السلاح، والمال، والتخطيط، والاعداد الكامل، في حين نجد المسلمين والمخلصين عُزلا من كل ذلك، وهذا هو الامتحان الالهي الاتم والاكمل ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1] ومثل هذا الظرف، وهو الظرف الدائم والمستمر، وربما لمئات السنين، يعطينا وجوب الشعور بالوحدة، والتماسك، والتضامن، وقوة الايمان، لكي نستطيع ان ندفع المؤامرات، ونُكفى اكثر ما هو مستطاع من الشدائد والمظالم التي يريدها لنا العدو المشترك المتمثل بالثالوث المشؤوم وهو الاستعمار الاسرائيلي

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

الامريكي البريطاني قبحهم الله، والامر هنا كما قال احد الاعضاء في دار التقريب بين المذاهب الاسلامية ـ كانت موجودة، الى عهد قريب حيث قال ما مضمونه: (انه ليس المراد في هذه المرحلة من العمل والتفكير هو ان نجعل الشيعيين سنيين او نجعل السنيين شيعيين، وانما المهم هو التمسك بالدين المشترك، وهو الاسلام، والقيام ضد العدو المشترك، وهو الكفر والالحاد المتمثل بالاستعمار وانصار الاستعمار،بطبيعة الحال ان مجرد التفكير في هذه الوحدة قلبيا وعقليا لهو مرحلة مهمة وجيدة ونافعة تكفي في نتائجها عدم توجيه الحقد والعداء ضد بعضنا البعض- والعياذ بالله- من مختلف مذاهب الاسلام، وانما اختصاص توجيه الحقد والعداء ضد من هو اهل لذلك، وهو العدو المشترك المتمثل بالكفر والاستعمار،ويقول المثل (انا وابن عمي ضد الغريب) كما يقول المثل في عادات العشائر، ربما تعرفونها (انه قد تكون قبيلتان متعاديتين فيما بينهما متقاطعتين بشدة الا انهما حين يجابههما العدو المشترك وتغيرعليهما قبيلة ثالثة يكونان يدا واحدة، وعملا واحدا، وقلبا واحدا تجاه هذا العدو المشترك، فاذا دفعوه واستراحوا عادوا الى العداء من جديد فيما بينهم) ومن الواضح اننا لم ندفع العدو المشترك الى الان بل لا زال في تزايد ومرارة، ولا اقل ان يُحذر كل واحد منا مهما كان مذهبه، ومهما كان عمله، ومهما كانت طبقته، ان يحذر من ان يكون معينا ضد نفسه، وضد اسلامه، بيد او لسان مهما كان قليلا او كثيرا، يُضاف الى ذلك الالتفات الى ان عمل بعض المذاهب ضد بعضها كما يحدث الان من الوهابيين مع الاسف كما قد يفترض حدوثه من اية جهة كانت، يكون بكل تأكيد عملا مبرمجا، وموجها في مصلحة الاستعمار، ولا يستفيد من ذلك الا العدو المشترك واسرائيل من حيث نعلم او لا نعلم، بينما لا يستاء

العدو المشترك الامن التحاب، والتعاون، والالفة بين المؤمنين والمسلمين، ونحن مأمورون في القرآن الكريم ان نُسيئ الى قلوبهم، كما قال تعالى في محكم كتابه الكريم: (ولا يطأون موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح).

اذن فالاخوة مطلوبة في الاسلام على كل حال وهذا بطبيعة الحال، ليس من طرف واحد، بل من كل الاطراف، وليس كلامي هذا استجداء للعاطفة، لاننا لا نخاف من غير الله سبحانه، وانما هو لاقامة الحجة، والفات النظر لمن يريد ان يستجيب الى داعي الله، ونصوص الكتاب الكريم، والسنة الشريفة، ويكون ذلك في مصلحتهم اولا، وفي مصلحة الاسلام ثانيا، ودفعا للعدو المشترك ثالثا، وهذا لا يعني من ناحية اخرى عدم اهمية الحفاظ على المذهب، والعناية بمصالحه ومصالح طائفته، فان هذا ضروري ايضا امام الله سبحانه وتعالى لانه الحق الذي نؤمن به، ولكن ينبغي ان يكون عمل اي مذهب، او قل عمل اي مسلم، بحيث لا يضر بالمذاهب الاخرى ـ لا اقل بهذا المقدار ـ تحصيلا للوحدة الاسلامية، والتكاتف المحمدي، او قل يجب ان لا يعمل اي مسلم عملا يفيد به الاستعمار، ويوجد الفرقة والازعاج في المجتمع الاسلامي، ومن عمل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، حتى لو كان هو السيد محمد الصدر نفسه.

المستوى الرابع: الشعور بالوحدة والتضامن مع الثورة الفلسطينية المجيدة التي كانت ولا زالت تعطي سيل الشهداء انتصارا للحق المغتصب. واحتجاجا على الظلم المكثف، والاجحاف الحقيقي في تلك البلاد المسلمة من قبل مستعمريهم اليهود.

فنحن نعمل من هنا تأييدا لمجمل الحركة الفلسطينية، والثورة الفلسطينية، ونخص بالتأييد منهم اولئك الذين يشعرون بمسؤليتهم الاسلامية، وعاطفتهم الدينية، وهم الاعم الاغلب فيما اعتقد، وننصح الباقين منهم ان يميلوا الى هذا الطريق، ويلتفتوا الى الدين الحق، فيصلحوا بذلك دنياهم وآخرتهم، ولا تغرنهم الشعارات البراقة التي لا تفيد في الواقع الا الابقاء على اسرائيل وقوتها، كما ثبت ذلك، ولا زال يثبت بالتجارب المستمرة.... هذا ومن الواضح دينيا ان الثورة الفلسطينية وان كانت هي ثورة الشعب الفلسطيني، الا انها ثابتة في ذمم المسلمين جميعا، بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم ودولهم، لكي يكونوا يدا واحدة، ومتعاونين دوما على الفعالية والجهاد ضد اعداء الله والاسلام كما ورد في السنة الشريفة (المسلمون يسعى بذمتهم ادناهم) - يعني يسعى كلهم حتى ادناهم، افضلهم وادناهم جميعا — وهم يد على من سواهم) اي انهم يد واحدة، وخندق واحد ضد كل الاعداء المتربصين والكفار والمعاندين.

٣ ـ تعدد العناوين لا يضير وحدة الكيان

نحن نرى الان ان كل جماعة او مجموعة تنسب الى راعيها وقائدها والرئيس الموجه لها على الصعيد الدنيوي او الديني، فنقول مثلا ناصريين لاصحاب جمال عبد الناصر، وخالصيين لاصحاب الشيخ محمد الخالصي، وسيستانيين لاصحاب السيد علي السيستاني، وصدريين لاصحاب السيد محمد الصدر، هذا معاش، وكلكم رأيتموه، فكذلك قال المجتمع يومئذ عن اصحاب الامام جعفر الصادق عليه السلام انهم جعفريون اي ملتفون حوله،

والمندرجون تحت قيادته وعقيدته واهدافه، وينبغي الان التنبيه والالتفات الى امرين:

الامر الاول: انه طبقا لهذا التسلسل الفكري فان نسبة الجعفرية الى الامام الصادق، ليس كعقيدة او دين مستقل، كلا ربما يظهر من بعض عبارات العوام حين يقولون ـ وكانت اهزوجة قديمة يتناقلها الناس ـ ماكو ـ لا ـ ولي الا علي، والدين دين الجعفري ـ الذي يوحي ان الجعفرية دين مستقل في مقابل الاسلام ـ والعياذ بالله ـ هذا من جهة، وكما كان عليه التبليغ المعادي في سنوات قديمة، قد تضاءل اثره الان بحمد الله او زال حين كانوا يقولون المسلمون والشيعة، فهذا من داخلنا موجود، ومن خارجنا ايضا، وكلاهما نحن بريئون منه الى الله، والله الان يسمع ويرى وهو بالافق الاعلى، بل ان تعليم الامام الصادق هو الاسلام بعينه، وهو الاسلام قبل ان يكون مذهبا، ولا قيمة لمذهب ما لم يكن في ضمن الاسلام كما هو اوضح من ان يخفى.

الامر الثاني: ان الوعي الديني والاجتماعي يتنامى في المجتمع بين مختلف الفئات، ومختلف المذاهب بعون الله وحسن توفيقه الان، وهذا جعل التحزب والتعصب والطائفية يصلان الى اقل مقدار ممكن منها بحمد الله ولطفه.

٤ ـ دعوة الإخاء حتى لمن لم يناصروه.

اني اوجه كلامي الى المؤمنين الذين الى الان لم يناصروا السيد محمد الصدر، ولم يكونوا معه سواء في داخل الحوزة او في خارجها، اهلا

بكم وسهلا بين الجمع الحافل بالتقوى، والشرف، والفضائل، وان من احسن الكلمات التي قالها الاسلام والقرآن وكل كلماته حسنة:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

ولا حاجة الى استمرار التباعد، والتباغض، وتبادل التهم، والاشكالات، بل تعالوا نتفق ونتصاحب ونتحابب في الله وفي ولاية اميرالمؤمنين وفي المذهب، وفي الدين، وبابي مفتوح وقلبي مفتوح لكم جميعا مهما كنتم، ولا اريد منكم شيئا الا الاخوة في الله وفي رسوله، وفي ولاية امير المؤمنين. وتبقى التفاصيل الاخرى ثانوية يمكن المناقشة فيها بالتدريج، يكفي ان لا تكون في اختلافاتنا وانشقاقاتنا خدمة للعدو المشترك، لاسرائيل، والاستعمار، ولكل من هو بعيد عن الله وعن رسوله، فما دمنا تجمعنا الروابط الحقيقية المقدسة، فلماذا لا نتحد ولا نتقارب، ولا نتآخى؟، ولماذا ننصر عدو الله وعدو رسوله، من حيث نعلم او لا نعلم؟ فما دامت هذه الحياة موجودة عندي، والنفس يصعد وينزل، فاني ارحب بكم بكل قلبي، واعذركم وتعذرونني ان كان حصل بعض الشيئ مني او ممن يرتبط بي، او ينتسب الي، ونفتح تاريخا جديدا كما قال الشاعر:

من اليوم تعارفنا ونطوي ما جرى منا
فلا كان و لا صارا ولا قلتم ولا قلنا
وما احسن ان نرجع للود كما كنا

٥ـ الصدر يمد يده إلى اهل السنة ويرى منهم بوادر الانسجام

(انني خاطبت اخواننا أهل السنة والجماعة بالصداقة والعلاقة، والحق ان التجاوب واضح ومسر، ومنتج لافضل النتائج .. ان كثيرين من اخواننا

اهل السنة من رجال الدين وغيرهم يحضرون صلاة الجماعة والجمعة عندنا)

٦ـ صلاة الجمعة مفتاح لتوحيد قلوب الامة في كل بلاد الاسلام .

(ينبغي ان نفكر اننا لسنا وحدنا نصلي الجمعة، لا في النجف ولا في خارج النجف، لا في العراق ولا في خارج العراق، ولا في المذهب ولا في خارج المذهب .. فنحن الان ايضا مشتركون عاطفيا تجاه المؤمنين والمسلمين الذين يقيمون صلاة الجمعة قريبا منا او بعيدا عنا) .

٧ـ صلاة الجمعة سبيل الاتحاد بين الامة والحوزة.

(من النقاط المهمة والجليلة التي حصلت بصلاة الجمعة - الاتصال المباشر بين الحوزة والمجتمع، وبين المرجعية والامة، بينما كان الانفصال التام او الغالب موجودا قبل ذلك مع الاسف ... ان للحوزة عدة اساليب للاتصال بالمجتمع منها صلاة الجماعة وصلاة الجمعة) .

٨ـ المطلوب وحدة الامة مع الدين والمذهب والحوزة لا الشخص المعين.

(هناك شيء رئيسي هو ان تحافظوا على دينكم ومذهبكم .. الدين والمذهب بذمتكم، انا لست مهما بوجهي ولا بيدي ولا بعيني انما الشيء المهم هو دين الله)....

(ان كلمة الحوزة هي كلمة الفصل، ولا اقصد السيد محمد الصدر، وانما قصدت الحوزة في كل مكان وزمان) .

٩ـ حضور العلماء في صلاة الجمعة رمز لوحدتهم.

(انكم ـ العلماء ـ اذا تفضلتم بالحضور الى صلاة الجمعة.. يكون في ذلك وحدة للمذهب، ووحدة للدين، وللمصالح الاجتماعية، ان صلاة الجمعة ليست حكرا على احد وانما هي ملك للمذهب).

(لو كانوا ـ العلماء ـ قد حضروا لكان في امكان الحوزة والمذهب مجابهة اسرائيل نفسها بما فينا من تكاتف وتضامن، وعزة لله وحسن توفيق.)، (ولو حضروا لكان الانتصار اكثر، واتحاد الحوزة والمذهب اكثر.)

١٠ـ الرائد الوحدوي يمد يده حتى الى من يئس الاخرون من عودته للصف.

(لا يعجب السامع والقارئ من انني خاطبت الغجر، لانني خاطبت كثيرا غيرهم من الذين يبعد قبولهم، ويرجح تعصبهم واعراضهم ... يا ايها الغجريون لستم اول من خاطبه الاسلام .. ولا اول من خاطبه السيد محمد الصدر، كما لستم اول من يخاطبه .. فانكم لستم اقل عقلا، ولا رشدا، ولا فهما من الاخرين من سائر البشر).

١١ـ اعتبار الصدر فداء لوحدة المرجعية والحوزة، ولا يجوز ان يكون سببا للاختلاف.

(انك ـ اي العالم ـ اذا حضرت فانا سوف اقدمك اماما للجماعة .. وحتى لو اراد ذلك المرجع ان يكون خطيبا، تفضل اخطب وصل بنا، وانا اكون مستمعا، واكون مأموما بخدمتك) .(استمروا على صلاة الجمعة حتى لو مات السيد محمد الصدر، لانه لا يجوز لكم ان تجعلوا موته سببا وذريعة لذلة الاسلام والتشيع، وتفرق الكلمة، وكثرة المشاكل، بل الحوزة الشريفة تبقى بعون الله ..)

الامام السيستاني والوحدة الوطنية

لقد كان السيد السيستاني مشروعاً اسلامياً وحذوياً للخلاص، بدت فيه صفات الرمز الديني الذي شكل الضرورة الريادية في اخطر ظروف العراق، واعقد مشاكل الامة، واقسى صعوباتها ومكابداتها مع المحن والفتن والنزيف المستمر، في ظل استثناء خطير هو الاحتلال المرير، وتداعياته القاسية، وآثاره الاليمة.

لقد كانت معالم هذا المشروع الكبير هي معالم المرجعية الدينية التي عرفت دورها، ووعت ظرفها، وتحملت مسؤوليتها، وصممت على ان تقتحم المخاض العسير بما لديها من طاقة الصبر والاناة والتدبير.

اهم تلك المعالم التي برزت في مسيرته، وتوجيهاته، وخطاباته، وجهوده:

١ـ وعي الظروف المحيطة بالواقع العراقي (ظروف الاحتلال وتداعياته المختلفة)، وادراك ان المحتلين لم يجيئوا محررين، ولاجل ظلامة الشعب وخلاصه من براثن جلاديه، بل جاؤوا لاهدافهم ومصالحهم الاستراتيجية التي فعّلتها احداث ١١ ايلول، والبسوها غطاء الخلاص من اسلحة الدمار الشامل العراقية التي وجدوها وهماً فارغاً ففزعوا إلى الضرب على وتر الحرية والديمقراطية، وحق الاكثرية الشيعية التي ظنوها ستسكر على انغام الوعود الحالمة التي وعدوا هذه الاكثرية بها، ولكنهم فوجئوا بالعكس تماماً، وبان مرجعية هذه الاكثرية ترفض استقبال الحاكم الامريكي في العراق (برايمر) رفضاً قاطعاً كحد السنان.

٢ـ ادراك ان الشعب العراقي المضطهد ولاسيما اكثريته المظلومة منذ امد بعيد كان تواقاً إلى رؤية اليوم الذي يجد فيه نجاته من مخالب النظام

الديكتاتوري الذي حكمه ابشع عقود عاشها في حياته، واذاقه طعم الشقاء بافظع مرارته، وكان هذا الشعب قد بذل منتهى وسعه للخلاص، وقدم على سبيل ذلك آلاف القرابين، لكن قسوة الاستبداد كانت اقوى من قدرته، وحين رأى اسياد نظامه الحاكم يريدون ازالته لاستنفادهم اغراضهم منه وجد ان مصلحته في تغييره تلتقي مع مصلحة اولئك الاسياد، فرضي بالممكن المر على ان يصحح الاوضاع بالطرق المناسبة بعد رفع الكابوس.

٣ـ معرفة ان الحل السياسي هو الحل الأفضل والانسب، لان رفع السلاح سيعيد حمامات الدم بلا طائل، خصوصاً بعد ملاحظة ان الهاجس الشيعي هو اسوء هاجس تعاني منه قوات الاحتلال التي وضعت الفيتو الصارم على الحضور الشيعي المطالب بحقه الطبيعي حسب وجوده على الخارطة السياسية والاجتماعية، ومن هنا كانت المقابر الجماعية التي صنعها النظام المحاصر من قبل امريكا عام ١٩٩١ بالضوء الاخضر الامريكي، وبالدعم اللوجستي، وبالسماح لطيرانه بالتحليق، ولصواريخه بالانطلاق لضرب الانتفاضة وابادتها على مرأى ومسمع دعاة الحرية وحقوق الانسان، ومن هنا كانت العناوين الثانوية الملزمة بالحل السياسي حاكمة على الحكم الاولي وهو فريضة الجهاد ضد الاحتلال.

٤ـ تركيزه على قضية الانتخابات، وسلوكها كحل ديمقراطي يفرز الحقيقة السياسية من رحم التعددية، والحوار البنّاء، والرأي الآخر، واذا صدق المحتلون في وعودهم الديمقراطية، ولم يكبتوا صوت الأمة فان الكيان الحقيقي سيفرض نفسه على الواقع، ويجد طريقه إلى تصحيح الامور، واعادة المياه إلى مجاريها.

٥ـ الدعوة الدائبة إلى رصّ الصفوف، وتوحيد الكلمة، وجمع الشمل، ونبذ الخلافات الطائفية والمذهبية والعرقية والاثنية، والاستغناء عن لغة المهاترات والعنف، واستبدالها بلغة التعاطي الديمقراطي، والحوار الهادئ الرصين، والمنافسة الشريفة على مسار العقل، والعدل، والانصاف، والموضوعية، والمنطق السليم.

٦ـ الوعي الكامل بالمكيدة الكبرى التي يحوكها الاعداء المتربصون حسب سياستهم القديمة الجديدة (فرق تسد)، والتي سمع العالم كله اجرأ مسؤول في التصريح بها وهو (مارتن اندك) يعلنها جاهرة بلا تردد، ومعرفة ان ازلام هؤلاء الكائدين بالفتن ودسائس الاحتراب الداخلي ـ موجودون جاهزون لاداء ما يكلفون به من مأموريات الفتنة، والتخريب، والايقاع، والتكفير، والتمهيد للحرب الاهلية، والاقتتال الداخلي الذي هو اشهى ما يبتغيه اعداء الشعب الذي لا يريدون له الاستقرار، والاستقلال، والخلاص من الاحتلال عبر الطريق الوحيد الممكن المعقول لاخراجه، وهم بانجاز تلك المأموريات يعدون الذرائع لبقائه وطول الامد لكابوسه.

٧ـ التأكيد على وحدة الفصائل والرموز السياسية، والتحام عرى المثقفين والكوادر الفكرية والطاقات العلمية، والتفافها حول الوضع السياسي الحكومي الذي تفرزه الانتخابات الحرة، لتفويت الفرصة على اعداء العملية الديمقراطية.

٨ـ اتخاذ هذه المرجعية الحكيمة مبدأ الوسطية في الساحة، والتزامها دور الشهادة على الوضع القائم، وما يستلزمه هذا الدور من الرقابة الحريصة، والنصيحة الشفيقة، والرأي الصائب، والتوجيه السديد، والمتابعة الدائبة، والموعظة الناجعة، واذا تطلب الأمر كانت الكلمة القاسية المربية، والوعيد

البنّاء، والتنبيه الرادع ـ فما دامت المرجعية اباً لهذه الامة فان ابوتها الكبيرة، الرفيعة، الحانية، الرشيدة، المقتدرة، لا بد ان تتجلى في ظروفها الصعبة، الحالكة، المليئة بالمخاطر والعثار والمكائد، ويكون تجليها بحزمها وصرامتها وقوتها، كما يكون كذلك باناتها، وحلمها، وسعة صدرها، وحكمتها، وكياستها، كما هو ديدن اسوة القادة الرساليين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي وصفه ربه: (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم). ويتجلى النموذج الابهى لتلك الابوة الرشيدة في موقف هذه المرجعية في كارثة سامراء بتفجير مرقد الامامين العسكريين، حيث التزمت جانب الهدوء القيادي والاتزان في رد الفعل ازاء الفاجعة التي حركت الشارع الشيعي من اقصاه إلى اقصاه، وطالب فيها العنفوان الشعبي مرجعيته بصدور الحكم القاسي، ولكن المرجعية الوحدوية أبت الا ضبط الاعصاب، وصدور الامر الكريم بالتزام العقل والمنطق والهدوء، وتجنب كل ما فيه اثارة طائفية أو فتنة مذهبية.

٩ـ اذا كانت هذه المواقف الكريمة بحاجة إلى وثائق تؤيدها فان شواهد الواقع الملموس هي خير براهينها، وحيث ان البيانات والفتاوى الصادرة من مرجعية الامام السيستاني في المواقع والاحداث التي تطلبت منها عوائد التدبير الحكيم، واستدعت التصميمات الرصينة النابعة من المنطق السليم والذوق الشرعي ـ هي خير ما يمكن ان يقدمه هذا البحث لقرائه، فانه يعرضه عليهم غيضاً من فيض الجهود المبذولة في ميدان الادارة المتينة لاعقد وضع تشهده الساحة الدولية عموماً، وساحة الوضع العراقي في كل تاريخه على الخصوص.

بيان صادر من سماحة السيد السيستاني (دام ظله)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً﴾ صدق الله العلي العظيم.

بقلب يعتصر حزناً والماً أتابع أنباء ما يتعرض له أبناء الشعب العراقي المظلوم يومياً من مآس واعتداءات: ترويعاً، وتهجيراً، وخطفاً، وقتلاً، وتمثيلاً، مما تعجز الكلمات عن وصف بشاعتها وفظاعتها ومدى مجافاتها لكل القيم الانسانية والدينية والوطنية. ولقد كنت ـ ومنذ الايام الأولى للإحتلال ـ حريصاً على ان يتجاوز العراقيون هذه الحقبة العصيبة من تاريخهم من دون الوقوع في شرك الفتنة الطائفية والعرقية، مدركاً عظم الخطر الذي يهدد وحدة هذا الشعب وتماسك نسيجه الوطني في هذه المرحلة، نتيجة لتراكمات الماضي، ومخططات الغرباء الذين يتربصون به دوائر السوء، ولعوامل أخرى. وقد أمكن بتضافر جهود الطيبين وصبر المؤمنين واناتهم تفادي الانزلاق إلى مهاوي الفتنة الطائفية لأزيد من سنتين، بالرغم من كل الفجائع التي تعرض لها عشرات الآلاف من الابرياء على اساس هويتهم المذهبية. ولكن لم ييأس الاعداء، وجدوا في تنفيذ خططهم لتفتيت هذا الوطن بتعميق هوة الخلاف بين ابنائه، واعانهم ـ للأسف ـ بعض اهل الدار على ذلك، حتى وقعت الكارثة الكبرى بتفجير مرقد الامامين العسكريين عليهما السلام، وآل الأمر إلى ما نشهده اليوم من عنف أعمى يضرب البلد في كل مكان ـ ولا سيما في بغداد العزيزة ـ ويفتك بابنائه تحت عناوين مختلفة وذرائع زائفة، ولا رادع ولا مانع. إنني اكرر اليوم ندائي إلى جميع ابناء العراق الغيارى من مختلف الطوائف والقوميات

بأن يعوا حجم الخطر الذي يهدد مستقبل بلدهم، ويتكاتفوا في مواجهته بنبذ الكراهية والعنف واستبدالهما بالمحبة والحوار السلمي لحل كافة المشاكل والخلافات. كما أناشد كل المخلصين الحريصين على وحدة هذا البلد ومستقبل أبنائه من أصحاب الرأي والفكر، والقادة الدينيين والسياسيين، وزعماء العشائر وغيرهم بان يبذلوا قصارى جهودهم في سبيل وقف هذا المسلسل الدامي الذي لو استمر ـ كما يريده الأعداء ـ فلسوف يلحق ابلغ الضرر بوحدة هذا الشعب، ويعيق لأمد بعيد تحقق آماله في التحرر والاستقرار والتقدم. واذكّر الذين يستبيحون دماء المسلمين، ويسترخصون نفوس الابرياء لانتماءاتهم الطائفية بقول النبي الاعظم صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: (الا وان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، الا ليبلغ الشاهد الغائب)، وبقوله ﷺ: (من شهد أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فقد حقن ماله ودمه الا بحقهما، وحسابه على الله عز وجل) وبقوله ﷺ: (من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقى الله عز وجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله). واخاطب الذين يستهدفون المدنيين العزل والمواطنين المسالمين بما قاله ابو عبد الله الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مخاطباً من راموا الهجوم على حرمه: (إنْ لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون.. (ان) النساء ليس عليهن جناح)، فما بالكم تستهدفون أناساً لا دور لهم في كل ما يجري من الشيوخ، والنساء، والأطفال، وحتى طلاب الجامعات، وعمال المصانع، وموظفي الدوائر الحكومية، واضرابهم؟ إن لم يكن يردعكم عن ذلك دين تدعونه أفلا تصدكم عنه إنسانية تظهرون في لبوسها؟ وأقول لمن يتعرضون بالسوء والأذى للمواطنين غير المسلمين

من المسيحيين والصابئة وغيرهم: أما سمعتم أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام بلغه ان امرأة غير مسلمة تعرض لها بعض من يدعون الاسلام وارادوا انتزاع حليها فقالعليه السلام:

(لو ان امرءاً مسلماً مات من بعد هذا اسفاً ما كان به ملوماً بل كان به عندي جديراً) فلماذا تسيئون إلى إخوانكم في الانسانية وشركائكم في الواطن؟ أيها العراقيون الأعزاء... إن الخروج من المأزق الذي يمر به العراق في الظروف الراهنة يتطلب قراراً من كل الفرقاء برعاية حرمة دم العراقي أياً كان، ووقف العنف المتقابل بكافة اشكاله، لتغيب بذلك ـ والى الأبد ان شاء الله تعالى ـ مشاهد السيارات المفخخة، والاعدامات العشوائية في الشوارع، وحملات التهجير القسري، ونحوها من الصور المأساوية، وتستبدل ـ بالتعاون مع الحكومة الوطنية المنتخبة ـ بمشاهد الحوار البناء لحل الازمات والخلافات العالقة على اساس القسط والعدل، والمساواة بين جميع ابناء هذا الوطن في الحقوق والواجبات، بعيداً عن النزعات التسلطية والتحكم الطائفي والعرقي، على أمل أن يكون ذلك مدخلاً لإستعادة العراقيين السيادة الكاملة على بلدهم، ويمهد لغدٍ افضل ينعمون فيه بالامن والاستقرار والرقي والتقدم بعون الله تبارك وتعالى. وفق الله الجميع لما يحب ويرضى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٢٢/جمادي
الآخرة/١٤٢٧هـ
علي الحسيني السيستاني

تصريح للسيد حامد الخفاف الناطق الرسمي لمكتب السيد السيستاني

حول احداث الكاظمية المقدسة.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن سماحة السيد السيستاني إذ يشجب الاعتداء الآثم الذي تعرضت له مدينة الكاظمية المقدسة في ذكرى استشهاد الامام موسى بن جعفر عليه السلام، ويبدي ألمه البالغ لما نجم عنه وعن حادث الجسر المروع من وقوع مئات الشهداء في صفوف الزوار الكرام، ويعزي ذويهم ويواسيهم في مصابهم الأليم، ويتمنى للجرحى الشفاء العاجل، يدعو الحكومة العراقية إلى تحمل مسؤولياتها القانونية تجاه ما حصل، وكشف جميع ملابساته للرأي العام، كما يدعو العراقيين جميعاً إلى وحدة الكلمة، ورص الصفوف، وتفويت الفرصة على مثيري الفتنة.

٢٠٠٥/٨/١٣

٢٥/رجب/١٤٢٦هـ

حول جريمة ضرب الكنائس

بسم الله الرحمن الرحيم

في مسلسل الاعمال الاجرامية التي يشهدها العراق العزيز، وتستهدف وحدته واستقراره واستقلاله تعرض عدد من الكنائس المسيحية في بغداد والموصل إلى اعتداءات آثمة اسفرت عن سقوط عشرات الضحايا الابرياء بين قتيل وجريح، كما تضرر من جرائها الكثير من الممتلكات العامة والخاصة، واننا اذ نشجب وندين هذه الجرائم الفظيعة ونرى ضرورة تضافر الجهود وتعاون الجميع ـ حكومة وشعباً ـ في سبيل وضع حد للاعتداء على العراقيين وقطع دابر المعتدين نؤكد على وجوب احترام حقوق المواطنين المسيحيين وغيرهم من الاقليات الدينية ومنها حقهم في العيش في موطنهم العراق في أمن وسلام.

نسأل الله العلي القدير ان يجنب العراقيين جميعاً كل سوء ومكروه، وينعم على هذا البلد العزيز بالامن والاستقرار انه سميع مجيب.

١٥/ج١٤٢٥/٢

٢٠٠٤/٨/٢

ختم مكتب السيد

السيستاني دام ظله/النجف

الاشرف

بيان صادر من مكتب سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في النجف الاشرف حول الاعتداء الآثم على مقام الامام الهادي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

لقد امتدت الايادي الآثمة في صباح هذا اليوم لترتكب جريمة مخزية ما ابشعها وافظعها، وهي استهداف حرم الامامين الهادي والعسكري عليهما السلام، وتفجير قبته المباركة مما أدى إلى انهدام جزء كبير منها وحدوث اضرار جسيمة اخرى.

ان الكلمات قاصرة عن ادانة هذه الجريمة النكراء التي قصد التكفيريون من ورائها ايقاع الفتنة بين ابناء الشعب العراقي ليتيح لهم ذلك الوصول إلى اهدافهم الخبيثة.

ان الحكومة العراقية مدعوة اليوم اكثر من أي وقت مضى إلى تحمل مسؤولياتها الكاملة في وقف مسلسل الاعمال الاجرامية التي تستهدف الاماكن المقدسة، واذا كانت اجهزتها الامنية عاجزة عن تأمين الحماية اللازمة فان المؤمنين قادرون على ذلك بعون الله تبارك وتعالى.

اننا اذ نعزي امامنا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف بهذا المصاب الجلل نعلن الحداد العام لذلك سبعة ايام، وندعو المؤمنين ليعبروا

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٢.

خلالها بالاساليب السلمية من احتجاجهم وادانتهم لانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات، مؤكدين على الجميع وهم يعيشون حال الصدمة والمأساة للجريمة المروعة ان لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرهم إلى اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الاعداء من فتنة طائفية طالما عملوا على ادخال العراق في اتونها.

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

٢٣/المحرم
الحرام/١٤٢٧هـ
مكتب السيد
السيستاني

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد علي السيستاني ادام الله ظله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سيدي: هناك ما ينبغي عمله لتوحيد الصف الشيعي في العراق خاصة بعد احداث كربلاء المقدسة مؤخراً.

ـ اصدرتم فتوى منذ عدة شهور تحثون فيها على انتخاب من يكتب دستور العراق الجديد، الا تعتقدون ان الاستفتاء على دستور كتبه اناس تم اختيارهم من كل شرائح المجتمع وفئاته يكفي من حيث شرعيته؟

ـ لماذا يا سيدي لا يسمع صوتكم كثيراً في الامور التي تهم العراقيين والعراق في هذه الفترة الحرجة من تاريخ البلاد؟

وتقبلوا جزيل الشكر.

حمزة هنداوي مراسل وكالة انباء اسوشيتد بريس الامريكية في بغداد.

بسم الله الرحمن الرحيم

١ـ الاختلاف في وجهات النظر ووجود اتهامات متعددة في الوسط الشيعي كسائر الاوساط الاخرى حالة طبيعية لا يخشى منها، والحوار الهادئ بين الاطراف المعينة هو الاسلوب الامثل لحل الخلافات، واحترام الاقلية لرأي الاكثرية وعدم محاولة الاكثرية للسيطرة على الاقلية والتحكم بهم هو الاساس الذي يجب ان يراعى في العمل السياسي.واما الذي حدث في كربلاء المقدسة من الصراع المسلح بين بعض الاهالي وبعض المجموعات المسلحة فقد نجم عن غياب السلطة المركزية عن الساحة بصورة مؤثرة وفاعلة، ووجود اعداد كبيرة من الاسلحة بايدي عناصر غير منضبطة، وقد

سبق لسماحة السيد ـ دام ظله ـ ان اكد قبل عدة شهور في مختلف لقاءاته باعضاء مجلس الحكم ومسؤولين آخرين من الوزراء وغيرهم على لزوم اتخاذ اجراءات سريعة وفاعلة في سبيل سحب الاسلحة غير المرخصة من ايدي الناس، ودعم الشرطة العراقية بالعناصر الكفوءة والمعدات اللازمة لتأخذ دورها الطبيعي في حماية المجتمع من بروز أي ظاهرة مخلة بالامن، ولكن من المؤسف انهم لم يتخذوا ـ او لم يسمح لهم بان يتخذوا ـ الاجراءات الضرورية في هذا المجال حتى آلت الامور إلى الواقع الراهن، وربما ستبرز مشاكل جدية اخرى لو لم يبادر إلى اتخاذ الخطوات التي اكد عليها سماحته.وينبغي ان يعرف الجميع ان سماحة السيد ـ دام ظله ـ ليس طرفاً في أي نزاع يحدث هنا او هناك، وان رعايته الابوية كانت ولا تزال تعم جميع العراقيين، وقد كلف مكتبه في النجف الاشرف الدكتور حسين الشهرستاني دام توفيقه ببذل اقصى الجهود في سبيل حل الصراع الذي حدث في كربلاء، والتوصل إلى اتفاق بين الاطراف المعنية لنزع فتيل الفتنة، وقد قام بجهد كبير في هذا المجال، وتوصل إلى اتفاق بين الفرقاء لنزع الاسلحة من محيط الحرمين المقدسين والاماكن الشريفة الاخرى، وتشكيل لجنة لتطبيق هذا الاجراء.

٢ـ في وضع العراق الحالي لا توجد اية جهة يمكنها ان تقوم باختيار اعضاء مجلس كتابة الدستور بصورة مقبولة من الجميع بحيث يتمثل في المجلس المشكل جميع شرائح المجتمع العراقي تمثيلاً عادلاً. بل ان من المؤكد ان المصالح الشخصية والفئوية والعرقية والحسابات الحزبية والطائفية ستتدخل بصورة او باخرى في عملية الاختيار، ويكون المجلس المشكل فاقداً للشرعية، ولا يجدي عندئذٍ اجراء الاستفتاء على ما يضعه من

الدستور بـ(نعم) او (لا)، فلا بديل عن اجراء انتخابات عامة لاختيار اعضاء المؤتمر الدستوري.

٣ـ ان سماحة السيد ـ دام ظله ـ على الرغم من اهتمامه البالغ ومتابعته المستمرة للشأن العراقي في جميع جوانبه الا انه قد دأب على عدم التدخل في تفاصيل العمل السياسي، وفسح المجال لمن يثق بهم الشعب العراقي من السياسيين لممارسة هذه المهمة، ويكتفي سماحته بابداء النصح والارشاد لمن يزوره ويلتقي به من اعضاء مجلس الحكم والوزراء وزعماء الاحزاب وغيرهم.والمؤسف ان بعضاً من وسائل الاعلام تستغل هذا الموقف، وتنشر بين الحين والاخر بعض الاخبار المكذوبة، وتروج الاشاعات التي لا اساس لها من الصحة.

٢١/شعبان/ ١٤٢٤هـ

مكتب السيد السيستاني

النجف الاشرف

الامام الخامنئي

ان هذا الامام القائد قد حمل على عاتقه الكريم مسؤوليته الكبرى بصفته عالماً من علماء الشريعة، وواعياً من وعاة العمق لمقاصدها وتفصيلاتها، وداعية رشيداً التزم منذ نعومة الأظافر معها واجب الدعوة إلى رحابها المشرقة، ووارثاً اميناً لاعباء الريادة التي تركها الامام الراحل الخميني الكبير امانة في عنقه، ما دام هو اقرب حوارييه إلى قلبه وتوجهاته، واعرفهم باهدافه وهمومه، واصدقهم في التعاطي مع مساره وافكاره، وأوفرهم حظاً من الاشارة من قبله إلى مكانه، وخصائصه، وقابلياته، واهليته لحمل الامانة من بعده.

واذا كان مشروع الوحدة كما رأينا فيما سلف اضخم مشروع التزمه الامام الفقيد وظيفة تكون سنده المكين في سعيه للعودة بالشريعة إلى الواقع في دولتها المجيدة ـ فان القائد الوارث قد اعطى هذا الامر غاية ما يستحقه من الرعاية والاهتمام والجهود والمتابعة، ما دام يعلم انه عماد وجود الامة منذ نشأتها، ووسيلتها إلى مجدها بعد منهجها، وانه حصنها المتين امام الغزاة الطامعين، وانه سلاحها الاقدر في ميادين المواجهة التي عز مثيلها في كل عمر الصراع بين الحق والباطل، من حيث حجم العداوة ولونها، ومن حيث كثرة الاعداء والفتهم ضد الحق، ومن حيث دقة الاساليب الهجومية، وبراعة المهاجمين، وخطورة ما لديهم من الأسلحة النفسية والثقافية والتخريبية على شتى فنون التخريب والوانه التي يتبدى في طليعتها استهداف وحدة الامة وصفائها ولحمتها الدينية والوطنية باخبث الامراض التي تجهد ان تجرها رويداً إلى حمى النزاع والاختلاف، ثم السقوط في هاوية الانهيار.

لقد تجلت مساعي الامام القائد وجهوده وهمومه الشريفة على طريق الهدف المقدس وهو اقامة دعائم الوحدة، وتثبيت اركانها، وحياطتها، وصيانة كيان الامة بوجودها ـ بمواقف ومبادرات وتوجيهات سامية النوايا، نزيهة الاغراض، طيبة المعدن، زاكية المضمون، مفعمة بالحب والحرص والاخلاص، مشحونة بالوفاء والدعاء والرجاء، اعطى لها اكثر وقته، وافضل جهده، ولباب راحته، ولا غرو فهي تستحق المزيد منه، وكيف لا وهو الذي وعى دوره ومسؤوليته، وتعبد ربه باقدس فروضه وهو فرض الخدمة، والسهر، والتضحية، والنصيحة، والايثار، والعطاء المتواصل الذي لا يجد ابهى فصوله الا في الجهد الواصب الدائب في شأن الوحدة الاسلامية على مساحتها الداخلية (شعب الثورة)، وعلى مساحتها الشاملة (امة الاسلام).

لقد رعى القائد الوارث ثقل الارث التوحيدي الذي تركه الامام الراحل من بعده امانة في اعناق ابناء الثورة المخلصين الصادقين. وان كل المفردات والمصاديق والنماذج الوحدوية نالت من حرص القائد ورعايته واهتمامه الكثير الوفير الذي لم يجعلها تحس بان العروج الملائكي لبانيها وراعيها قد اثر على ما تحظى به من اللطف والدعم والاسناد. وكان امره بتأسيس المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب خطوة عملاقة نحو الذروة الشامخة للعطاء الداعم لذلك المنحى التأليفي الفذ، حيث يتخصص هذا المجمع ببذل الجهود الجبارة لتوحيد الكلمة الاسلامية، وجمع شمل الامة على محور الرسالة من خلال كل المشاريع التي تقوم بها دار التقريب في مجال الخطة المرسومة لها وعلى رأسها ترتيب المؤتمرات السنوية التي يحضرها علماء الاسلام ومفكروه ليتداولوا البحث في القضية المصيرية الكبرى وهي قضية وحدة الامة وائتلاف صفوفها في ميدان الاخاء

الاسلامي الذي يتعرض لمختلف الهجمات والمكائد من داخل الوجود الاسلامي ومن خارجه.

لقد تحدث القائد عن الوحدة في عمق فلسفتها، وابعادها، واشكالها، وانجازاتها، وآفاتها، واعدائها، وعوامل التخريب التي ترصدها، ووسائل الدفاع عن حياضها ومكاسبها، والامجاد التي صنعتها، وادوائها، ودوائها. لقد اشبعها بحثاً، وتأصيلا، وسبراً لاغوارها، وتعمقاً في شؤونها، فبيّن قدسيتها، وضرورتها، وموقعها من الشريعة، وآلياتها، وخوف اعداء الامة منها، وعلاقة وجودها وعدمها بمستوى وعي الامة لحرمتها، والكائدين بها، والاساليب الذكية التي يستهدفها بها من يرون فيها اخطر المخاطر على طريق مساعيهم إلى استعباد هذه الامة بعد تمزيقها وتشتيت صفوفها.

لقد ذكر من اشكال الوحدة الاساسية:ـ

أ ـ الوحدة بين الدين والسياسة.

ب ـ الوحدة بين الحكومات والشعوب.

ج ـ الوحدة بين المسؤولين والرموز والتشكيلات السياسية.

د ـ الوحدة بين الحوزة العلمية والجامعة.

هـ ـ الوحدة بين الحوزة والامة.

و ـ الوحدة بين تشكيلات القوات المسلحة.

ز ـ الوحدة بين المسؤولين والامة.

ح ـ الوحدة بين القلوب والألسنة[1].

وتحدث عن اسباب الاختلاف في الامة، ولخصها في ايدي التخريب الخارجية التي تحركها امريكا والصهيونية، مدعومة بعناصر الفتنة الداخلية.

وتحدث عن آليات القضاء على الوحدة، واختصرها في:

أ ـ اثارة النعرات القومية والطائفية والمذهبية.

ب ـ تحريض الجيران بعضهم على البعض الآخر.

ج ـ سلب الثقة بين بلدان العالم الاسلامي.

د ـ فصل الحكومات عن شعوبها، وجعلها وسيلة قمع لها.

هـ ـ ابعاد الامة عن رسالتها، وعن الفهم الحقيقي لها، وفصلها عن مرجعيتها وعلمائها.

و ـ ايجاد الفتنة في الوسط الحوزوي.

ز ـ تحريك علماء السوء والتكفيريين ووعاظ السلاطين والاقلام المأجورة لايقاظ الفتنة ونشرها.

ح ـ الاستسلام لارادة القوى الطامعة.

ط ـ عدم ادراك الأمة لاهمية الوحدة ودورها.

ي ـ وجود الكيان الصهيوني في قلب العالم الاسلامي.

وتحدث كذلك عن اهمية الدواعي التي تجعل المستكبرين اليوم احرص على شتات الامة وتناحرها، وذلك لان الاسلام تحول من كلمات

---

(١) هذه النقاط ومايليها من نصوص كلمات القائد مأخوذة من اصدارات دار الولاية التي تعني بنشر خطابات القائد واحاديثه

واوراد وادعية وتراث ميت في متحف التاريخ الغابر إلى رسالة حية وثورة وصحوة عالمية تهدد وجود الباطل في كل مكان. واكد القائد على وجود الوحدة ولو في حدها الادنى الذي هو التعايش فقط، كما اكد على دور الاجنحة السياسية في تثبيت دعائم الوحدة ان شاءت ذلك او في العكس ان ارادته ايضاً. واكد كثيراً على محورية المشتركات والضرورات والمسلمات والمقدسات المتفق عليها عند جميع المسلمين لمشروع الوحدة ودورها في ان تكون قطب الرحى للكيان الاسلامي، كما تحدث عن اتساع دائرة الوحدة لتكون وحدة بشرية عامة شاملة اراد الاسلام بها ان تكون الانسانية بأسرها كياناً متآزراً متعاونا في اطار قانون (اخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق).

اما قضية الوحدة بين ابناء الشعب العراقي فقد اولاها القائد البصير رعاية متميزة، وخصها منه باهتمام متفرد بالحرص، متوحد بالمتابعة الدقيقة، والملاحقة الشفيقة، وكيف لايكون الامر كذلك والشأن العراقي قد اصيب بالنكبة الكبرى، (نكبة الاحتلال)، وتم استهدافه باخطر ما عند دهاة المكر السياسي الاستعماري من احابيل الفتنة، والتمزيق، والتخندق، وايجاد الاختلاف، ووضع الحواجز، وإِشعال نار الصراع الطائفي والمذهبي والعرقي، ولا نجاة له مما هو فيه من هذه الوهدة السحيقة الا بحبل من الله في شريعته، وحبل من الاعتصام بذمام الالفة والوداد والاخاء المتين، وتناسي كل الخلافات مهما كانت دواعيها ومحركاتها، والنظر بجد وحزم وتبصر إلى حقيقة ان الشعب العراقي الذي لم يزل كتلة واحدة مفعمة بالتلاحم والانشداد ما تدجّت عليه داجية هذه الشحناء والبغضاء والتناحر، الا من الطارئ الوحيد الذي طرأ على وجوده فجلعه شيعاً تقتتل على

شعارات الفتنة التي لم تكن لتجد لها من قبل في الوسط العراقي المؤتلف مجالاً من الاهتمام في القلب او الممارسة في الواقع.

لقد دعا القائد شعب العراق المظلوم إلى التوحد المكين على محور المقاومة الشريفة لذلك الطارئ الخبيث الذي هو منشأ كل ما جرى على بلاد الرافدين بعد احتلاله لها من النكبات والكوارث التي امتدت على كل مفاصل الشأن العراقي واصعدته بلا استثناء. وقد استغل القائد المناسبات الاليمة مثل فاجعة جسر الائمة ونكبة سامراء ليطلق ما في صدره من نفثات الجمر، وحمم اللوعة والاشفاق والوجل من مكيدة النزاع والصراع على العناوين الزائفة، والشعارات الدخيلة التي ارادها مبتدعوها ملهاة عن وجودهم، ومشغلة عن دورهم، وحربة في خاصرة الشمل العراقي الذي وجدوا غاية مبتغاهم في ان يكون في اسر شتاته واحترابه.

بعد هذه الخلاصة من الحديث عن تصورات القائد وافكاره في موضوع الوحدة يجدر بنا ان نستاف من روضها البهيج اضمامة من ازاهير كلماته، وتوجيهاته، وتحليلاته، ووصاياه:

اولا: الوحدة على الصعيد الإسلامي العام:

ـ ان واجب المسلمين في الوقت الحاضر حرصهم وتمسكهم بمصالح الاسلام السامية، وتركيز الوحدة فيما بينهم، ان الامة الاسلامية اليوم مدعوة إلى ان ترص صفوفها وتؤلف بين قلوب ابنائها.

ـ ان جميع المسلمين الذين يئنون تحت سياط الاستكبار من قبيل الشعب البوسني وشعوب فلسطين والشيشان ولبنان، وشعوب الدول

الاسلامية في افريقيا وآسيا وسائر شعوب المنطقة انما يعانون شتى انواع العذاب بسبب تشرذم الامة الاسلامية، وعدم اتحادها.

- قلما تجد مفردة من مفردات الاسلام تكون مورد اتفاق جميع المسلمين، وقادرة على استقطابهم، وتستأثر بكل عواطفهم، مثل شخصية الرسول محمدﷺ.

- تشكل مسألة الوحدة اليوم بالنسبة للمسلمين ضرورة ملحة واكيدة لان اعداء الاسلام اليوم يتصفون بصفتين لم يكونوا قد توفروا عليهما من قبل الاولى:ـ انهم يمتلكون اكبر قدر ممكن من عناصر القوة والمال والسياسة والاعلام، كما يمتلكون كافة وسائل السيطرة والنفوذ والهجوم والمباغتة.

الثانية:ـ ان هذه الجبهة المناوئة للاسلام حساسة بشدة تجاه الخطر الاسلامي الذي يهددها اكثر من أي وقت مضى، ومنشأ هذا التحسس انها ترى الاسلام قد خرج عن كونه مجموعة وصايا اخلاقية، واصبح تياراً فكريا له نظامه الخاص به.

ان اعداء الاسلام يشكلون جبهة واحدة في قبالته بدءاً بالاستكبار وعلى رأسه امريكا الصهيونية، ومروراً بشركات النفط العالمية، وانتهاءً بذوي الاقلام المأجورة الذين يعملون لصالحهم.

- انا أقول من موقعي هذا ان وحدة المسلمين تعد ضرورة حيوية وليست شعاراً ولا هي من البطر في شيء.

– ان على المجتمعات الاسلامية ان توحد كلمتها، وان الاتحاد فيما بينها لا يلغي الاختلاف الموجود في الآداب والتقاليد والاجتهادات الفقهية، ومعنى ان تتحد فيما بينها هو ان تتخذ موقفاً موحداً فيما يخص مجريات ومسائل العالم الاسلامي، وان تتعاون فيما بينها، ولا تهدر ثرواتها في محن وصراعات داخلية.

- يمكن ان نعتبر شخصية الرسول المحور الاساس للوحدة، ومن الشواخص التي يمكن ان تكون محوراً ومنطلقاً لها هم اهل البيت الذين هم محل اتفاق واجماع كافة المسلمين.

- من الضروري لعلماء المسلمين من كلا الطرفين ان يتصدوا لتحمل مسؤولية التهيئة لمقدمات الوحدة، والعمل على انجاح مشروعها. ان العدو يسعى إلى بث الفرقة والاختلاف والى استغلال اناس سذج طيبي القلوب من الشيعة ومن السنة على حد سواء، وقد تحدث اثر ذلك حركة في المجتمع الشيعي من شأنها استثارة المسلمين من غير الشيعة، وقد تحدث حركة من هذا القبيل ايضاً في المجتمع السني تثير الشيعة وتنفرهم، والسؤال المطروح هو من وراء مثل هذه الحركات؟

- اليوم اذ يقف الاعداء في صف واحد ضدنا تأخذ مسألة الوحدة اهمية قصوى علماً بأن هناك قوائم مشتركة كثيرة يمكن ان تشكل الارضية المناسبة للوحدة، منها ان كتابنا واحد، وسنتنا واحد، وقبلتنا واحدة، اضف إلى ذلك ان هناك عدواً واحداً يهدد العالم الاسلامي باسره.

- ان رسالة الاسلام هي رسالة الوحدة والامن والتآخي، ولأمير المؤمنين قول خالد يشمل جميع بني الانسان وهو ان الانسان (اما اخ لك في الدين او نظير لك في الخلق) فعلى الناس جميعاً ان يتحدوا ويتحابوا، وان الاسلام يامر اتباعه بالاحسان حتى لمن لا يدين بدينهم، ومن لا يتماشى فكريا معه.

- من البديهي ان الشعوب لا تشكل أي معضلة في هذا المضمار (الوحدة)، وانما المعضلة معضلة الحكومات.

- القرآن يؤكد على حقيقة مفادها ان الشعب المسلم عليه ان يتمسك بالاسلام، وبوحدته، وتلاحمه، وبالحافز الذي دفعه منذ اليوم الأول للسير على طريق الله والقرآن فانه سيكون بذلك قد افشل المكائد والدسائس والتحالفات المعادية.

- ان الشعوب المسلمة بوحدتها، وتلاحمها، وصرخة اعتراضها المدوية، وقدرة تفكيرها، وسواعدها العاملة، وثرواتها الطبيعية تذيب قلب كل مستكبر، وتقصم ظهره.

- لقد آن الأوان لكي يحافظ العالم الاسلامي على وحدته، ويقف صفاً واحداً بوجه العدو المشترك أي الاستكبار والصهيونية التي ذاقت جميع الفرق الاسلامية ضرها واذاها.

- ان على السنة والشيعة اليوم الترفع عن خلافاتهم التقليدية في معاملاتهم اليومية، وان يكفوا عن النزاع والتحارب، ويجتمعوا حول

قواسمهم المشتركة، ان ثمة محاولات تبذل في العالم اليوم لشق صف الشيعة والسنة.

ان على كل واحد شيعياً كان او سنياً، ان يعمل على تمكين عرى المحبة بين الشيعة والسنة، بالطبع اننا لا نعني بالوحدة ان يصبح الشيعة سنة، أو ان يصبح السنة شيعة، ولا نريد ان ندفعهم إلى التخلي عما لديهم من طاقات وامكانات علمية لترسيخ ارائهم العقائدية، لان النشاط العلمي هو امر جيد، ولكن في نطاق الاجواء العلمية، وبلا تجريح ولا اساءة، ومن يبتغي ايجاد الصدع بقوله وبعمله فان عمله هذا يصب في صالح الأعداء.

- ان على علماء المسلمين والمثقفين المسلمين والكتاب والشعراء والفنانين في شتى انحاء العالم الاسلامي ان يعملوا بكل ما لديهم من جهد على تحقيق وحدة الامة الاسلامية.

لو كنا متوحدين ومتمسكين بالمعنويات الاسلامية لما تجرأ العدو بمثل هذه الوقاحة على اضطهاد أبناء الشعب الفلسطيني، ولم يكن ذلك ممكناً لو كانت الامة الاسلامية متحدة، وان من أهم الواجبات المفروضة علينا اليوم شعوباً وحكومات ان نتمسك بوحدة الكلمة فيما يخص القضية الفلسطينية.

ان العالم الاسلامي الذي يمثل واحدة من اكبر الكتل العالمية من حيث الطاقات المادية والانسانية والفكرية والتاريخية هو بأمس الحاجة اكثر

من أي وقت مضى للوحدة والتقارب، وهذا الهدف يتعذر تحقيقه بدون تقارب الافئدة والافكار.

ـ منذ ان دخل الاستعمار الاوربي في البلدان الاسلامية كانت التفرقة بين المسلمين من المبادئ الحتمية في سياسة المستعمرين، متوسلين بسلاح الطائفية تارة، وبالنعرات الاقليمية والقومية تارة اخرى، وبغيرها احياناً، ومع كل نداءات المصلحين، ودعاة الوحدة، فان خنجر الاعداء لا يزال ينزل بجسد الامة مع الاسف بعض الضربات والجراحات في اثارة الاختلافات بين الشيعة، والسنة، والعرب، والعجم، والاسيويين، والافارقة، وتضخيم القوميات العربية، والفارسية، والطورانية.

وهذه المكائد وان ابتدأت على يد الاجانب فهي تستمر اليوم مع الاسف على يد افراد من بيننا يمهدون طريق العدو عن سوء فهم او عن عمالة، ويبلغ الانحراف حداً من الفظاعة ان تنفق بعض حكومات المسلمين اموالاً للتفريق بين المذاهب الاسلامية والشعوب المسلمة، وان يعلن بعض انصاف العلماء بصراحة فتوى تكفير بعض الفرق الاسلامية ذات الماضي الوضيء في التاريخ الاسلامي، وان على الشعوب المسلمة ان تتعرف الدوافع الخبيثة لهذه الاعمال، وان ترى الايدي التي وراءها (يد الشيطان الاكبر وايدي اذنابه).

ـ ان الذين يعارضون قضية الوحدة هذه الايام هم المستكبرون الذين يستغلون الفرقة والشر والظلم لصالحهم، ويبنون وجودهم على سياسة التمييز، والتفريق، والتبعيض العنصري. من الذي لا يدرك دور الايدي

القذرة للاستعمار في زرع الفتنة بين الاخوة الجيران، وتشتيت الدول الاسلامية بغية القضاء على تضامنها؟

ـ ان على العلماء ان يتحدوا فيما بينهم بالمعنى الواقعي للوحدة التي ان تحققت كانت مدعاة لوحدة الامة حيث لا يستطيع اكبر الاعداء واخطرهم ان يرتكب حماقة ضدها.

ـ ان الهدف الاساس الذي يسعى اعداء الامة الاسلامية لتحقيقه اليوم هو بث الفرقة والعداوة بين صفوفها، وان هذه النوايا الخبيثة ليست وليدة الساعة بل هي قديمة، ويخطط لها اليوم بدقة وتنظيم اكبر، وعلى كافة المستويات للكيد بالاسلام والمسلمين، لان الروح الاسلامية قد انبعثت من جديد.

ـ ان هدف امريكا ان تسود العداوة والتناحر بين صفوف الامة الاسلامية، وعلينا ان نمرغ انف المستكبر الذي يسعى إلى زرع الفتنة بيننا بالتراب من خلال ترسيخ الوحدة ورص الصفوف.

ـ ان اهم عوامل الفرقة بين المسلمين هي:

أ ـ الخلافات القومية والاقليمية، وما يثيره غالباً المثقفون المهزومون.

ب ـ الاستسلام امام القوى الطامعة مما صيّر بعض البلدان توابع لها.

ج ـ الخضوع للثقافة الغربية الفاسدة بل اشاعتها بدوافع سياسية وعقائدية.

د - خلو بعض الحكومات من الايمان ومن الاهتمام بشعوبها ومعتقداتها، بل اتخاذ موقف الغطرسة تجاهها.

هـ - هزيمة كثير من الشخصيات السياسية والثقافية في العالم الاسلامي امام القوى المتجبرة وبالذات امريكا.

و - وجود الكيان الصهيوني الغاصب في قلب العالم الاسلامي، وما يثيره من فتن ومكائد.

ز - اشاعة فكرة فصل الدين عن السياسة، وتصوير الاسلام بانه طقوس فردية لا علاقة له بمسائل الحياة.

وقد أدت هذه الامور إلى ما يشهده العالم الاسلامي من مآسي، وويلات، ومصائب الفقر، والجهل، والاجحاف، وضعف الموقف السياسي، والتخلف، والحروب، والدمار، واشاعة الخرافة، والتعصب.

- ان سبب تمزق الامة الاسلامية يعزى إلى عدم وعي المسلمين ان الوحدة من ضرورات الدين، وان المسلم لا يجوز له الانقياد لارادة العدو الكافر.

- ان المحافل السياسية للدول الطامعة بهذه المنطقة وعلى رأسها الولايات المتحدة، واجهزة التجسس الصهيونية تمارس نشاطها في كل مكان لازالة الثقة بين بلدان الحكومات الاسلامية، وتضرب وحدة العالم الاسلامي لتحقيق مكاسب مهمة مثل الحضور العسكري، وبيع الاسلحة، وحث الجميع على التسابق في سبيل اقامة العلاقة مع دويلة اسرائيل الغاصبة.

- ان زعماء العالم الطبقي أي الساسة الذين كرسوا اهتمامهم لابقاء العالم دائماً في قطبين قوي وضعيف او مستكبر ومستضعف، هؤلاء

مذعورون منذ قرنين حتى اليوم من وحدة الأمة الاسلامية، ويختلقون الموانع على طريقها، وهم يعتزمون جعل اوربا مسيحية موحدة عن طريق قتل المسلمين في البلقان، وانزال الوان التمييز والظلم بحق الاقليات المسلمة في اوربا، نفس اولئك يسعون عمليا واعلامياً للحيلولة دون توحد العالم الاسلامي.

- ان اعداء الاسلام كانوا جادين دوماً في اقامة الحواجز القومية والمذهبية بين المسلمين لابعادهم عن توحدهم ومن ثم السيطرة على مقدراتهم. في بدايات اعوام احتلال فلسطين نهض علماء مجاهدون مثل الشيخ عز الدين القسام، والحاج امين الحسيني فرفعوا اصواتهم يستنصرون المسلمين لانقاذ الوطن السليب، واصدر المرجع الديني الكبير آنذاك الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء حكم الجهاد ضد الصهيونية، لكن الطابع الاسلامي للقضية خف باستمرار لينحصر بسبب المكائد في الاطار القومي.

- ان المصائب التي حلت على الشعب اللبناني يمكن ان تحل على أي بلد اسلامي آخر، ومن هنا يجب على الأمة الاسلامية ان تدرك ان القوى العالمية لا تهتم بمصالح هذه الامة اطلاقاً، ولا تجعلها نصب عينها ابدا، ويجب على امة الاسلام ان تصون وجودها وتدافع عن حريمها بالحفاظ على قدرتها، ومضاعفة جهودها لتحكيم وحدتها وتلاحمها.

- ان ايجاد الاختلاف بين السنة والشيعة هو من اخطر الوسائل المعهودة لاعداء الأمة لهدم قدرتها، وتخريب كيانها، وان الاختلاف فيما بين مكوناتها هو السم الزعاف القاتل للعالم الاسلامي. وان أي تحرك على

طريق ايجاد الفرقة بين المسلمين، وتمكين العدو بذلك مما يريد ـ هو خيانة عظمى لعالم الاسلام.

ثانيا: الوحدة على الصعيد العراقي

تبرز في هذا المجال نداءاته إلى الشعب العراقي في المناسبات المهمة والحساسة، والتي كان ابرزها فاجعة جسر الائمة وكارثة تفجير حرم الامام الهادي والامام العسكري في سامراء. وقد اصدر في هاتين المناسبتين بيانين مهمين تضمنا اضافة إلى ابرازه اساه للفاجعتين دعوته الصادقة الاكيدة إلى وحدة الكلمة بين صفوف الشعب العراقي، وتحكيم اواصر المودة والاخاء بين كل فصائله وشرائحه، لتفويت الفرصة على الكائدين والمتربصين بلحمة هذا الشعب العزيز، والهادفين إلى تشتيته وتحويله إلى محاور متصارعة يستهدف بعضها بعضا، وينشغل بعضها ببعض، متناسين عدوهم الحقيقي، ومحنتهم المشتركة (محنة الاحتلال) صاحب اليد الطولى حسب نظريته (فرق تسد) في ايجاد مأساة الاختلاف والتشرذم والتناحر بين قوى هذا الشعب المظلوم.

بيان الامام الخامنئي في كارثة جسر الائمة

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

التحق اليوم بالرفيق الاعلى المئات من اعز اخواننا واخواتنا في الايمان، من شيوخ وشباب واطفال ونساء ورجال، جراء ذلك الفعل الدموي الاجرامي الذي استهدف مراسم العزاء في ذكرى استشهاد الامام موسى بن جعفر عليه السلام في الكاظمية، وقد الهب قلوبنا جميعاً بنار الاسى، وغمرها بمرارة الاشجان.

ان الشعب العراقي الذي لم تبارح مخيلته الصور المهولة للانفجارات المروعة التي شهدتها كربلاء والنجف بايدي صنائع العدو الحاقد ـ شهد اليوم في مدينة الكاظمية حملة جهنمية شنها صناع الرعب المأجورون (على المرقد الشريف) واضافوا اليها تلك الخسارة الكبرى التي نجمت من تهديداتهم في صفوف الزائرين (على جسر الائمة).

مما لا ريب فيه ان المحتل الاثيم الذي يريد ان يديم وجوده المشؤوم على كاهل الشعب العراقي بذريعة عدم الاستقرار ـ هو المسؤول الاصلي عن امثال هذه الفواجع الاليمة، ويجب ان يكون تحت طائلة المساءلة.

انني ومن قلب مفعم بالحزن بهذه المصيبة الفادحة اقدم احر التعازي إلى مقام بقية الله الاعظم روحي له الفداء، والى الشعب العراقي، ومراجعه العظام، والى الحوزات العلمية، والى الحكومة العراقية المنبثقة من ارادة الامة. وابتهل إلى الباريء عز وجل ان يمن على الشعب العراقي بالنصر الكامل، وارجو منه سبحانه ان يحشر قرابين هذه الفاجعة مع مولاهم الامام

موسى بن جعفر عليه السلام، وان يتفضل على الجرحى بالشفاء العاجل، وان يتغمد اصحاب المصيبة بالصبر والسلوان والاجر الوافر.

واطلب من الشعب العراقي المؤمن الواعي ان يحفظ وحدته وانسجامه، وان يرغم بذلك انوف الاعداء والمتآمرين، ويملأ قلوبهم باليأس مما يبتغون من هدفهم المشؤوم وهو ايجاد الاختلاف والفرقة بين ابناء هذا الشعب.

اسأله سبحانه ان يدفع عن الشعب العراقي شر المستكبرين الذين خلت قلوبهم من كل عاطفة او مروءة.

السيد علي الخامنئي

١٣٨٤/٦/٩هـ شمسي

بيان الامام الخامنئي في فاجعة سامراء

بسم الله الرحمن الرحيم

انا لله وانا اليه راجعون

ان الأيدي الآثمة الملطخة بالدماء، ايدي قساة القلوب من الجناة قد ارتكبت فاجعة كبرى، واقترفت الأثم العظيم باستخفافها بحرمة المقدسات.

ان الحرم المطهر للامامين الهادي والعسكري عليهما السلام قد تعرض للاهانة والتخريب، فطفحت بذلك قلوب الشيعة وكل المسلمين الموالين لاهل البيت بحرارة الالم واللوعة.

لا شك ان هذه الجناية الفادحة هي من مخططات المتربصين والمتآمرين ذوي النوايا الشيطانية الخبيثة، وقد تم تنفيذها بواسطة عناصر متحجرة حمقاء.

لقد كانت هذه جريمة سياسية، ويجب البحث عن أصلها ومنشئها لدى الاجهزة المخابراتية للمحتلين والصهاينة.

ان القدرة المتسلطة التي ترى الاوضاع السياسية والاجتماعية في العراق تتنافى مع اهدافها في السيطرة ـ تبتكر الخطط والاحاييل المشؤومة التي تستطيع بها ان تخلق اجواء الخوف والرعب واللا أمن، والخلافات المذهبية.

ان فاجعة سامراء تضيف صفحة جديدة إلى صفحات الملف الاسود المشحون بالافعال الشنيعة التي يمارسها المحتلون، وان الحرم الطاهر للامامين العسكريين عليهما السلام سيرفع هامته بابهى واعلى من ذي قبل، وذلك بهمة الارادة القوية لعشاق اهل البيت عليهم السلام، وستبقى هذه الجناية وصمة عار لا تزول من على جبين اعداء الاسلام والمسلمين.

انني اقدم في هذا المصاب الاليم احر التعازي إلى مقام النبي الاكرمﷺ، والى بقية الله ارواحنا له الفداء، والى كافة الشيعة في انحاء العالم، والى كل المسلمين الواعين الغيارى والموالين لاهل بيت النبوة.

واعلن الحداد العام في كافة ارجاء البلاد لمدة اسبوع. واجد من اللازم ان اطلب من الامة المفجوعة في ايران والعراق، وفي كافة ارجاء العالم ـ الاحتراز من كل عمل يؤدي إلى ايجاد الضغينة والشحناء والتنافر بين قلوب المسلمين.

وان من المتيقن ان الايدي الخبيثة الخفية تسعى إلى ان تحرك الشيعة للتعرض لمساجد اهل السنة، والأماكن التي هي موضع تقديسهم واحترامهم. وان أي خطوة في هذا الاتجاه هي مساعدة لاعداء الاسلام والامة الاسلامية، وهي حرام شرعاً.

والسلام على عباد الله الصالحين.

السيد علي الخامنئي

١٣٨٤/١٢/٣هجري شمسي

شذرات من خطاب الوحدة

في ختام مؤتمر الوحدة الذي عقدته شخصيات الأمة المسلمة في طهران بتاريخ ١٤٢٧/٧/٢٦ هجري - ٢٠٠٦/٨/٢١ ميلادي - كان هناك لقاء اسلامي ودود بين القائد الخامنئي وتلكم الشخصيات المبجلة، تحدث فابدع فيه وارث هم الوحدة عن خيبة القلب لهذا المشروع الاستثنائي في وجود الامة، وفيما يلي باقات عطرة من ذلك الحديث الصدوق:

(إننا نعاني من مرض قاتل، وعلينا أن نتحلى بالعزم الأكيد لنتغلب على هذا المرض.

إن الخلافات والتشتت وإثارة العداء بين ابناء العالم الاسلامي مرض بالغ الخطورة، وإنني أوجه عنايتكم إلى ان ايادي التآمر السياسي تعمل الان على زيادة تغلغل هذا المرض في جسد الأمة والعالم الإسلامي، حتى ولو كان له وجود غير ذي أهمية في الأزمنة الغابرة، إننا نرى نماذج لذلك تقشعر لها الأبدان في العالم الاسلامي.

إننا لانخشى اعداء الخارج، وان صلف امريكا والقوى الاستكبارية لم يبلغ منا حتى الان مبلغاً من الهلع والحيرة، وإننا لم ولن نقف موقفاً انفعالياً مما يشنونه ضدنا من هجمات عدائية ودعائية وسياسية وعسكرية واقتصادية مهما بلغت، غير ان ما يجعلنا نشعر بالرهبة والخوف هو ذلك المرض الذي ينخر في احشاء العالم الاسلامي، فعليكم بمعالجته.

فعندما شعر المسلمون بالعزة والكرامة، وعندما وجدوا ان راية الاسلام يمكن ان تخفق، وعندما نهضوا واستيقظت في وجودهم روح الهوية الاسلامية، وعندما رفع المسلمون شعار الاسلام في كل مكان، ادرك

الاعداء ان خطراً جسيماً يهدد مصالح الاستكبار في هذه المنطقة الاسلامية العظيمة، وان الاخطار تحدق باطماعهم الجائرة.

إن باستطاعة العالم الاسلامي ان يشكل كياناً عظيماً ومتحداً بفضل ما يتمتع به من تعداد يبلغ المليار ونصف المليار نسمة، وما يتميز به من طاقات إقليمية وجغرافية وطبيعية وانسانية عظيمة، وما يملكه من رؤوس اموال ليس لها من نظير.

لقد ظل الاستعمار الغربي يملأ خزانته من ثروات هذه المنطقة على مدى اكثر من مئتي عام، سواء أكان ذلك خلال المرحلة الاستعمارية القديمة او الزمن الاستعماري الجديد، حتى باتت هذه المنطقة في خدمة الاهداف السياسية للعالم الاستكباري وعلى رأسه امريكا.

لو حققت الامة الاسلامية وحدتها، ولو كشفت القوة الاسلامية عن معناها الحقيقي، ولو تحقق الاستقلال الاسلامي بمعنى الكلمة في هذه المناطق، لاستطعنا قطع دابر الاعداء، وتغلبنا على سيطرتهم الاقتصادية والسياسية والثقافية، ولكنهم يرفضون ذلك، ويحولون دون تحققه بكل ما لديهم من قوة.

ان وسيلتهم في ذلك هي إثارة النعرات والخلافات، وللأسف الشديد فقد تغلغل هذا الداء في كيان العالم الاسلامي.

إنني اناشدكم التفكير بجدية في هذه المشكلة.

إننا دائماً ما نتحدث عن الوحدة الاسلامية، وندعو اليها، كما نتحدث عن الاخوة الاسلامية، وهناك على ارض الواقع من يشعر حقيقة بالاخوة الاسلامية من نخب العالم الاسلامي ـ وها هي روح الاخوة الاسلامية تتجلى

في هذا الاجتماع - وإننا ننظر إلى بعضنا البعض نظرة التآلف والانسجام بلا فرق بين الواحد والآخر.

إن هذه هي الحقيقة، سوى أننا لا نعبّر عن حقيقة وواقع العالم الاسلامي بالمعنى الصحيح للكلمة في المحافل السياسية، وعلى صعيد الحكومات، وفي الاوساط الجماهيرية.

إن الاعداء يبذرون بذور الخلاف بين ابناء الامة الاسلامية، وان السياسيين المزيفين، والعصبيات العمياء، والعجز عن مشاهدة الآفاق العالية للعالم الاسلامي، والتقوقع في بيئات مضمحلة، كلها من الامور التي تمهد السبيل أمام تفاقم هذه العصبيات.

لقد أشار بعض الاصدقاء إلى احداث العراق، فانظروا ما يجري هناك.

إن بعض الاخوان من السنة والشيعة في العراق، وبعض البلدان الأخرى يخوضون صراعاً ضد بعضهم البعض، ويعادي أحدهم الآخر تقرباً إلى الله تعالى، فلماذا؟! ومن الذي حقن هؤلاء بتلك الاباطيل وهي ليست من الاسلام في شيء؟.

تعالوا لنحقق معاً الوحدة الاسلامية على ارض الواقع، ولنتفق على ميثاق عمل يرضى به كافة علماء ومثقفي العالم الاسلامي، وتصدق عليه النخبة السياسية المخلصة؛ وذلك حتى لا يتجرأ أحد على تكفير من ينطق بكلمة التوحيد مهما كانت عقيدته ومذهبه، وحتى نصبح أخوة حقيقيين.

إننا لا نعني بالوحدة الاسلامية ان يكون الجميع على عقيدة ومذهب اسلامي واحد.

إن ساحة الخلاف بين المذاهب والعقائد الاسلامية والعقائد الكلامية والفقهية هي ساحة علمية، ولكل فرقة ان تحتفظ بمذهبها وعقيدتها، فالساحة ساحة بحث فقهي، وميدان بحث كلامي، ومن الممكن ألا يكون لاختلاف الآراء الفقهية والكلامية أي تأثير على واقع الحياة وعلى صعيد السياسة.

إن عدم التنازع هو ما نقصده بوحدة العالم الاسلامي: (ولا تنازعوا فتفشلوا).

والقرآن يقول: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا).

إن الاعتصام بحبل الله واجب على كل مسلم، ولكن القرآن لا يكتفي بمجرد الاعتصام بحبل الله، بل يريد منا الاجتماع على ذلك؛ فيقول: (جميعا) وهذا الاجتماع والاتحاد هو واجب آخر.

ولهذا فان على كل مسلم ان يعتصم بحبل الله في صورة جماعية مع سائر المسلمين الآخرين، فعلينا ان نفهم هذا الاعتصام على الوجه الصحيح، وأن نجهد في تحقيقه.

إن الآية القرآنية الشريفة تقول: (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) وهذا يوضح لنا معنى الاعتصام بحبل الله، فكيف يكون التمسك بحبل الله؟ يكون بالايمان بالله والكفر بالطاغوت.

إن الطاغوت الاعظم في العالم اليوم هو نظام الولايات المتحدة الأمريكية؛ وذلك لانه هو الذي ابتدع الصهيونية ويقوم بمساندتها.

إن الإيمان بالله متوفر في الكثير من بقاع الامة الاسلامية، ولكن لا يوجد كفر بالطاغوت.

إن الكفر بالطاغوت أمر ضروري، وان التمسك بالعروة الوثقى الإلهية لا يمكن ان يتحقق بلا كفر بالطاغوت.

إننا لا نؤلب الدول والشعوب ولا ندعوها لشن حرب على امريكا، ولكننا ندعوها إلى عدم الاستسلام لأمريكا، والى عدم التعاون مع أعداء الإسلام والمسلمين، ومن مصاديق ذلك عدم الوقوع في حبائلهم، واحباط مؤامراتهم الرامية لزعزعة الوحدة الاسلامية، والحفاظ على الأمة الاسلامية من خلال اتحادهم.

إننا نعتقد ان الاتحاد من أهم قضايا العالم الإسلامي اليوم، وإذا ما تحقق هذا الاتحاد فإننا سنكون قادرين على إحراز التطور العلمي والتطور السياسي.

نحمد الله تعالى على تأليفه لقلوب الكثيرين من ابناء الشعوب الاسلامية، وبارزيها، وعلمائها، ونخبها، وهدايتهم إلى الطريق المستقيم.

إن اساس النجاح هو ان لا تدعوا الجماهير تصاب باليأس والإحباط.

وألا تدعوا الآفاق تدلّهم امام الشعوب، وألا تدعوا الغطرسة الاستكبارية تلقي بظلالها الكثيفة على قلوبنا وعزمنا وارداتنا، والا تدعوا الخلافات تصيبنا بالضعف والانهيار.

إن المرء وللأسف الشديد يجد ان بعض حكام العالم الاسلامي اليوم يرددون اقوال امريكا وانجلترا..! إنهم يكررون جميع ما يصبون اليه؛ ويشعلون فتيل الاختلافات المذهبية، ويثيرون بؤر الخلاف بين الشيعة والسنة في العالم الاسلامي، وهذا على وجه الدقة ما يثلج صدور اعداء الاسلام، فلا بد من مواجهة مثل هذه الممارسات.

إننا نمد يد الاخوة نحو كافة الشعوب الاسلامية وجميع الرؤساء وزعماء الفكر والسياسة في العالم الاسلامي، وندعوهم إلى توثيق عُرى الاخوة فيما بيننا اكثر فأكثر، داعين الله تعالى ان يفتح عيون دنيا الاسلام على المزيد من الانتصارات على شتى الاصعدة والمجالات إن شاء الله[١].

---

(١) ترجمة واصدار دار الولاية.

من هم اعداء وحدة الامة؟

من شاس بن قيس إلى مارتن إندك

منذ بزغت شمس الوجود الاسلامي في ارض الجزيرة، وقامت دولته المباركة في المدينة المنورة كان المشركون واجداد الصهاينة الحاقدون هم العدو الاول لهذا الوجود المبارك، وحيث لم تكن لديهم القدرة العسكرية الكافية لضربه سلكوا سبيل المكر، والخداع، والدس، والتزوير، والوضع، والحرب النفسية والاعلامية، والتحريض على المسلمين، واغراء اعدائه وعلى رأسهم قريش بالتحرك الجدي للقضاء عليهم، وذلك ما تجلى في حرب الخندق، وتواطئهم مع الاحزاب في مهمة الاجهاز على الاسلام واهله.

وكانت سياسة (فرق تسد) اوثق وسيلة سعوا بواسطتها إلى ضرب وحدة الكلمة، وايجاد الفتنة والاختلاف في الصف الاسلامي، وتحريك بعضه على بعض، وخلق الحساسيات والحواجز النفسية بين فئاته وتأجيجها، وتحويلها إلى اتون لاهب يحترق فيه كيان الدولة الاسلامية الفتية.

ومما سجله التاريخ لها في هذا المجال هو موقف اليهودي الحاقد (شاس بن قيس) الذي بهظه اجتماع كلمة المسلمين الانصار في المدينة على نصرة الرسول، وحمايته، وتقديم الدعم اللازم له ولاخوانهم المهاجرين، فعمد إلى محاولة اشعال نار الفتنة الطائفية بين هؤلاء الحماة

والناصرين. وقد تقدم الحديث عن هذه المحاولة الدنيئة في فصل (الرسول الاكرم رائد الوحدة).

وهذه السياسة الذكية (سياسة فرق تسد) كانت وما زالت هي اشد حراب العدو اللئيم فتكاً في كيان الوجود الاسلامي المجيد، وقد عاضدتها القوة العسكرية (قوة الغزو) لاقامة مشروع التقسيم الجغرافي بعد ان نجح في اقامة التقسيم النفسي، فصيروا الوطن الاسلامي المتعاضد المتآخي روحاً وتراباً كانتونات نفسية وجغرافية ضيقة، لا تكاد تجتمع على امر، ولا يستقر بها حال على الفة او اخوة، بل حتى على جوار حسن في اكثر الاحيان، وشبت بينها النزاعات والصراعات، وكأنها ورثت العداوة من اصول شتى ومعادن مختلفة، وكأنها ليست امة الاسلام الواحدة التي صنعها ربها ببراعة هديه، وحكمة قائدها النبي المصطفى، وعرقه، وآلامه، وتضحيات جنوده الاوفياء الذين نهلوا من معين الاخوة الصادقة الذي فجره لهم في فيافي الجاهلية، حيث جدب العداء والتناحر، لتعود قلوبهم خضرا، زاهية، معشوشبة بالحب والاخاء والتآزر، حتى عادوا مصداق قوله تعالى: (**انما المؤمنون اخوة**)، واقاموا لهذا التلاحم الاخوي الوتر مشاهد خالدة سطرها التاريخ بكل اكبار واجلال لهذه اللحمة الانسانية الوتر التي ابدعتها العقيدة الرشيدة.

وكان مشهد الاخاء بين المهاجرين والانصار وما استلزمه من البذل والايثار من قبل الانصار لاخوانهم المهاجرين حتى بلغ الامر حداً يكون فيه احد الذين آووا ونصروا مستعداً ان يخير اخاه المهاجر بين احدى زوجتيه ليطلقها وتكون له سكناً، وقد صور القرآن الكريم هذه الألفة الفريدة باروع صورة فقال:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

لقد كان(مارتن اندك) شجاعاً، وجريئاً، وصادقاً، حين ظهر على اعين الناس في اوائل ايام الاحتلال ليقول على مسامعهم عبر الفضائيات، وفي مؤتمر صحفي:ـ ان بلاده سوف تستخدم سياسة (فرق تسد) في الوضع العراقي ـ لهدّ ركن الاخوة المتأصلة التي ليس لها مثيل في كل ما سوى العراق من الشعوب ـ،واعلن كذلك ان الاساليب القذرة لا تكون في منأى عن الاستخدام لنيل هذا الهدف الكبير، وحين نتعرف على هوية هذا الشخص ونجد انه صهيوني او متصهين، وقد عمل سفيراً لبلاده امريكا في اسرائيل، وكان يدير الملف العراقي في ادارة رئيسه كلنتون، تتبادر إلى أذهاننا صورة الصهيوني القديم شاس بن قيس وهو يقول كلمته تلك، ويتحرك مدفوعاً بدافع الحقد اللئيم ليطعن طعنته النجلاء بحربته الخبيثة (اثارة الفتنة والصراع القبلي والطائفي)، وليس عجباً ان نرى أبناء الشعب العراقي المظلوم وعلى كل مذاهبهم ومشاربهم يمدون اصابع الاتهام إلى الغزاة والمحتلين في كل ما يجري على ارض الرافدين من التناحر المصطنع، والصراع المدروس، والمظاهر المفتعلة للاقتتال والتهاتر والمناوشات هنا وهناك من بلاد الحضارات والمقدسات والاخاء الفريد.

ان تشخيص العدو الحاقد الذي يبذل جهده كل وقته للايقاع بين القلوب المتآخية، وفصل النفوس المتلاحمة عن بعضها، وان معرفة هويته

---

(١) سورة الحشر: الآية ٩.

الحقيقية المتمثلة اليوم بالكيد الاستعماري الصهيوني ـ ان ذلك هو افضل وسيلة بيانية يتم بها توضيح المغزى لما يجري في الساحة العراقية، وتحديد الهدف مما يدور فيها من مظاهر محزنة للاحتراب الاليم.... وحين تتشخص هوية الكيد والكائدين يسهل امر العودة إلى التوجه إلى النظرة الفاحصة في الواقع، ثم الركون إلى مائدة الحوار الاخوي البناء بروح السعي الصادق إلى اعادة اللحمة، وردم الهوة، واعادة مياه الاخوة الاولى إلى مجاريها في القلوب والارواح، لتؤوب تلك النضرة الزاهية للمحبة والصفاء في ربوع المودة والاخاء، وذلك الرواء البهيج للتلاحم على قاعدة الحب في ذات الله وفي ذات الوطن.

إلفة اسلامية ليس لها مثيل

ان الوحدة الاسلامية التي جسدتها الاخوة بين فصائل وشرائح الشعب العراقي المسلم كانت ولا تزال مضرب المثل في عمق الوداد، واستحكام الآصرة، وسلامة الصفحة، ونقاء السريرة، والبعد عن أي مظهر من مظاهر التشنج، او أي لو من الوان الضغينة الطائفية، والحساسية المذهبية، فالقلوب متحابة متواشجة بابهى صفاء، والصفوف متراصة متعاضدة في رياض الوفاء، والايدي متصافحة متآزرة في احلى اخاء، والمشاعر منسجمة سيّالة في سبحات الولاء.

مساجد الجميع مفتوحة لهم كلهم، وعتباتهم مزار قاطبتهم، وعشائرهم لا تظلل على احد دون الاخر فهي معدنهم وموئلهم، تزينها وتقويها المصاهرات المتآصرة، والارحام المترافدة، لم يعرفوا يوماً ما عرفه

غيرهم في كل بلاد المسلمين من معرة البغض، وعادية الكراهية والقطيعة، فضلاً عن داهية الصراع والاحتراب.

وهم نموذج لكل اتباع الشريعة السمحاء في التسامح، وسعة الصدر، والانفتاح على الغير، وعدم الضيق بالاخر مهما كان، وهم مثال معروف في الوصال الاسلامي على محور القرآن، ومحبة العترة الطاهرة، وهذه قضية مشهودة لهذا الشعب المسلم الذي احتضن شيعته في كربلاء مرقد الحسين واخاه العباس، تماما كما احتضن سنته في سامراء مرقد العسكريين عليهما السلام، على وتيرة واحدة من الحب، والولاء، والاجلال والاكرام للزائرين، ورعايتهم، وكما احتضن اهل بغداد جميعاً بسنتهم وشيعتهم الامامين الكاظمين، والامام ابا حنيفة، وسموا الجسر الواصل بينهما (جسر الائمة) الذي شهد ملحمة الاخاء الاسلامي، والوحدة الرسالية، يوم قام الاعظميون بنجدة اخوانهم زوار الكاظمية إلى درجة الموت على طريق هذه النجدة المدفوعة بحمية الاسلام والاخوة الاسلامية.

وقد اظهرتهم محنة الاحتلال على لون ملفت للنظر من التآزر والتعاطف، فكان الشيعة في الفلوجة في محنتها، وكان السنة في النجف في فاجعته، يتحدون الغزاة، ويفقأون عيون الحاقدين الذين لا تروق لهم هذه الوشيجة الاسلامية التي سعوا جهدهم ان يقطعوها، ويستبدلوا بها كل ما يشتهون من الكراهية والتنائي على القطيعة، والهجرعلى الضغينة.

ان شيعة العراق وسنته يستذكرون انهم وخلال مائة وعشرين عاماً في هذا الوطن الحبيب كانوا يجسمون الصورة المشرقة الناصعة للوحدة الاسلامية التي استمرت على بريقها الجذاب حتى طرأ عليها طارئ الاحتلال بقوة السلاح، وفنون المكر، وسياسة فرق تسد، فأوجد ما اوجد فيهم مما لا

تنطلي اسبابه واهدافه عليهم، وهم لا ينسون تجارب هذا المرض العضال في اجساد الشعوب من قبلهم، ولعل اقربها لهم هو جسد لبنان الذي نهشته علة الطائفية حتى صيرته شبحاً مخيفاً، ولم تنته الا بعد ان اكلت منه المئات من فلذات كبده، وشردت اكثر من مليون ونصف المليون انسان، ونهبت من ثرواته اربعمائة واربعين مليار دولار، وجاء الفرقاء بعدها ليجلسوا على طاولة الحوار بعد تلك الجروح العميقة في القلوب، وكل واحد يعض اصبع الندم على ما كان مما لم يجن منه احد الا الوبال، ولم يكن الرابح في ذلك الا من اشعل نار الفتنة ليضعف الجميع، ويكون هو السيد المتربع على عرش الهيمنة والاستغلال والاستعمار.

هناك موقف متميز هو حسب المتطلعين برهاناً على روعة ذلك الاخاء القرآني الفريد الذي سطره اتباع اهل البيت في العراق اثناء مواجهتهم الاحتلال الانكليزي في الحرب العالمية، عند غزوهم العراق لضرب الدولة العثمانية من خلفها عن طريق احتلال بلاد الرافدين، وكان موقف الحوزة العلمية واتباعها مذهلاً حقا، حيث عض هؤلاء على كلومهم الغائرة في افئدتهم الآسية، وتناسوا ما فعلته بهم الدولة العثمانية الطائفية من الأفاعيل، وما انزلته من النكبات، وهبوا بمنتهى الغيرة على عقيدتهم، ووطنهم، ووحدة امتهم، ولحمة شعبهم في العراق، وخاضوها حرباً شرسة ضد الغزاة، لقنوهم فيها دروساً خالدة سطرها تاريخ المفاخر باحرف من نور، لتبقى شموساً مشرقة للاجيال، يستنيرون بها في المخاضات، ويتعرفون منها نموذجاً لا مثيل له في الوحدة الاسلامية، والتكاتف الايماني، على قاعدة رصينة متينة هي: حب الله، وافتداء العقيدة، وحماية الوطن.

آفات الوحدة

اذا كان لكل شيء أو امر او ظاهرة أدواؤها، واسباب انحطاطها، وانحلالها، ووقوعها في براثن الداء والبلاء، فان الوحدة الاسلامية كظاهرة اجتماعية رشيدة تعبر عن سلامة الجسد الاجتماعي الاسلامي لها مثل غيرها موجبات ضعفها وانهيارها وسقوطها في مهاوي التفتت والانحلال، واذا كانت معرفة الداء اهم فصل من فصول المعالجة او نصفها كما يقولون، واذا كانت الوقاية خيراً من العلاج في المبدأ السليم -فان الوقوف على انواع الجراثيم التي تسبب بنفوذها في الكتلة الاسلامية المتواشجة مرضها وارتهانها باحبولة الشتات والتفرق، ومآل الشلل المحيط الذي لا تقدر معه على شيء من الخير، ولا تمتنع به عن شيء من السوء، فان المصادر المحتملة لاخطر مرض يمكن ان يدهم البنية الاجتماعية الاسلامية هي:-

١- العصبيات المقيتة، والتحزب الاعمى المنغلق الذي يضعه القرآن الكريم في اطار (كل حزب بما لديهم فرحون)، حيث تفقد عناصر هذا التشكيل وذاك روح الانفتاح على الآخر، وفضيلة الاستيعاب، والحوار، والتعاطي مع الغير بالايجابية البنّاءة على مشترك الخدمة والعطاء النبيل.

٢- التنازع الفئوي، والقبلي، والعنصري، والمذهبي، والطائفي الذي تتخلى فيه اطراف الصراع عن الاعتصام بحبل الله وعن الكلمة السواء: الجامع الموحد والقاسم المشترك الديني او الانساني او الوطني الذي يلم

شمل المجموعات المختلفة في دائرة الالفة والمحبة او حسن الجوار والتعارف على الاقل، وهو مبدأ قرآني مرسوم من مبادئ الحياة الانسانية: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(١).

٣ـ التطرف الاحمق، والجهل الديني المركب الذي يعمي بصيرة المتشددين عن المبادئ الرشيدة للمنطق، والعقل، والموضوعية، والنظرة الفاحصة المتعمقة في كل جوانب الخلاف، وعوامله، وآثاره، ومظاهره، واهون الشرين في حالاته ودرجاته ونتائجه، ولعل كيان الوحدة المقدس لم يصب بكارثة مثل كارثة التعنت الغبي الذي تكون ابشع الوانه في تكفير المسلمين حين يتمظهر بالقداسة، والالتزام الشرعي، والحيطة على الدين والعقيدة والاصولية المتقيدة، والمبنية على مقدمات وتفسيرات جاهلة وتحليلات عقيمة لقراءات السنة والتاريخ، والموروث الذي يؤخذ على عواهنة مما حفظ من آثار السلف الكرام التي يراد ان يتعبد بها بعد اعطائها درجة العصمة والسداد، وقابلية التطبيق في كل آن ومكان.

ولعل اروع تعبير عن التطرف الاحمق واثاره المدمرة هو قول الرسول المصطفى ﷺ (ان الاحمق العابد ليصيب بجهله اعظم من فجور فاجر)، وخير مثال لهذا المنحى هو فجور الخوارج الذين استباحوا بالتعبد الاحمق الحكم بالكفر على خير الناس بعد رسول الله علي عليه السلام.

وان الذي ينظر بعين العقل والانصاف إلى ما يجري من نزيف هائل من الوريد الاسلامي العراقي تحت مسميات المقاومة، واعزاز الدين،

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

والحرص على العقيدة، لتكون النتيجة تكفيراً لاكبر شريحة مسلمة في بلاد الرافدين، وتفجير العتبات والزيارات على من فيها من المتعبدين، وهدما للمراقد والاضرحة للائمة والاولياء والصالحين، وتقتيلاً هداة الناس من ائمة الجماعة والوعاظ والمرشدين. واي عاقبة اسوء من هذه العاقبة التي يؤول اليها التزمت والتطرف المحسوبان على الشريعة؟!، واي شريعة سماوية بل حتى وضعية تبيح مثل هذه المجازر الوحشية التي يصنعها الحقد المنسوب إلى التدين، والعمل باوامر القرآن والسنة؟!، اليس كل هذا الذي يتمحور في الظاهر حول قضية التشدد في الالتزام، ومحاربة البدع والضلالات، هو عين ما ورد في القرآن الكريم من حال اولئك المنحرفين الذين كانوا يزعمون للرسول انهم في تخليهم عن التقيد ببعض اوامره انما كانوا مدفوعين بطلب الوقوف عند طاعة الله، والبعد عن معصيته، والحذر من موجبات الفتنة والغواية؟، (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا) وصدق الله حيث يعبر عن هذه القضية عند اولئك المتقيدين!، وعند هؤلاء الاحفاد الملتزمين!، ويكشف عن جهلهم المركب الذي جعلهم اسوء الناس عملاً حيث يتصورون انهم يتعبدون الله بافضل طاعاته وقرباته:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً﴾[1].

٤ـ مداراة العقل الجمعي عند الشرائح الدينية، والخوف من العوام والسعي لارضائهم كجنود او مريدين حتى لا ينفضوا فتخسر بانفضاضهم

(١) سورة الكهف: الآية ١٠٣.

من حولها قاعدتها وجماهيرها، وهذه من امهات المصائب التي ابتليت بها مسيرة الامة المسلمة على طول الخط ـ حيث تأصلت بذلك الانحرافات والضلالات والصراعات، وتحولت إلى مبادئ وعقائد ومسلمات شرعية لا نقاش فيها، كل ذلك بسبب صمت الرموز ومجاراتها، وقد كلفها الله بان ترشد الناس، وتهديهم، وتصدهم عن الانحراف، وتقف في وجه البدع التي يظهرها سفهاؤهم، والغوايات التي يتخبطون فيها بجهلهم، هذا حيث أمر الله رموزهم ان لا تأخذها فيه لومة لائم، وان تقوم شهيدة لله بالقسط ولو على نفسها، وان تلتزم بالقاعدة الشرعية:

(اذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه)[1].

... وان تجعل نصب عينها فرض الله سبحانه:

﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ﴾[2].

وقوله تعالى في تحذيره الشديد:

﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وان الله سبحانه سوف يحمّلها لصمتها ومداراتها اوزار هؤلاء الذين يضلون ويتيهون ويغرقون في الانحرافات وتبعاتها:

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزارَهُمْ كامِلَةً يَوْمَ الْقِيامَةِ وَمِنْ أَوْزارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾.

---

(١) الوسائل، مجلد ١١ـ الصفحة ٥١٠.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

٥ـ الانخداع بالشعارات والمظاهر الدينية المقدسة، والعناوين الشرعية التي ترفعها الجماعات الغاوية القاصدة للأغواء، والجاهلة الحمقى، المبتلاة بعماية الجهل المركب، والتي تحسب انحرافها وجرائرها غاية تدينها، والتزامها، ووقوفها عند حدود ربها.

ومن الضروري هنا ملاحظة النماذج الشاخصة في تاريخنا الاسلامي الرشيد الحافل بالدروس والعبر والمواقف التي تكون منارات هادية لمن اراد ان يفيد منها سداده وهداه في معترك المتاهات والغوايات... ولا ينبغي ان تذهب سدى تلك المكابدات المريرة التي عانى منها اخيار الامة في مقاومة المظاهر والشعارات الخادعة التي تغوي عامدة او جاهلة امة الاسلام عن رشدها، ووحدتها، والفتها، واجتماع كلمتها حول محور هدايتها، وفي تجربة شعار (**لا حكم الا لله**) الذي رفعه اصحاب الجباه السود من السجود في النهروان، وفي قضية قميص عثمان في الجمل، ورفع المصاحف في صفين، وغيرها من مكامن الضلال، وتحطيم وحدة الامة، وتمزيق صفوفها، وفك عرى الفتها والتفافها حول قيادتها السديدة... ان في هذه الدروس النافعة عبرة لمن اعتبر، وموعظة لمن ادّكر.

٦ـ عدم وعي الامة بسياسة الاعداء المتربّصين بوحدتها ولحمتها، الساعين إلى جعلها فئات تتناحر، وطوائف تتهاتر، ليكون عطاء ذلك لمن دبروه بمكرهم ـ سيادة الكائدين وتسلطهم على المقدرات والطاقات والثروات.

ولو ان الامة وعت منهج عدوها في كيده على وحدتها وتآصرها والتحام عراها، ولو أنها ادركت ان أي مظهر للخلاف والتدابر هو من التدبير الخفي لعدوها، وانه لا خير في اية شائبة تكدر صفوها من قطيعة أو جفاء أو

عداء، وانها لم تجن من كل ما عايشته طول عصر انحطاطها من هذا التمحور الطائفي والمذهبي والعنصري المتعصب المنغلق سوى الخيبة والضياع والذلة والخنوع الذي أوصلها إلى الحضيض الذي تجد فيه نفسها عاجزة مقهورة، لا تقدر على شيء امام مآسيها الكبرى وعلى راسها خنوعها القاتل ازاء الاذلال الفظيع الذي يمارسه معها الصهاينة والصليبيون واذنابهم، ولو أن الامة وعت ووقفت بتدبر امام تاريخها الاصيل، وما عاناه من هذه المكائد التخريبية المدمرة التي ابتدأها آباء الصهاينة في دولة الرسول في المدينة المنورة بالتصريح والفعل من خلال مكيدة شاس بن قيس، وختمها هؤلاء الصهاينة بالتصريح والفعل أيضاً في تصريح (مارتن اندك)، وفعل الجهود التفتيتية الماكرة التي جسدت الوعيد خير تجسيد ـ لو انها وعت ذلك كله لكان لها في استلهام العبرة ما يحصنها بالحذر والمقاومة من الضعف والغفلة ازاء المكائد المتربصة.

٧ـ عدم الحكمة والحسم في عمل اطراف من القيادات الدينية في ادارة الخلاف المذهبي امام هذه الهجمة الشاملة التي لا تستثني مذهباً دون مذهب، وهي تقصد بكفرها كله وجود الاسلام كله، ولا شأن لها بمن يكون الحق معه او عليه من هذه المحاور الاسلامية، فهي كلها في نظرها محور الشر الذي يجب الخلاص منه، فهي تعلم ان شيعة اهل البيت هم الاعداء الاصلاء وعلى طول الخط للكفر، وضلالات الحكام المفسدين، وظلم السلطات الجائرة، وقد سطروا في تاريخ الامجاد ملاحم الفداء والتضحية على هذا الطريق، طريق الرفض المشهود الذي رسمه لهم سيد الأباة والاحرار الحسين عليه السلام في كربلاء.

وهكـذا اهـل الـسنة النجبـاء الـذين جـسدوا كـذلك دروسـاً رائعـة بمواقفهم الباهرة في مقاومـة الـضلال، رغـم انـه يـسعى ان يتسمى باسـمهم للخديعة، ويتدرّع بمذهبهم للحماية، ويتحصن بشعاراتهم للاغواء.

ان ملاحظة هذه القيادات الهجمـة الواحـدة للباطـل باسره علـى اهـل الحق بلا استثناء، تكفي دافعاً لتناسـي الخلافـات الجزئيـة، وغـض النظـر عـن الاجتهادات الفرعية، والسعي للوقوف على مشترك الاصول العامة الموحدة، والمبادئ الاساسية الجامعة، بهدف حماية بيضة الاسلام وكيانه مـن الانهيـار بمعـاول الغـزاة الطـامعين، مـع ملاحظـة ان قـضية العنـاوين الثانويـة الملزمـة بالاخاء امام الهجوم الشامل ـ هـي قـضية منطقيـة صـارمة، ولا يجـوز اغفالهـا على اية حال في هذه المواجهة الحامية التي تستدعي من الرمـوز الهاديـة ان ترى في تبعات وعواقب التشتت والتدابر عناوين خطيرة تهدد وجود الرسالة واهلهـا بـشر النكبـات والخطـوب، وهـذه العنـاوين تلـزم رواد الـشريعة والمتفقهين ان يجعلوها مدار الموقف السليم، وقطب الرحى فـي المبـادرات الواجبة لادارة الصراع الاستثنائي الذي اعلـن مـن يدبرونـه انهـم يـشنون فيـه حرباً صليبية جديدة، وهي قطعاً لا تفرق بين مذهب وآخر، ولا تميـز فـصيلاً اسلامياً عن سواه.

طريق الخلاص

اذا كان لكل معضلة مهما كبـرت وتعقـدت ـ حـل يفـك كبولهـا عـن اعناق من استغلقتهم وبهظتهم، وربما ظنوا انهم عـاجزون عـن الخـلاص مـن اوهاقها واطواقها ـ فان لمعضلة الشتات العراقي الذي كـاد بـه الكائـدون بلـد الالفة والمحبة والاخاء المتين ـ سبيلاً للخـلاص فـي احـسن مـا يكـون ذلـك الخلاص من هذه النازلة الفادحة باشد دواهيها ومراراتها وافرازاتها.

وحين يكون الدين الجامع والقرآن الموحد الذي هو اقدس المشتركات وعروة الاستمساك المثلى ـ هما الدليلين الهاديين إلى سداد الخطى نحو ذروة النجاة من متاهة الحيرة في هذه الطامة الكبرى وهي الاحتراب، والتناحر، والشحناء، والتدابر، فان العثور على ضالة الجميع وهي (الوحدة الاسلامية) ايسر منالاً اذا صَدق الجميع ربهم ورسالتهم وكتاب وحيهم الكريم، ونزعوا امام حكمه حكم الاهواء، والخلفيات، والدواعي النفسية والفئوية، ومسبقات المواقف، والخطوط الحمر التي افرزتها العصبيات الجاهلية، والحزبيات المقيتة، والتعنصر المريض الزائف، وخداع الشيطان الذي بين لنا ربنا ان هدفه الاثير في تسويله لنا هو:

﴿إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَةَ وَالْبَغْضاءَ﴾[1].

واذا ركنوا الى روح العقل والمنطق والبصيرة النيرة، بدل اللجاجة والعناد وقسوة الرفض التي قد يؤطرها اصحابها بالثبات على المبادئ، والمصابرة على الاصول والقيم والحقوق، وليس ثمة في الواقع الا حمية عمياء، وجهلٍ مركب، ومجافاه لمنطق الرسالة، والحكمة، والمصلحة العليا، واستحقاقات الموقف السليم في ام الكوارث.

ان اهم المفردات المتصورة في طريق الخلاص المنشود:ـ

١ـ قيام المرجعية الدينية وقادة الامة الرساليين باخطر وظائفهم وهي وظيفة العودة بأمتهم إلى رحاب الشريعة في صفائها ونقائها قبل ان تمحورها العصبيات الفقهية، ويكون الجميع على استعداد وافر للانصات لحكمها، والالتزام باوامرها بعيداً عن بواطن ومظاهر التعبئة النفسية التي اوجدتها ظروف المحنة ومخاضاتها، والتأكيد على انه اذا لم يكن في الشريعة الا

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩١.

أمرها الصارم: ﴿وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا...﴾، ولم يكن فيها الا نهيها الاكيد: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم...)، ولم يكن فيها الا دلالتها العملية الاكيدة على رفع الشحناء بالصلح حتى لو وصلت إلى حد الاقتتال ـ(وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوافاصلحوا بينهما) لكفى بذلك امراً ملزماً بخير ما فيه سعادة هذه الامة، وعزها، ودوام مجدها، ولكفى به نهياً حاسماً عن شر ما فيه شقاؤها وهوانها.

٢ـ التفاف الامة حول مرجعيتها وعلمائها وقادتها الربانيين على طريق الله، وبذل الوسع في الاصغاء إلى توجيهاتهم، والالتزام بأوامرهم لا سيما في اهم ما يدعون اليه ويأمرون به وهو مشروع الوحدة.

٣ـ شعور هذه الرموز الاسلامية بانها امل الامة في النجاة، وانهم حبل الله الذي تعتصم به في محنتها (محنة الاحتراب)، من هنا يكون دأبهم وسهرهم مضاعفين لاجل ان تجد فيهم الامة ما ترجو من الخلاص، ويكون اهم ما يؤدونه لها على الطريق إلى منشودها هو ان ينصفوها بالنصيحة الشفيقة الصادقة، والموقف الموضوعي النزيه الذي لا يحابيها ولا يصانعها ان هي اخطأت، بحكم العقل الجمعي، او المكائد المتربصة، او تداعيات الصراع وآثاره النفسية والمادية المدمرة، وان يقولوا لها كلمة الحق واقعة ما وقعت من هواها ورغبتها، فشعار هذه الرموز الصادقة هو قول الله تعالى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ...﴾[1].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٥.

﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى﴾(١).

ويكون الهم الدائب لهؤلاء العلماء الكرام ان يسوسوا امتهم بالحكمة والموعظة الحسنة والاساليب الذكية نحو وحدتها، وان تكون المداراة الرشيدة والصبر الواثق الفسيح عماد منهجهم في التدبير الريادي الوحدوي، وهم يستذكرون حكمة اسوتهم رسول الله في ايجاد الوحدة لكيان امته، وفي الحفاظ على ذلك الكيان بها، واظهاره كياناً رائداً ليس له مثيل، ويكون العلم والتثبت منارهم في داجية المكائد، والتخبيل، والفتن، ومساعي المخربين بما يفتعلون وما يبثون لفك عرى الامة وتشتيت شملها:ـ

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى ما فَعَلْتُمْ نادمينَ﴾(٢).

﴿وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ منَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾(٣).

وان يكون الحلم ظهير ذلك العلم في معالجة المواقف المتشنجة التي يريد لها الشيطان والكائدون ان تبلغ حيث يشتهون من الفورة والسعار والدمار، ويعاضد ذلك الحلم مشروع الحمل على احسن المحامل، وتوجيه الامور والمواقف إلى خير الوجهات واقربها إلى بقاء الصفاء ودوام الاخاء

(١) سورة المائد: الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٦.

(٣) سورة النساء: الآية ٨٣

حسب اوامر الشريعة بحمل الملابسات بين الاخوان على سبعين محمل، وعدم الظن السيء بكلمة او تصريح يصدر من هذا الاخ او ذاك، ما دام من الممكن ان يصار بهما إلى ساحة التزكية والتنزيه لتبقى في وثاق الالفة وحبل الوداد، ويكون الدور البناء في ردم المهاوي، وحذف الفواصل، ورفع الخلافات، هو الجهد الزكي النبيل الذي تلزمهم به شريعتهم واستحقاق مسؤوليتهم ازاء وظيفة العلاج لادواء الامة وامراضها الاجتماعية التي يكون التناحر أخطرها، وافتكها، واشدها تأثيراً على سلامتها وعزتها.

٤ـ ادراك ان المطلوب من الوحدة الاسلامية ليس هو ان يتخلى ابناء هذا المذهب او ذاك عن مسارهم الاجتهادي ليدخلوا في المسار الآخر، بل المطلوب هو ان يكون هدف الجميع هو الرجوع إلى المشتركات الاساسية وهي اصول المنهج، والأئتلاف عليها، وجعلها المحور الاساس الذي يدور حوله كيان الامة الواحدة على ما فيها من التعددية المذهبية التي يجب ان تكون من اسباب الثراء الفكري والثقافي والروحي.واذا كان الرب الواحد والقرآن الواحد والقبلة الواحدة مدعاة للاتحاد والتواصل، فلن تكون الفروع والجزئيات الاجتهادية مثاراً للاختلاف ما دام الجميع يعلمون انها لا تعدو ان تكون آراء واجتهادات فقهية لم يرد بها من استنبطوها ان يمزقوا امتهم ويشتتوا شملها.

٥ـ عزل الدسائس والدساسين الذين لا يهمهم الا ان يمزقوا صفوف هذه الامة لينالوا غاية ما يشتهون، وهؤلاء المخربون من محتلين وجلادين وتكفيريين وان اختلفت منازعهم ومصالحهم، لكن هدفهم واحد هو جعل جسد الامة الموصول بعضه ببعض اوصالاً ممزعة لاحراك فيها، ليسهل العبور عليها جسراً إلى الغايات المرسومة، ولا يكون هذا العزل لهؤلاء الدساسين الا بالوعي بالنوايا، والمخططات، والاساليب، والسياسة، القديمة

الجديدة (فرق تسد) التي اثبتت جدارتها وكفاءتها، وحققت لأصحابها اوفر المكاسب عن ايسر السبل.

٦ـ تحجيم دور التكفيريين الذين لبسوا مسوح الشريعة، ورفعوا شعارات الاصالة والمبدئية والالتزام بحكم الجهاد، وعزلهم عن واقع الامة المتآخي الذي كانوا هم مع الاحتلال شر طارئ حل عليه، وخرب صفاءه المشرق، والفته المعهودة. مع الالتفات إلى ان النتيجة من كل جهد التكفيريين وجهادهم:

أ ـ اشعال الفتنة الداخلية باية وسيلة.

ب ـ الضرب على الوتر الطائفي والمذهبي.

ج ـ حمامات الدم التي جرت من شرايين الابرياء.

د ـ هدم المساجد والعتبات، وانتهاك الحرمات والمقدسات.

هـ ـ تقديم الخدمة المثالية للاحتلال لاشغال الامة عن وجوده، والهائها عن التفكير السديد بالمقاومة الشريفة، واعطائه الذريعة للبقاء المدنس الذي يدعي التكفيريون انهم يريدون ان يرفعوه عن ساحة هذه الامة.

وحين تتوجه الامة المسلمة إلى ان مهمة التكفير تتجافى عن اوضح مبادئ الاسلام وفتاوى الفقهاء، وان نتيجتها وهي اراقة الدم الحرام تتنافى مع أهم مقاصد الشريعة الخمسة وهو صون الدماء والاحتياط فيها ـ حين تدرك الامة ذلك ستجد ان وعيها ورسالتها وبصيرتها تلزمها بموقف الجفاء والعداء لهؤلاء العتاة المخادعين باسم الدين.

٧ـ الاعتقاد الجازم بان مؤامرة الاحتلال الكبرى هي تمزيق الأمة، وتحويلها إلى فصائل متناحرة، واحتلال عقولها وقلوبها بافكار الفتنة، وهذا اسوء من احتلال ارضها ووطنها، ويجب ان يكون نصب العين دائماً انه ما من اختلاف في هذه الامة ولا سيما في ظرف الاحتلال الا وخلفه دسيسة

ماكرة من دسائسه، مع ملاحظة ان بعض رموزه صرحوا بأنهم سيدبرون بنار الفتنة محرقة الوحدة التي تأكل خضراء الالفة والاخاء لينتشوا هم بغاية ما يطلبون.

٨ ـ النظر إلى الحل السياسي والعملية الديمقراطية الصادقة بحكم العناوين الثانوية، ومعطيات المنطق الموضوعي، واستحقاقات الواقع الاليم والظروف الاستثنائية ـ على انه الحل الامثل لمعضلة الاحتلال وفقد الاستقلال، وانه اهون الشرين في الوسائل المتاحة للخلاص، مع الاعتبار بنتيجة الذين جربوا الطريق الآخر والتي كانت عبارة عن الدم المسفوح بلا طائل، والدمار الشامل، والمؤدى العكسي تماما، ومن هنا عادوا إلى ما تمت دعوتهم اليه منذ البدء، لكنهم كابروا بالعناد او الجهل المركب فلم يفلحوا.

٩ ـ عقد ميثاق وحدة اسلامية وطنية بعد مؤتمر اسلامي تدعو اليه رموز المرجعيات الدينية والسياسية والثقافية والعشائرية، وتتبناه منظمة المؤتمر الاسلامي، وباهتمام خاص من دول الجوار الاسلامي والجغرافي لقطع دابر الفتنة، والوقوف بمحنة الشعب على نهايتها، ورمي مأساتها وتداعياتها وآثارها في هوة النسيان إلى الأبد.

١٠ـ تعزيز مظاهر الوحدة والالفة بكل ما هوَّ ممكن ومتاح من الطرق والاساليب، واستخدام المساجد، والمناسبات، ومنابر الصلوات، ووسائل الاعلام المتوفرة وهي كثيرة بحمد الله ـ ادوات تبليغية مؤثرة وفعالة بما تمتلك من القدسية والاحترام، لتعميق روح المودة، وتأصيل مبدأ الاخاء بفهم الشريعة وحكمها وتوجيهاتها، وليس هناك مؤثر في الشارع العراقي المسلم مثل دينه، ورسالته، وتعاليم قادته وهداته ورموزه.

١١ـ سلوك مسلك العقل والحكمة في ادارة الصراع ضد الهم المشترك وهو الاحتلال، حيث يقتضي التدبير المنطقي الحكيم ان يتناسى الفرقاء خلافاتهم، ويوحدوا جهودهم للخلاص من الخطب الشامل، وليس من المعقول اطلاقا ان يفتح المحاربون جبهة حامية كبرى ابواب جبهات اخرى على انفسهم، لاسيما جبهة الفتنة الداخلية التي يريدها لهم من يحاربونه، ليجعلهم بها أعجز عن ان يصلوا إلى هدفهم المشترك مهما طال بهم المسير مع جهادهم وجهودهم، ما دامت القلوب شتى، والأرواح على شحنائها، والقوى والطاقات في تبعثرها.

التكفير: جذوره، دوافعه، وآثاره

لعل اشد ما قاسته وحدة الأمة الاسلامية من مخاطر الداخل وتهديداته - كان هو التكفير الذي شهرته زمر التكفيريين المدفوعين بالحماقة، والحقد، والتعصب الاعمى، والتحريك الخفي من السلطات واسيادها احيانا، فعمدوا جاهدين بما اوتوا من وسائل وسبل اتيحت لهم إلى تقطيع اوصال الأمة بفصل اجزاء منها عن جسدها الكريم ولحمتها المباركة، بادعاءات زائفة، وأوهام ساهية، مشحونة بالاباطيل والأضاليل والافتراءات.

لقد ظهر هؤلاء التكفيريون منذ تلك الخطوة الاولى التي مشاها قدوتهم واسوتهم (ذو الخويصرة التميمي) في حنين، حين وقف امام رسول الله ليصمه بالبعد عن سواء الصراط في قسمة الغنائم، ويتهمه بعدم العدل فيما فعله فيها. تقول السيرة:

(بينا رسول الله ﷺ يقسم قسماً جاء رجل من بني تميم يدعى ذا الخويصرة فقال:- اعدل يا محمد - فقال ﷺ قد عدلت - فقال له ثانية:- اعدل يا محمد فانك لم تعدل. فقال ﷺ:- ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل؟ فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله أتأذن لي ان اضرب عنقه، فقال: دعه، فسيخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... يخرجون على حين فرقة من الناس، تحتقر صلاتكم في جنب صلاتهم، وصومكم عند صومهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، آيتهم

رجل اسود، مخدج اليد، احدى يديه كأنها ثدي امرأة... انهم شر الخلق والخليقة، يقتلهم خير الخلق والخليقة، واقربهم عند الله وسيلة)[١].

وقد تلت تلك الخطوة من ذي الخويصرة خطوة حفيده في المسار ذي الثدية المشار اليه في الرواية وهو (حرقوص بن زهير السعدي) قتيل النهروان، الذي دخل على الامام علي عليه السلام بعد عودته إلى الكوفة من واقعة صفين وقال له:ـ

(تب من خطيئتك)[٢].

وانطلق هو ومن لف لفه في التحريك ضد الامام حتى ائتلف حشد الخوارج على كلمة الحرب. وقد جاهروه بمبدأ النصب والتكفير، واصروا عليه ان يتوب من شركه في قضية التحكيم، وانطلقوا على سجية التخرصات الجافية، والطباع الناكسة، والغلظة المتوحشة التي نبذت قيم السماء والارض بما اتبعته من شرعة الهوى المشحون بالغي، والغيظ، والعتاهة، وبلادة الجهل المركب، وتسويلات الشيطان والنفس الامارة، وكان شر صنعهم ان البسوا ذلك الطارئ على الدين من بدعتهم الشوهاء لبوس الاسلام، بل زينوه بظاهر المدعيات البراقة من الاصالة، والتثبت في اسس الشرع، وطلب الحقيقة، وردع المنكر ومظاهر الشرك، واعادة الامور إلى نصابها في منهج الحق، وازاحة ما أعتراها من البدع والانحراف والزيف والغواية، ليكون اخبث ما طلعوا به على الواقع من التلبيس والتدليس والتعميس هو شعارهم (لا حكم

---

(١) صحيح البخاري ـ المغازي ـ حديث ٤٣٥١.

(٢) سيرة الائمة الاثني عشر ـ الجزء الاول ـ الصفحة ٤٨٨.

الا لله)، لينتضوه سيفاً بتارا في وجه من لم تعرف الدنيا احداً بعد رسول التوحيد ذائباً مثله في حقيقة الوحدانية، ومضحياً على طريقها، وشارحاً لمفهومها، وداعياً إلى التزام هداها في ذروة البصيرة بها، والاستمساك بعروتها، والاحتماء بعصمتها من مهاوي ما ظهر وما بطن مما سواها .

وكان شعاره ازاء ذلك الشعار الضلّيل هو مدرسة العقل والحكمة والسداد التي اقام اساسها، ورفع نبراسها منارة لاجيال الأمة من بعده، حيث قال عن شعارهم ذاك: (**كلمة حق يراد بها باطل**). وان لم تكن هذه الكلمة سيدة الحكم البشرية، واجداها نفعاً في الواقع العملي فهي طليعتها من الخوالد اللواتي وجدت فيها الانسانية مصابيح مضيئة في البصائر والعقول، تدل على سداد الخطى في متاهات السبل.

لقد ذبحوا بسيف التكفير عبد الله بن الخباب الصحابي الجليل ذبحاً، وبقروا بطن زوجه الحامل المتم، وذبحوا كذلك عامل علي على المدائن بعد ان اجتمعت كلمتهم فيها قبل النهروان، وقتلوا عدة نساء منهن ام سنان الصيداوية، وكان نداؤهم وهم يستعدون لقتال الامام علي هو عين نداء احفادهم اليوم وهم يستعدون لذبح الابرياء في الشوارع والميادين والأسواق، وابادة العابدين في المساجد، ومراسم الزيارات والمناسبات الدينية.

لقد كان ذلك النداء هو:

(تهيأوا للقاء الرب، الرواح الرواح إلى الجنة)[1].

---

(١) اعيان الشيعة ـ المجلد ١ـ الصفحة ٥٢٤.

وكان موقفه ازاء من رفعوا عقيرتهم بتكفيره وتكفير اصحابه بذلك الشعار المشبوه ـ هو اسوة المواقف المطلوبة من حماة الشريعة المستنيرين بعمق بصرهم، ونفاذ فهمهم، وبلاغة صبرهم، وصلابة حسمهم المسدد الذي لا هوادة فيه ازاء شر المنكرات قاطبة وهو التدرع بالدين لشن الغارة الشعواء على حرماته، ومقدساته، والتحام عراه، ووحدة امته، وامنها في ظلال دعتها، وغبطتها، واستقرارها في بحبوحة الوئام، وروح السلام.

وكان نداؤه الفذ العجيب الذي اراد ان يجمع به صفوف الأمة المسلمة بمنتهى الوعي والبصيرة على خط المواجهة الحامية لاقبح الشرور وهو الفتنة الداخلية التي لبست لأمةَ الشريعة:

(قد فُتح باب الحرب بينكم وبين اهل القبلة، ولا يحمل هذا العَلَم الا اهل البصر والصبر والعِلم بمواضع الحق)[1].

وكان وصفه لهؤلاء الحمقى الجفاة الذين رفعوا في وجهه لواء غيهم ليكونوا قدوة السائرين من بعدهم في متاهة التكفير ولوازمه من استباحة الدماء والاعراض:

(انتم معاشر اخفّاء الهام، سفهاء الاحلام)[2].

(انتم شرار الناس، ومن رمى به الشيطان مراميه وضرب به تيهه... على غير بينة من ربكم، ولا سلطان مبين معكم)[3].

---

(١) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٧٣.

(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ـ الخطبة ١٢٧.

وقد حكم عليه السلام على شعارهم الاحمق: (**لا حكم الا لله**) كما اسلفنا باروع وصف توصف به حماقة متلبسة بلباس الدين والشعارات الاسلامية في ذروة قداستها. وقد بقي هذا الوصف حكمة بالغة رائدة، يرددها الناس عند كل شر يؤطره دعاته باطار الخير، وعند كل فساد يظهره اصحابه بمظهر الصلاح.

وقد كانت صرامة الموقف من الامام علي عليه السلام في استئصالهم درساً للسائرين على طريق العقل والمنطق والحسم في التعامل مع كل غدة خبيثة في جسد الأمة تسبب لها الانهيار اذا تركت بلا استئصال. وقد اجهد الامام نفسه بالمباشرة وبالواسطة ان يتم الحجة عليهم قبل ازاحتهم عن طريق الشرعية، لكنهم كانوا على منتهى شقاقهم وعنادهم كالثور العاقص قرنه.

وحين امتلأت باشلائهم ساحة النهروان ـ احب الامام ان يرسّخ عقيدة اصحابه وهممهم على طريق الولاء والفداء، فاشتد في طلب المخدّج ذي الثدية بين القتلى حتى وجده، فكبر وكبر معه اصحابه، ثم قال: (**والله ما كَذَبت ولا كُذّبت**)[1]. وقد حاول اعداؤه اللئام انْ يطمسوا هذه الحقيقة (**قتل ذي الثدية**) عن الأمة، كما فعلوا في قتل عمار بن ياسر في صفين، حيث جهدوا في مخادعة الأمة بادعاء ان من قتل عماراً هو من اخرجه إلى حرب البغاة الامويين. وقد سعى عمرو بن العاص في قضية ذي الثدية سعيه

---

(١) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٨٥.

في قضية عمار، جاهدا ان تغيب هذه الكرامة من كرامات علي عن وعي الأمة، فادعى حتى لعائشة انه هو الذي قتل ذا الثدية قبل واقعة النهروان في مصر.

تقول السيرة يؤيدها ما ورد في مسند أحمد بن حنبل عن مسروق ان عائشة قالت له:

(انك من ولدي ومن احبهم اليّ، فهل عندك علم بالمخدّج؟ فقلت: نعم قتله علي بن ابي طالب على نهر يقال له النهروان، فقالت: ابغني على ذلك بينة، فأتيتها برجال عندهم علم بذلك، فقالت: لعن الله بن العاص، لقد كتب اليّ يخبرني انه قتله بالاسكندرية، الا انه ليس يمنعني ما في نفسي ان اقول ما سمعته من رسول الله، لقد قال: يقتله خير امتي من بعدي)[1].

لقد كان من افسد ما نتج عن هذا المنهج التخريبي الذي مشى عليه هؤلاء الحمقى وقطاع الطريق على وحدة الأمة وقيادتها الرشيدة ما يلي:ـ

أ ـ انتهاك حرمة القيادة الشرعية باتهامها بالانحراف عن جادة الحق والعدل، كما فعل اصلهم ذو الخويصرة مع النبي، وكما فعل حفيده ذو الثدية مع الامام علي، وكما فعل حفيده الآخر جراح بن سنان مع الامام الحسن حين قال له: **(لقد اشرك ابوك ثم اشركت من بعده)**[1].

ب ـ تعريض أمن المسلمين وسلامتهم واستقرارهم لاخبث المخاطر واشدها فتكاً وهو خطر الفتنة الداخلية، وارباك مسيرة الأمة، وتقطيع اوصالها إلى محاور تتصارع باسم العقيدة كما فعلوا في فتنة الخوارج.

ج ـ سفك دماء الابرياء من المسلمين والموحدين والمتعبدين، والتي جرت انهاراً وبأبشع الوسائل والطرق، بعد وصمهم بالتهم الباطلة التي

---

(١) سيرة الائمة الاثنى عشر ـ الجزء الاول ـ الصفحة ٤٩٢.

تترأسها تهمة الشرك، وكان على رأس هؤلاء المؤمنين اميرهم امير الحق والحقيقة علي بن ابي طالبعليه السلام، الذي قتلوه في صلاته في مسجد الكوفة في فجر يوم هو من خير ايام الله في شهر رمضان المبارك.

د ـ تعمدهم اللئيم الظالم حمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين واصنامهم على المسلمين، ومراقد نبيهم وائمتهم، واضرحة اولياء الله الصالحين، في اقبح مجازفة حمقاء يرتكبها فاسد العقل، منحرف العقيدة، عديم العلم، مركب الجهل، يحسب نفسه يحسن صنعاً، وهو على خلاف ذلك تماماً. وقد ابتدأ مسيرهم في هذا المنحى في مواجهتهم للامام علي وهم يرددون على مسمعه الشريف قوله تعالى: **﴿لئن اشركت ليحبطن عملك﴾**[٢].

هـ ـ تشويه سمعة الاسلام ورسالته الخاتمة في اذهان البشرية التي روعتها وهزتها من الاعماق صور الجرائم الفظيعة التي ارتكبتها زمر التكفيريين بحق الابرياء على هويتهم، وقد اعطوا بذلك ادلة موثقة بالمشاهد والممارسات لاعداء الاسلام من الصليبيين والصهاينة والملحدين، لادانة الاسلام واهله ابشع ادانة، وقد جعل هؤلاء الاعداء تلك الممارسات مبرراً كافياً لوصف العقيدة واهلها بالتخلف والاستبداد والوحشية، واعتبروه مسوغاً للهجمة الجديدة على عالم الاسلام في حرب صليبية جديدة كانت

---

(١) نفس المصدر ـ الصفحة ـ ٥٧٦،

(٢) اعيان الشيعة ـ المجلد الاول ـ الصفحة ـ ٥٢١.

افعال التكفيريين من ايسر مبرراتها، وافضل مسوغاتها، واوفى اغطيتها الشرعية امام الرأي العام العالمي والداخلي.

و ـ محاولة افساد عقول الشباب ذوي التوجهات الطيبة المتعطشة إلى معين الشريعة السمحاء، وتحويلهم إلى قنابل موقوتة تتفجر في كل مكان كلامياً وجسدياً في وجوه المسلمين الآخرين، لتنبزهم بأسوء الالقاب، وتستهدفهم بافظع الوان الموت، معتبرين ذلك حسب ما لقنتهم به زمر التكفيريين ـ افضل القربات إلى ربهم، ومن خير مصاديق الجهاد في سبيله، فلم يبقوا في قوس الحماقة من منزع، وبلغوا بشذوذ الرأي والسلوك منتهى ما يبلغه شاذ على هذين الصعيدين، فكانوا بذلك المصداق الابرز لقول الرسول المصطفى ﷺ:

(ان الاحمق العابد ليصيب بجهله اعظم من فجور الفاجر)[1].

(١) ادب الدنيا والدين ـ الصفحة ٢٢١.

علماء الامة في مواجهة التكفيريين

انطلاقاً من كون رزية التكفير هي ادهى رزايا الامة، وافظعها فتكاً في وحدتها ولحمتها، واكثرها قسوة على شعبنا المسلم في عراق المقدسات، حيث جرت انهار الدماء، وذبح الابرياء، وقتل الاطفال والشيوخ والنساء، وهدمت المساجد والمراقد، واحرقت المصاحف، واستبيحت الحرمات، وانتهكت الاعراض، وصار قتل المسلمين والمصلين وزوار العتبات مباحاً بل قربة من افضل القربات بخير الحسنات، ووسيلة من اكرم وسائل الرضوان وبلوغ الجنان ـ لاجل ذلك وسواه ارتأينا ان نعرض في فصلين مهمين مجموعة من فتاوى علماء الاسلام السالفين والمعاصرين في مقولة التكفير، والتضليل، واستباحة دماء المسلمين، ونذكر آراء اولئك العلماء في المكفرين والمستبيحين والساعين إلى تمزيق شمل الامة، وهد اركانها وقواها في اقسى ظروفها، وهي تتعرض لاشرس حملة يشنها عليها اعداؤها واعداء رسالتها من الصليبيين والصهاينة والطامعين:

الفصل الاول: علماء السلف

١ـ عن العارف الشعراني في كتاب اليواقيت والجواهر المبحث ٥٨: ان شيخ الاسلام تقي الدين السبكي قال:ـ

(ان الاقدام على تكفير المؤمنين عسير جداً، وكل من في قلبه ايمان يستعظم القول بتكفير اهل الاهواء والبدع مع قولهم (لا اله الا الله محمد رسول الله)، فان التكفير امر هائل عظيم الخطر، فالادب من كل مؤمن ان لا يكفّر احداً).

٢ـ يقول رشيد رضا صاحب المنار المجلد ١٧ صفحة ٤٤:

(ان من اعظم ما بليت به الفرق الاسلامية رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر، مع ان قصد كلٍ هو الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده، واعتقاده، والدعوة اليه).

٣ـ النبهاني البيروني في كتاب شواهد الحق **(اعلم اني لا اعتقد ولا اقول بتكفير احد من اهل القبلة، لا الوهابية ولا غيرهم، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايمان بنبينا محمد، وما جاء به من دين الاسلام).**

٤ـ العارف الشعراني في اليواقيت والجواهر، الجزء الثاني، المبحث ٥٨:

(فقد علمت يا اخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين امسكوا عن القول بالتكفير لاحد من اهل القبلة ((فبهداهم اقتده)).

٥ـ ابن حزم ـ الجزء الثالث من كتاب **(الفصل في الاهواء والملل والنحل)، الصفحة ٢٤٧:ـ (ذهبت طائفة انه لا يكفر ولا يفسّق مسلم بقول قاله في اعتقاد او فتيا... وهذا قول ابن ابي ليلى، والشافعي، وسفيان الثوري، وداود بن علي، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة، لا نعلم منهم خلافاً في ذلك اصلا).**

٦ـ ابو الحسن الاشعري ـ كتاب اليواقيت والجواهر المبحث ٥٨:

(اشهدوا علي انني لا اكفرّ احداً من اهل القبلة بذنب، لأني رأيتهم كلهم يشيرون إلى معبود واحد، والاسلام يشملهم ويعمهم).

٧ـ الامام الشافعي في رسالته كما ورد في كتاب الشعراني الآنف في مبحث ٥٨:

(لا اكفّر اهل الاهواء بذنب، ولا اكفر احداً من اهل القبلة بذنب).

٨ـ ابن حزم في كتابه ـ الفصل في الاهواء والملل والنحل ـ الصفحة ٢٥٧:ـ

(واما من سب احداً من الصحابة﵁ فان كان جاهلاً فمعذور، وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق، وان عاند الله ورسوله في ذلك فهو كافر).

٩ـ عن القاضي عياض في الباب الاول من القسم الرابع من كتاب الشفاء نقلاً عن القاضي اسماعيل وغير واحد من الائمة:

(ان رجلاً سب ابا بكر بمحضر منه﵁ فقال له ابو برزة الاسلمي: يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال له:ـ اجلس ليس ذلك الا لرسول الله ﷺ).

١٠ـ وفي ذلك الكتاب وفي نفس الباب ايضاً:

(ان عامل عمر بن عبد العزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر (رض) فكتب اليه:ـ لا يحل قتل امرء مسلم بشب احد الا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله فمن سبه فقد حلّ دمه).

١١ـ علي بن حزم الظاهري في كتاب الفصل في الاهواء والملل والنحل، الصفحة ٢٠٦ قال:ـ **(واما الاشعرية فقالوا:ـ ان شتم من اظهر الاسلام بافحش ما يكون من الشتم، واعلان التكذيب له بلا تقية ولا حكاية، والاقرار بانه يدين بذلك، ليس بشيء من ذلك كفراً).**

١٢ـ الأوزاعي:ـ

(والله لئن نشرت لا اقول بتكفير احد من اهل الشهادتين).

١٣ـ ابن سيرين:ـ

(اهل القبلة كلهم ناجون).

١٤ـ سفيان الثوري:ـ

(لا تحل عداوة موحد وان مال به الهوى عن الحق).

١٥ـ سعيد بن المسيب:ـ

(لا تعاد منتحلاً لدين الاسلام وان اخطأ، فكل مسلم مغفور له).

١٦ـ ابن رجب الحنبلي كما في كتاب (نواقض الايمان الاعتقادية وضوابط التكفير عند السلف ـ لمحمد بن عبد الله بن علي الوهيبي الجزء الاول الصفحة ٢٣٦:ـ

(ومعلوم بالضرورة ان النبي كان يقبل من كل من جاء يريد الدخول في الاسلام ـ الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك، ويجعله مسلما).

١٧ـ الذهبي في سير اعلام النبلاء الجزء ١٥ الصفحة ٨٨ عن استاذه ابن تيمية:

(لا اكفر احداً من الأمة، قال النبي ﷺ: لا يحافظ على الوضوء الا مؤمن، فمن لازم الصلاة بوضوء فهو مسلم).

١٨ـ ابن تيمية في منهاج السنة النبوية الجزء الخامس الصفحة ٩٥:

(واهل السنة لا يكفرون من اجتهد فأخطأ، وان كان مخالفاً لهم، مكفراً لهم، مستحلاً لدمائهم، كما لم تكفّر الصحابة الخوارج مع تكفيرهم لعثمان وعلي ومن والاهما، واستحلالهم لدماء المسلمين والمخالفين لهم).

١٩ـ ابن تيمية في مجموع الفتاوى الجزء الثالث الصفحة ٢٨٢:ـ

(اذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والاجماع لم يكفروا مع امر الله ورسوله بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو اعلم منهم، فلا يحل لاحد من هذه الطوائف ان تكفرّ الاخرى، ولا تستحل دمها ومالها، وان كانت فيها بدعة محققة).

٢٠ـ ابن تيمية في مجموع الفتاوى الصفحة ٢٣٩ الجزء الثالث:

(اما مسائل العقائد فكثير من الناس كفّر المخطئين فيها، وهذا القول لا يعرف عن احد من الصحابة والتابعيين لهم باحسان، ولا عن احد من ائمة المسلمين، وانما هو في الاصل من اقوال اهل البدع).

٢١ـ الطحاوي في شرح العقيدة الطحاوية ـ الجزء الثاني الصفحة ٤٥٨:ـ

(لا يخرج العبد من الايمان الا بجحود ما أدخله فيه).

٢٢ـ ابن عابدين في كتاب رد المحتار على الدر المختار ـ الجزء السادس ـ الصفحة ٢٧١:ـ

(والذي تحرر انه لا يفتى بكفر مسلم امكنْ حمل كلامه على محمل حسن، او كان في كفره اختلاف ولو رواية ضعيفة، وعلى هذا فاكثر الفاظ الكفر الموجودة لا يفتى بالتكفير فيها، وقد الزمت نفسي ان لا افتي بشيء فيها).

الفصل الثاني: العلماء المعاصرون:

بيان هيئة كبار العلماء حول خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام علي رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه.

اما بعد: فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والاربعين المنعقدة بالطائف ابتداءً من تارخ ١٤١٩/٤/٢هـ ما يجري في كثير من البلاد الاسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظرا إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق ارواح بريئة، واتلاف اموال معصومة، واخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس اصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحاً لله ولعباده، وابراءً للذمة، وازالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليهم الامر في ذلك، فنقول وبالله التوفيق:

أولا:

التكفير حكم شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما ان التحليل والتحريم والايجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول او فعل، يكون كفراً أكبر مخرجاً عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله؛ لم يجز ان نكفر الا من دل الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الاحكام الخطيرة، واذا كانت

الحدود تدرأ بالشبهات، مع ان ما يترتب عليها اقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير اولى ان يُدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي صلى الله عليه وسلم من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: (ايما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، ان كان كما قال والا رجعت عليه) وقد يرد في الكتاب والسنة ما يُفهم منه ان هذا القول او العمل او الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره.

وهذا الحكم كغيره من الاحكام التي لا تتم بوجود اسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الارث، سببه القرابة - مثلا - وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره عليه المؤمن فلا يكفر به.

وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح او غضب او نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: (اللهم انت عبدي وانا ربك) اخطأ من شدة الفرح.

والتسرع في التكفير يترتب عليه امور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيره مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن ان يُقدم عليه لأدنى شبهة.

وجملة القول:

ان التسرع في التكفير له خطره العظيم؟ لقول الله عز وجل:

﴿قُلْ إِنَّما حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَواحِشَ ما ظَهَرَ مِنْها وَما بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ ما لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ ما لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٣.

ثانيا:

ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء، وانتهاك الاعراض، وسلب الاموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الاعمال وامثالها محرمة شرعاً باجماع المسلمين، لما في ذلك من هتك لحرمة الانفس المعصومة، وهتك لحرمة الاموال، وهتك لحرمات الامن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الاسلام للمسلمين اموالهم واعراضهم وابدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم امته فقال في خطبة حجة الوداع:

(ان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا) ثم قالﷺ: **(الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد)** متفق عليه. وقالﷺ **(كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)** وقال عليه الصلاة والسلام: **(اتقوا الظلم، فان الظلم ظلمات يوم القيامة).**

وقد توعد الله سبحانه من قتل نفساً معصومة باشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْه وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً﴾** (النساء: ٩٣) وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: **﴿وَمَا كانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾** (النساء: ٩٢) فاذا كان الكافر الذي له امان اذا قتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف اذا قتل

عمداً، فان الجريمة تكون اعظم، والاثم يكون اكبر، وقد صح عن رسول الله ﷺ انه قال: **(من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة).**

ثالثا:

ان المجلس اذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخطورة اطلاق ذلك، لما يترتب عليه من شرور وآثام، فانه يُعلن للعالم ان الاسلام بريء من هذا المعُتقد الخاطئ، وان ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة، وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة، وتخريب للمنشآت هو عمل اجرامي، والاسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله واليوم الاخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل اثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الاسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الاسلام، المعتصمين بالكتاب والسنة، المستمسكين بحبل الله المتين، وانما هو محض افساد واجرام تاباه الشريعة والفطرة، ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه، محذّرة من مصاحبة اهله.

قال الله تعالى: **﴿وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ * وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾**[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦.

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان:

التواصي بالحق، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي احسن، كما قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ﴾.

وقال سبحانه:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وقال عز وجل:

﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَتَواصَوْا بِالْحَقِّ وَتَواصَوْا بِالصَّبْرِ﴾(سورة العصر).

وقال النبي ﷺ:

(الدين النصيحة) قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: (لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم). وقال عليه الصلاة والسلام:

(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

والآيات والاحاديث في هذا المعنى كثيرة.

فتوى سماحة السيد محمد حسين فضل الله:

سعادة الأخ محمد إيراني (حفظكم المولى)

سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية في عمان

السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

إن الاسلام يتمثل بإظهار الشهادتين بكل لوازمهما العقيدية مما اشتمل عليه القرآن الكريم، فمن التزم بهما كان مسلماً، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، حتى أن إنكار الضروري من الدين لا يوجب الكفر إلا إذا التفت المنكر إلى لازمه من تكذيب الرسولﷺ باعتبار ان بداهته تلازم ذلك غالباً، اما الاختلاف في النظريات مما اختلف فيه العلماء من خلال النقاش في وثاقة راو أو دلالة حديث، او من خلال بعض الأمور المثيرة للجدل، فإنها لا تؤدي إلى التكفير.

وفي ضوء ذلك، فإننا نعتقد ان كل المسلمين في مذاهبهم داخلون في مصطلح الأمة الإسلامية، ولا يجوز تكفيرهم من اية جهة، ولا بد من حل المشاكل بالحوار الموضوعي العقلاني المرتكز على هدى القرآن الكريم: (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

١٤/ج١/١٤٢٦هـ

ختم السيد محمد حسين فضل الله

فتوى فضيلة الدكتور الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الازهر:

صاحب السمو الملكي الامير غازي بن محمد ـ حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد:

فيسعدني ان ارسل لسموكم الاجابة على الاسئلة التي تكرمتم سموكم بارسالها الي، وطلبتم مني الاجابة عنها، وادعو الله ـ تعالى ـ ان تحوز قبولكم.

السؤال الاول:

هل يجوز ان تعتبر المذاهب التي ليست من الاسلام السنى جزء من الاسلام الحقيقي؟ أو بمعنى آخر هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الاسلامية ـ يعني المذاهب السنية الاربع، والمذهب الظاهري، والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الاباضي يجوز ان يُعد مسلما؟

وللاجابة عن هذا السؤال نقول:

الاسلام الحقيقي عرّفه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله ـ كما جاء في الصحيحين من حديث جبريل عليه السلام:

((ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا)).

وفي الصحيحين ـ ايضا ـ عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: **«بني الاسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله**

وأن محمدا رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

فكل انسان ـ سواء أكان ذكراً أم انثى ـ يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله، ويؤدي هذه الاركان، ولا يُنكر أمرا عُلِم من الدين بالضرورة فهو مسلم.

واصحاب هذه المذاهب التي جاءت في السؤال / فيما نعلم من ظواهر احوالهم /: كلهم يشهدون ان لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، ويعترفون بهذه الاركان الخمسة ويؤدونها، واذا وجد خلاف بينهم في اداء هذه الاركان فهو خلاف في الفروع لا في الاركان والاصول.

وبذلك لا نستطيع ان نقول عن اصحاب هذه المذاهب بانهم غير مسلمين، وشريعة الاسلام تأمر أتباعها ان يحكموا على الناس على حسب ظواهرهم، اما بواطنهم فالله ـ تعالى ـ وحده هو العليم بها.

وفي الحديث الشريف: **«أمرت أن احكم على الناس بالظاهر، والله يتولى السرائر».**

ونحب ان نضيف إلى ذلك ان كليات الشريعة بالازهرالشريف، تُدَرِّس هذه المذاهب، وتوضح ما بينها من خلاف؛ علما بان هذا الخلاف انما هو كما سبق ان اشرنا ـ هو خلاف مشروع لأنه في الفروع لا في الاصول.

السؤال الثاني:

ما هي حدود التكفير في يومنا هذا؟ وهل يجوز لمسلم ان يكفّر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الاسلامية التقليدية او من يتبع العقيدة الاشعرية؟

وفضلا عن ذلك هل يجوز ان يكفّر الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟

وللاجابة عن هذا السؤال نقول:

التكفير بمعنى ان ينسب انسان إلى غيره الكفر لا يجوز، الا اذا كان هذا الغير ينكر ما جاءت به شريعة الاسلام، من وجوب اخلاص العبادة لله تعالى، ومن الايمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

كما قال سبحانه :

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بما أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾[(١)].

وكما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً﴾[(٢)].

ولا يجوز ان ينسب احد إلى الكفر اولئك المؤمنين الذين ينتسبون إلى أي واحد من المذاهب الاسلامية التي اتفقت جميعها على وجوب اخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ وعلى وجوب الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر، وعلى وجوب أداء العبادات التي كلفنا الخالق ـ عز وجل ـ بها كالصلاة والزكاة والصيام والحج لمن استطاع اليه سبيلا، وعلى

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٠ ـ ١٥١.

وجوب التحلي بمكارم الاخلاق كالصدق، واداء الامانة، والعفاف، والامر بالمعروف-والنهي عن المنكر.

ولقد حذر النبيﷺ تحذيراً شديداً من نسبة الكفر إلى المسلم ففي الصحيحين عن ابن عمر:

(اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها احدهما، فان كان كما قالها وإلا رجعت عليه).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود:

(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).

وفي الصحيحين عن ابي ذر:

(من دعا رجلا بالكفر او قال عدو الله وليس كذلك الا حار عليه) أي رجع عليه.

فتوى سماحة السيد محمد سعيد الحكيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى السيد محمد سعيد الحكيم دام ظله.

قد ورد إلينا أسئلة كثيرة من المسلمين ومن غير المسلمين عن الجمع الاسلامي والعلاقات بين المذاهب الاسلامية، فإننا نرجو من سماحتكم الإجابة عليها للتوضيح والاصلاح فجزاكم الله خير الجزاء.

الأول: هل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الاسلامية ـ يعني المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والحنبلي والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الأباضي ـ يجوز أن يعد مسلما؟

بسم الله الرحمن الرحيم وله الحمد:

يكفي في انطباق عنوان الاسلام على الانسان الاقرار بالشهادتين والفرائض الضرورية في الدين كالصلاة وغيرها وبذلك تترتب عليه أحكام الاسلام من حرمة المال والدم وغيرها وقد تعرض سماحة السيد دام ظله للموضوع المذكور في كتابه في رحاب العقيدة ج ١ ص ٣٤ـ٤٣.

الثاني: ما هي حدود التكفير في الاسلام؟ هل يجوز لمسلم ان يكفر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الاسلامية المعروفة ـ الذي ذكرناه في السؤال الأول ـ أو يتبع العقيدة الاشعرية او المعتزلة؟ وهل يجوز تكفير الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟ يتضح الجواب مما سبق.

فتوى فضيلة الإستاذ الدكتور الشيخ علي جمعة مفتي جمهورية مصر العربية:

شاعت المذاهب الثمانية ووصلت الينا بالتواتر مع قيام العلماء عبر العصور بخدمتها، كاستخراج ادلتها، والتثبت من منقولاتها، والقيام بتصحيح ما استدل به كل مذهب من الحديث النبوي الشريف أو الآثار الواردة عن مصدرها، والبحث في دلالة الألفاظ الواردة في كتب تلك المذاهب من جهة اللغة ومن جهة الشرع، تحليل المختصرات النافعة، ونظمها، وتلخيصها، وشرحها، والتفريع عليها، والإلحاق بها، واستنباط القواعد والضوابط التي بنيت عليها، وكتابة أصول ترتد إليها، وغير ذلك من الخدمة التي جعلت هذه المذاهب هي الأكثر شيوعاً، والتي بقي لها أتباع قلوا أو كثروا في بلاد المسلمين، وهذه المذاهب الثمانية هي:

المالكية، والحنفية، والحنابلة، والشافعية، وهي التي يطلق عليها مذاهب أهل السنة، والجعفرية، والزيدية، والاباضية، والظاهرية، وهي التي يطلق عليها المذاهب غير السنية.

واذا نظرنا إلى هذه المذاهب في فقهها واصول فقهها رأينا ان الخلاف بينها إنما هو في نطاق المضمون، ولم يقع بينها خلاف في المقطوع به الذي يكفر منكره، والحمد لله رب العالمين.

وعلى ذلك فانه من اتبع أي واحد من المذاهب الاسلامية او يمارس في حياته شيئاً منها فهو مسلم صحيح الاسلام، وهذا يتفق مع امر الله والرسول ﷺ لنا بان نعتصم بحبل الله وان نكون امة واحدة والا نختلف فتختلف قلوبنا، قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]؛

وقال تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٣.

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ هذهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[٢].

وقال تعالى:

﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْبَيِّناتُ وَأُولئِكَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[٣].

وقال تعالى:

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٤].

وقال ﷺ «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم».

رواه ابو داود وغيره.

واقر ﷺ فهم الصحابة مع اختلافهم في وقت صلاة العصر في بني قريظة، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ﷺ قال:

(قال ﷺ لنا لما رجع من الاحزاب: «لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة»)، فادرك بعضهم العصر في الطريق فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر للنبي ﷺ فلم يعنف واحدا منهم).

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٤) سورة الشورى: الآية ١٣.

ثانيا: والمسلم الذي يشهد بلسانه الشهادتين يعصم نفسه وماله، ويسمى عند اهل الحق جميعاً بالمسلم الصعب، لانه يصعب اخراجه عن الملة، الا اذا اتى بشيء من المكفرات قاصداً عالماً مختاراً، كتصريحه بانه ليس بمسلم، أو انه ينكر وجود الله، أو احقية رسالة النبي ﷺ، او احقية القرآن الكريم، وانه ليس نازلا من عند الله، أو يسجد للصنم، أو يستحل زنا المحارم، او غير ذلك من البلايا التي لا يقول بها مسلم من أهل القبلة.

فتوى سماحة الشيخ إسحاق الفياض:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الشيخ إسحاق الفياض دام ظله.

قد ورد إلينا أسئلة كثيرة من المسلمين ومن غير المسلمين عن الجمع الاسلامي والعلاقات بين المذاهب الاسلامية، فإننا نرجو من سماحتكم الإجابة عليها للتوضيح والإصلاح فجزاكم الله خير الجزاء.

الأول: هل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية ـ يعني المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الأباضي ـ يجوز أن يعد مسلماً؟

بسمه تعالى

نعم هؤلاء كافة مسلمون، فان المعيار في الاسلام انما هو الشهادة بوحدانية الله تعالى وبرسالة الرسول الاكرم محمد بن عبد الله ﷺ. فكل من يقول: اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمداً رسول الله، أو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فهو مسلم يترتب عليه جميع احكام الاسلام من

حرمة دمه وعرضه وماله، سواء اكان جعفرياً أم زيدياً أم سنياً بكل مذاهبها من المذهب الحنفي والمذهب الشافعي والمذهب المالكي والمذهب الحنبلي والمذهب الاباضي.....

الثاني: ما هو التكفير في الاسلام؟ هل يجوز لمسلم أن يكفّر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الاسلامية المعروفة ـ التي ذكرناها في السؤال الاول ـ او من يتبع العقيدة الاشعرية أو المعتزلة؟ وهل يجوز تكفير الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟

بسمه تعالى

المعيار في الكفر إنكار الوحدانية أو الرسالة، وعليه فلا يجوز تكفير من يتبع العقيدة الاشعرية أو المعتزلة أو يسلك الطريقة الصوفية طالما هو معترف بالوحدانية والرسالة... ومن هنا لا يوجد بين علمائنا الكرام من زمن الائمة عليهم السلام إلى زماننا هذا عالم يكفر سائر المذاهب الاسلامية لانهم جميعاً يقولون بأن من اعترف بالوحدانية والرسالة فهو مسلم محقون الدم والعرض والمال.

محمد إسحاق فياض
١٢ جمادي الأولى ١٤٢٦هـ

فتوى سماحة الشيخ بشير النجفي

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى الشيخ بشير النجفي دام ظله.

قد ورد إلينا أسئلة كثيرة من المسلمين ومن غير المسلمين عن الجمع الإسلامي والعلاقات بين المذاهب الإسلامية، فإننا نرجو من سماحتكم الإجابة عليها للتوضيح والإصلاح فجزاكم الله خير الجزاء.

الأول: هل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية ـ يعني المذهب الحنفي والمذهب المالكي والمذهب الشافعي والمذهب الحنبلي والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الأباضي ـ يجوز أن يعد مسلماً؟

بسمه سبحانه

كل من يقرّ بالتوحيد، ويعتقد بنبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن رسالته خاتمة النبوات والرسالات الإلهية، وبالمعاد، ولا يرفض شيئاً مما علم وثبت أنه من الإسلام فهو مسلم تشمله الأحكام الإسلامية، وهو محقون الدم والعرض والمال، ويجب على المسلمين جميعاً الدفاع عنه، وعن ماله وعن عرضه، والله العالم.

الثاني: ما هي حدود التكفير في الإسلام؟ هل يجوز لمسلم أن يكفر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الإسلامية المعروفة ـ التي ذكرناها في السؤال الأول ـ أو من يتبع الأشعرية أو المعتزلة؟ وهل يجوز تكفير الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟

بسمه سبحانه

من يقرّ بالشهادتين: بالتوحيد والشهادة بنبوة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله، وبالقيامة، ولا يرفض ما ثبت أنه من الدين الإسلامي، لا يجوز تكفيره، بل روي عن النبي صلى الله عليه وآله منع ذلك منعاً باتاً، ومن يشيع الفتن الطائفية أو يكفر اية طائفة تؤمن وتقر بما ذكرناه فهو إما جاهل أو متجاهل أو معاند للإسلام اندس بين المسلمين لخدمة المستكبر الكافر بغية تشتيت المسلمين لتفريقهم وجعلهم طرائق قدداً. والله العالم.

فتوى فضيلة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عُمان:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

صاحب السمو الملكي الأمير/ غازي بن محمد المعظم.المبعوث الشخصي والمستشار الخاص لجلالة ملك المملكة الاردنية الشقيقة المعظم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فببالغ الشكر والعرفان تلقيت أسئلتكم الكريمة التي تدور حول الإسلام، واختلاف مذاهبه، وتعدد اتجاهات أتباعه، والى سموكم الإجابة عليها بحسب ترتيبها.

السؤال الاول:

هل يجوز أن تعتبر المذاهب التي ليست من الإسلام السني جزءاً من الإسلام الحقيقي؟

أو بمعنى آخر هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية: يعني المذاهب السنية الأربعة والمذهب الظاهري والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الإباضي يجوز أن يعد مسلما؟

وجوابه:

إن الإسلام دين يتمثل في المعتقدات الحقة التي تنطوي عليها اجمالا الشهادتان، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولﷺ ويجسدها تطبيق الإسلام في الحياة العملية بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، فكل من أتى بالشهادتين ولم ينقضهما بإنكار ما علم من الدين بالضرورة فإنه يعد مسلما، وممارسته للأركان العملية المذكورة تعد تطبيقاً لتعاليم الإسلام، سواء كان على أي مذهب من المذاهب التي تنتمي إلى هذا الدين، ولا يجوز إخراجه من ملة الإسلام نظراً ولا تطبيقا، فلا يعد مشركا ولا كافراً كفر ملة، ولا تمنع مناكحته ولا موارثته، وله من الحقوق ما لعامة المسلمين في حياته وبعد وفاته: كالتسليم عليه، ورد سلامه، وتشميته إن عطس، وكف الأذى عنه، وصون دمه وماله وعرضه، وعونه إن احتاج إلى العون بقدر الإمكان، ونصرته على عدوه ما لم يكن معتديا، وعيادته إن مرض، وتجهيزه إن مات: لتغسيله، وتحنيطه، وتكفينه، والصلاة عليه، ودفنه في مقابر المسلمين، وقسمة تركته على ورثته المسلمين، حسب كتاب الله وسنة رسولهﷺ

على أن الإنسان بمجرد نطقه بالشهادتين يعصم دمه وماله كما نص عليه حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الشيخين وغيرهما ان النبيﷺ قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد

عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله» ومعنى هذا أنه لا يسفك له دم إن نقض ما شهد به بإنكار ما علم من الدين بالضرورة، كإنكاره نبوة نبي منصوص على نبوته، أو كتاب منصوص على إنزاله، أو ملك منصوص عليه، على أن يكون هذا النص متواتراً لا شك في ثبوته كآية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روي عنه بالتواتر القطعي، وكذلك إنكار البعث أو الحساب أو الجنة أو النار، أو إنكار حكم قطعي من أحكام الإسلام، كفريضة الصلاة والزكاة والصيام والحج على من استطاع إليه سبيلا.

وعندما ينكر ما علم من الدين بالضرورة تقام عليه الحجة ويستتاب، فان اصر على موقفه حكم عليه بالارتداد، وقتل حدا، لأنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بعد أن تقلده، ويسلب في هذه الحالة حكم الإسلام في حياته وبعد مماته.

وكذلك يكون غير مصون الدم إن قتل مسلماً بغياً وعدواناً، أو زنى بعد إحصانه، من غير ان يُسلب حكم الإسلام، فلا يستباح ماله ولا ذريته، ولا يحرم من التوارث مع المسلمين، أو حقوق موتاهم المذكورة سابقاً، لذلك كان البغاة من أهل الإسلام لا يخرجون من الملة، ولا يستباح منهم إلا قتلهم ردعا لهم عن البغي، أما أموالهم فتبقى مصونة وكذلك أعراضهم، اللهم إلا على رأي الخوارج المارقين الذين أجمعت الأمة على مخالفتهم.

هذا وقد حسم القضية وقطع لسان كل قائل فيها قول النبي ﷺ «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم» فبقوله نأخذ، ونشد عليه ايدينا، والله ولي التوفيق.

السؤال الثاني:

ما هي حدود التكفير في يومنا هذا؟ وهل يجوز لمسلم أن يكفر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الإسلامية التقليدية أو من يتبع العقيدة الأشعرية؟ وفضلاً عن ذلك هل يجوز أن يكفر الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية؟

وجوابه

التكفير - بمعنى فصل المسلم عن جسم الأمة الاسلامية، وإلقائه خارج أسوار ملة الإسلام - أمر صعب، لا يقدم عليه من يخشى الله تعالى ويتقيه، فإن ذلك أدعى الدواعي إلى انحلال رابطة العقيدة التي تشد الأمة بعضها إلى بعض، وتصل بين أفرادها وجماعاتها، بل هو أعمل العوامل في تفكيك الأمة وقطع أوصالها حتى تكون أمة هزيلة لا وزن لها بين البشر، ولا يحسب لها حساب في الأمم، وكما سبق فيما تقدم لا يخرج مسلم عن ملة الإسلام أيا كان مذهبه الفكري أو السلوكي أو الفقهي ما لم ينكر ما علم من الدين بالضرورة، بل يجب أن يعامل معاملة أهل التوحيد الذين آمنوا بالله ورسوله نظريا وتطبيقياً، سواء في حياته أو بعد مماته كما أسلفنا.

فتوى سماحة الشيخ إبراهيم بن محمد الوزير.

رئيس المركز الإسلامي للدراسات والبحوث - صنعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

مدير مؤسسة آل البيت المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رداً على خطابكم الكريم الذي وجهتموه الي حاملاً بعض الأسئلة وأرفقتموه بالدعوة لي لحضور المؤتمر - وإليكم أخي الكريم الأجوبة التالية على أسئلتكم الكريمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله محمد الأمين، وعلى آله الطاهرين، وأصحابه الراشدين. وبعد:

إجابة على السؤال الاول:

هل يجوز أن تعتبر المذاهب التي ليست من الإسلام السني جزءاً من الإسلام الحقيقي، أو بمعنى آخر، هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية، يعني المذاهب السنية الأربعة والمذاهب: المذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي، والمذهب الظاهري، يجوز أن يعد مسلماً؟

الجواب: إن هذه المذاهب المذكورة المذاهب الأربعة: المذهب الشافعي والمالكي، والحنفي، والحنبلي، والمذهب الجعفري، والزيدي، والإباضي، والظاهري، كلها مذاهب إسلامية معتبرة، وأي مسلم تابع لأي واحد من هذه المذاهب، يجب أن يعتبر ويعد مسلماً، ولا يحق لأحد أن يعتبره أو يعده خارجاً عن الإسلام.

السؤال الثاني: هل يجوز لمسلم أن يكفر الذين يمارسون أي واحد من المذاهب الإسلامية الثمانية، أو من يتبع العقيدة الأشعرية؟ وفضلاً عن ذلك: هل يجوز أن يُكفر الذين يسلكون الطريقة الصوفية الحقيقية، والسلفية المعتدلة؟

الجواب: لا يجوز لمسلم أن يكفر أي مسلم يتبع ويمارس تعاليم دينه على أي واحد من المذاهب الإسلامية الثمانية سالفة الذكر، أو يتبع إحدى الطرق الصوفية الصحيحة، أو السلفية المعتدلة.

فتوى مجمع الفقه الإسلامي ـ جدة / المملكة العربية السعودية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الصلاة والسلام على رسول الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

الأسئلة الواردة من مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي والإجابة عليها.

السؤال الأول والثاني، وهما متكاملان

(١) هل يجوز أن تعتبر المذاهب التي ليست من الإسلام السني جزءاً من الإسلام الحقيقي؟

(٢) ما هي حدود التكفير في يومنا هذا:

(أ) هل يجوز تكفير أحد من أصحاب المذاهب التقليدية؟

(ب) هل يجوز تكفير سالكي الطريقة الصوفية الحقيقية؟

إن هذين السؤالين قد تحدث بسببهما بلبلة بين المسلمين وتفريق لصفوفهم.

المسلمون أمة واحدة يؤمنون بإله واحد، كتابهم المنزل إليهم القرآن، قبلتهم واحدة، وأصول دينهم خمسة: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

فمن أخذ بهذه الأصول والتزمها فهو مؤمن مهما كان مذهبه، وليست المذاهب في واقع الأمر إلا اجتهاداً في فهم نصوص الكتاب والسنة التي هي مصادر هذا الدين، وإن تمايزت طرقها في ذلك أو اختلف ائمتها في التفسير والتأويل والأصول والقواعد والترجيح بين الأقوال في عدد من المسائل.

وينطق بهذه الحقيقة قول الله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا آمنُوا بِاللَّهِ وَرَسُوله وَالْكتاب الَّذي نَزَّلَ عَلى رَسُوله وَالْكتاب الَّذي أَنْزَلَ منْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّه وَمَلائكَته وَكُتُبه وَرُسُله وَالْيَوْمِ الآخرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعيداً﴾[1]. فهذه الأصول أساسية للإيمان، ولا يكون المؤمن مؤمناً إلا إذا اعترف بوجود الخالق وبعثة الرسول الخاتم والإيمان بالقرآن والكتاب الذي انزل من قبل.

والكفر يكون بما نصت عليه بقية الآية من قوله سبحانه: (ومن يكفر بالله...).

فتوى المجلس الأعلى للشؤون الدينية التركية:

قرار المجلس الأعلى للشؤون الدينية.

اجتمع المجلس الأعلى للشؤون الدينية التركية لمناقشة السؤالين الموجهين أدناه من قبل صاحب السمو الملكي الأردني الأمير غازي بن محمد ـ حفظه الله تحت رقم ٢٠٠٥/١١٢ وفي تاريخ ٢٠٠٥/٦/٣٠.

وبعد مناقشة السؤالين المذكورين قرر المجلس الأعلى للشؤون الدينية إصدار الجواب أدناه.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٦.

السؤال الأول: هل يجوز أن نعتبر كل من قال: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ومارس إحد المذاهب الثمانية وهي: (المالكي، الشافعي، الحنفي، الحنبلي، الجعفري، الزيدي، الإباضي، الظاهري) مسلماً، وأن يُحرم دمه وعرضه وماله؟

فنقول: الإجابة عن هذا السؤال:

إن أي إنسان قد آمن بوجود الله ووحدانيته، وصدّق وآمن برسوله النبي الأمي خاتم الأنبياء، وآمن باليوم الآخر، يعتبر مسلماً مبدئيا ما لم تكن ظواهر أحواله تقتضي كفره.

إن انتساب أي مسلم إلى مذهب من المذاهب التي ذكرت في السؤال ليس متعلقاً بإيمانه وإسلامه، وإنما ذلك أمرٌ متعلق بالمنهجية التي رجحها في ممارسة العبادات والمسؤوليات الدينية.

ومن ناحية اخرى، ليس هناك أي اختلاف وتفاوت بين المذاهب المذكورة في موضوع قبول وتصديق المبادئ الأساسية الإسلامية. فأما وجود آراء مختلفة حول تفسير وإيضاح بعض المبادئ والأحكام للدين وضعٌ يعتبر من جملة الثروة الفكرية للمجتمع الإسلامي فضلاً عن كونه سبباً لعد أصحابها وسالكيها خارجين عن دائرة الإسلام.

وعلى هذا، يمكن القول بأن كل شخص يقلد أيا من المذاهب المذكورة يعتبر مصدقاً بكل الأصول الاعتقادية والمبادئ الأساسية الإسلامية.

وليس من الرأي المستقيم اعتبار حصانة دم المؤمن وماله وعرضه مرتبطا ومقيداً بدين معين ومذهب دون الآخر، فإن دم كل إنسان وماله وعرضه محقون ومحصون بغض النظر عن دينه الذي يعتنقه والمذهب الذي ينتسب اليه.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

تحريراً في: ٢٤ جمادي الأول ١٤٢٦هـ الموافق: ١ تموز ٢٠٠٥م.

الدكتور مظفر شاهين رئيس المجلس

الأعلى للشؤون الدينية التركية.

من فتاوى سماحة الشيخ أحمد كفتارو

المفتي العام للجمهورية العربية السورية -رئيس مجلس الإفتاء الأعلى:

التجرؤ على المذاهب الأخرى وهل هي من الإسلام كالزيدية والجعفرية والإباضية؟

إن قصر فقه الإسلام على القرآن أو السنة فقط هو تقصير في حق الإسلام ومواكبته لشؤون الإنسان المسلم، وجعله ضيق الأفق، محدود الهدف، قاصراً عن شؤون الحياة ومتطلبات ابنائها، ونقرر أنه حيثما وجدت المصلحة فثم وجه الله، وأن المذاهب الفقهية إنما وجدت لأجل تفعيل تلك المصلحة في المجتمع وتحقيقها وإن اختلفت وجهات نظرها في الفروع الفقهية فإنها تبقى تدور في فلك الأصول والثوابت.

هذا وإن اختلاف الفقهاء في تلك الفروع المشار اليها إنما هو للتيسير على الناس ورفع الحرج عنهم ورحمتهم (ولذلك جاز تقليد كل مذهب وإن أدى إلى التلفيق عند الضرورة أو الحاجة أو العجز والعذر، لأن الصحيح جوازه عند المالكية وجماعة من الحنفية، كما يجوز الأخذ بأيسر المذاهب أو تتبع الرخص عند الحاجة أو المصلحة لأن دين الله يسر لا عسر) (موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته: ١٠/١). قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[(١)].

وتأسيساً على ذلك فإننا نجد أن الزيدية تمثل مذهباً عريقاً من المذاهب الإسلامية خاصة على ضوء كتابهم العمدة (**البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار**) للإمام يحيى بن المرتضى، حيث مثل موسوعة

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

مقارنة فضلاً عن كونه احتوى فقهاً لا يختلف كثيراً عن فقه أهل السنة، حيث أن المسائل المخالفة الواردة فيه معروفة محدودة كعدم مشروعية المسح على الخفين، وتحريم ذبيحة غير المسلم وغيرها من الفروع البسيطة.

وقل ذلك في الإمامية حيث يمثل أقرب المذاهب إلى المذهب الشافعي فهو لا يختلف في الأمور المشهورة عن فقه أهل السنة إلا في سبع عشرة مسألة تقريباً، وقل ذلك في الإباضية التي تمثل اقرب المذاهب إلى الجماعة الإسلامية رأياً وتفكيراً، ومصادر فقههم القرآن والسنة والإجماع والقياس.

فعلينا إذاً أن لا نستغرب اختلاف الفقهاء في الفروع لأن الدين واحد والشرع واحد والحق واحد لا يتعدد، وكذا المصدر واحد وهو الوحي الإلهي.

في عدم تكفير المسلم

حدد علماء العقيدة الإسلامية المكفرات بأنها: إما اعتقادية تتعلق بالألوهية كإنكار الخالق، أو باركان الإيمان الستة: كإنكار النبوة والرسالات، أو بالاحكام الشرعية المعلومة من الدين بالضرورة الثابتة بدليل قطعي: كإنكار أركان الإسلام الخمسة، أو إنكار تحريم الزنا، شريطة أن يعلم المنكر أن اعتقاده يكفره ويصر على ذلك، وإن كان مسلماً وظهر منه أحد الأمور المذكورة فإنه يستتاب، ويعطى الفرصة للتوبة والرجوع عن اعتقاده، وإلا كان مرتداً.

أما المكفرات القولية والعملية كالسب والشتم لله عز وجل او الدين، أو القيام بعمل يدل على كفر بالعقيدة كتمزيق المصحف أو

السجود لصنم فلا بد فيه من العمد والوعي وعدم الإكراه والإصرار، فإن وجد عذر فلا يعتبر ذلك كفرا، ومثال ذلك ما كان من عمار بن ياسر (رضي الله عنه) حين قال كلمة الكفر مكرهاً مضطراً فأنزل الله **(إلا من اكره وقلبه مطمئن بالإيمان)**.

إذن فالمكفرات الإعتقادية هي الأساس في الحكم على مقترفها بالكفر، أما المكفرات القولية والعملية فهي عبارة عن أمارات وتعبيرات عما يعتقده الإنسان.

عليه فلا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة متى نطق بالشهادتين، فإن ذلك يعصم ماله ودمه، فحين قتل أسامة بن زيد الرجل المشرك في المعركة بعد أن نطق بالشهادتين، وعلم رسول الله (ص) بذلك، فقال لأسامة: **(أقال لا إله إلا الله وقتلته؟!)** قال: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال ﷺ **(افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟)**، فما زال يكررها علي حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ[1].

وقال العلماء: لو نطق الإنسان بكلمة لها تسعة وتسعون وجهاً للكفر ووجه واحد الإيمان نقبل منه الإيمان، ونترك ما يكفره.

لم يُسمع يوماً ان اختلاف المذاهب الفقهية أدى إلى نزاع أو صدام مسلح بين أبناء المذاهب، وذلك لأن اختلافهم اختلاف جزئي في

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان: رقم ٩٦.

الاجتهادات العلمية المدنية الفقهية، ثم يؤجر بعد ذلك الفقيه على جهده قالﷺ إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اخطأ فله أجر واحد) (متفق عليه).

لذلك لا يجوز القول في غير الإطار السابق بحق المذاهب الأخرى من غير المذاهب الأربعة، وأنها من الإسلام، وفقهها محترم مصان.

فتوى سماحة السيد علي السيستاني:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة آية الله العظمى سيد علي السيستاني دام ظله الشريف.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نرجو التفضل بإرشاد ملايين المسلمين حول هاتين المسألتين الهامتين:

أولاً: هل يعتبر كل من شهد الشهادتين، وصلى باتجاه القبلة، واتبع أحد المذاهب الثمانية وهي (الحنفي، الشافعي، المالكي، الحنبلي، الجعفري، الزيدي، الأباضي، الظاهري) مسلماً يحرم دمه وعرضه وماله؟

باسمه تعالى

(ج): كل من يشهد الشهادتين، ولم يظهر منه ما ينافي ذلك، ولم ينصب العداء لأهل البيت عليهم السلام فهو مسلم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فتوى فضيلة الشيخ سعيد عبد الحفيظ الحجاوي

المفتي العام للمملكة الأردنية الهاشمية.

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الاول:

هل يجوز ان تعتبر المذاهب التي ليست من الإسلام السني جزء من الإسلام الحقيقي، او بمعنى آخر هل كل من يتبع ويمارس أي واحد من المذاهب الإسلامية -يعني المذاهب السنية الأربعة، والمذهب الظاهري، والمذهب الجعفري، والمذهب الزيدي، والمذهب الإباضي يجوز ان يعد مسلماً؟

الجواب: الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله تعالى، وحمله خاتم النبيين سيدنا محمدﷺ رسالة للعالمين إلى يوم الدين، ليسعد بالدارين من يتبعه، ويشقى من يعرض عنه او يتركه، قال تعالى:

(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) وقال تعالى:

(ان الدين عند الله الإسلام)

وهو يقوم على اركان خمسة، فعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- قال:

قال رسول الله ﷺ:

(بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله، وان محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وايتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان).

فشهادة ان لا إله الا الله اثبات للتوحيد، وشهادة ان محمداً رسول الله اثبات للرسالة والنبوة لاثبات ما يقوم على السمع للإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.

وقد حدد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من هو المسلم بعد ان حدد الإسلام، فعن أنس بن مالك ـ ﷺ ـ قال قال رسول الله ﷺ:

(من شهد ان لا اله الا الله، وأستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، وأكل ذبيحتنا، فهو المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم).

وإن اطلاق اهل السنة والجماعة بدأ في اول العصر العباسي، فالاسلام اسبق وأشمل، ولا يقتصر على مذهب، بل يلتقي في رحابه وينضوي تحت لوائه واتباع احكامه الأئمة الأعلام الذين ينسب اليهم المذاهب السنية، ومنهم الظاهرية والجعفرية والزيدية، فكل إمام مذهب مجتهد مطلق معترف بإمامته عند أهل السنة، وكان في أئمة آل البيت الأطهار الإمام زيد بن علي ـ ﷺ ـ الذي ينسب اليه المذهب الزيدي، واخوة الإمام ابو جعفر محمد بن علي الباقر ـ رضي الله عنه ـ وابنه الإمام جعفر الصادق ـ ﷺ ـ أخذ عنه الإمام مالك ﷺ وروي عنه ابو حنيفة ﷺ .وينسب اليه المذهب الجعفري، ولكل إمام منهاجه في الاجتهاد.

واما الجعفرية فانهم يؤمنون باركان الايمان، ويحترمون اركان الإسلام، ويلتقون مع بقية المذاهب في معظم الفروع، وقد تلقّى أئمة السنة عن أئمة الشيعة، كما تلقى أئمة الشيعة عن أئمة السنة، مما يؤكد انهم أمة مسلمة واحدة.

واذا كان هناك من اختلافات يسعى بعض الناس على تعميقها فانها تتعلق بأمور تاريخية ما احرانا في هذه الايام ان نتجاوزها، ونحقق وحدة الأمة، ونقوي من تكاتفها في وجه ما تتعرض له من تحديات.

فهلا فكرنا فيما يصلحنا، ووقفنا عند كسبنا، وعدم نبش الماضي للإساءة والاختلاف، وهلا احترمنا سلفنا الصالح، قال تعالى:

(تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)

وقال سبحانه:

(ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم).

وهكذا لا يستطيع مسلم ان يكفر مسلماً ممن ينطق بالشهادتين ومن أهل القبلة، وكل واحد من اتباع المذاهب السنية الاربعة والظاهرية والمذهب الجعفري والمذهب الزيدي والمذهب الاباضي يعد مسلما، فشرعنا الطاهر له الظاهر والله يتولى السرائر.

ان التكفير امرخطير لما يترتب عليه من استحلال دم المسلم وماله، وهدر كرامته في الدنيا، ويتعدى ذلك إلى الدار الآخرة بانه مخلد في النار، فيجب الاحتراز من التكفير ما وجد اليه سبيلاً، فان استباحة الدماء والأموال من المصلين إلى القبلة، المصرحين بقول لا إله الا الله محمد رسول الله خطأ، والخطأ في ترك الف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم.

وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله:

(أمرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله محمد رسول الله، فاذا قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها).

وان كثيراً من العلماء الأثبات يتورعون عن الحكم بتكفير المسلم ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، وان ابن نجيم وهو من كبار فقهاء الحنفية رجع عن كثير من فتاواه بالتكفير، وذكر ان المسألة اذا كان فيها تسعة وتسعون وجها تقتضي التكفير، وفيها وجه واحد يقتضي غير ذلك رجح الوجه الواحد على التسعة والتسعين في هذا المقام.

فتوى فضيلة الشيخ الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي

مدير مركز بحوث السنة والسيرة ـ جامعة قطر

١ـ (من شهد لا إله إلا الله دخل الجنة) (رواه البزار عن ابن عمر).

٢ـ (من قال: لا إله الا الله مخلصا دخل الجنة) (رواه البزار عن ابي سعيد).

٣ـ (من قال: لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه، وحسابه على الله) (رواه مسلم عن والد ابي مالك الاشجعي).

٤ـ (من مات لا يشرك بالله شيئا: دخل الجنة) (رواه أحمد والشيخان عن ابن مسعود).

٥ـ (من مات لا يشرك بالله شيئا: دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا: دخل النار) (رواه أحمد ومسلم عن جابر).

٦ـ (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله: دخل الجنة) (رواه أحمد ومسلم عن عثمان).

كل هذه الأحاديث ـ وجميعها صحاح ـ تدل بوضوح على ان مدخل الإسلام هو الكلمة أو الشهادة، وان المرء إذا مات عليها صادقاً مخلصاً ـ ولم يقلها نفاقا ـ كانت سبب نجاته من النار ودخوله الجنة، على ما كان من عمل، أي إذا صحت عقيدته أنجته من الخلود في النار، وإن كان له من السيئات ما له.

ولا عبرة بالتسميات التي يتسمى بها الناس، أو يسمي بها بعضهم بعضا، كقولهم: هذا سلفي، وهذا صوفي، وهذا سني، وهذا شيعي، وهذا اشعري، وهذا معتزلي، وهذا ظاهري، وهذا مقاصدي، لأن المدار على المسميات والمضامين، لا على الأسماء والعناوين.

ويكفي من دخل في الإسلام: أن يلتزم بأركان الإسلام وفرائضه الأخرى، ويذعن لها، وإن لم يقم بها فعلا، بدليل أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل إسلام من ينطق بالشهادتين، ويعتبره مسلما، وان كان اداؤه لفرائض الإسلام بعد ذلك، حين يأتي وقت الصلاة، وحين يحين أداء الزكاة، وحين يأتي شهر رمضان.

ومن دخل في الإسلام بيقين: لا يخرج منه إلا بيقين، لأن اليقين لا يزال بالشك، واليقين المخرج من الإسلام: أن ينكر معلوما من الدين بالضرورة، أو يستحل حراما قطعياً لا شك فيه، او يصدر عنه قول أو فعل لا يحتمل تأويلا غير الكفر، كأن يسجد لصنم بغير إكراه، أو يدوس على المصحف الشريف، أو يرميه في القاذورات، أو يسب الله، أو رسوله، أو كتابه، بعبارة صريحة لا لبس فيها ولا شبهة.

ولا يحل لمسلم أن يخرج مسلما من الإسلام بسبب معصية ارتكبها، ولو كانت كبيرة من الكبائر، فإن الكبائر تخدش الإسلام، ولكنها لا تزيله بالكلية.

وأصحاب المذاهب المعروفة في العالم الإسلامي، التي تتبعها جماهير من المسلمين، كلهم داخلون في مفهوم الإسلام الذي ذكرناه، سواء كانت هذه المذاهب فقهية، تعنى بالأحكام العملية عند المذاهب السنية الأربعة المعروفة، ومعها المذهب الظاهري، أم كانت مذاهب عقدية تعنى بأصول الدين، أي بالجانب العقائدي منه، مثل المذهب الأشعري (المنسوب إلى الإمام أبي حسن الأشعري ت ٣٢٤هـ) أو المذهب الماتريدي (**نسبة إلى الإمام أبي منصور الماتريدي ت ٣٣٣هـ**) أم كانت تجمع بين الجانب العقدي والجانب العملي شأن المذهب الجعفري (نسبة

إلى الإمام جعفر الصادق ت ١٤٨هـ) والمذهب الزيدي (**نسبة إلى الإمام زيد بن علي ت ١٢هـ**) والمذهب الإباضي (**نسبة إلى عبد الله ابن إباض التميمي توفي آخر ايام عبد الملك بن مروان**).

فهذه المذاهب كلها تؤمن بأركان الإيمان التي جاء بها القرآن:

(الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الاخر، والإيمان بالقدر الذي جاءت به السنة داخل ضمن الإيمان بالله تعالى).

وكلها تؤمن بالأحكام القطعية في شريعة الإسلام، في العبادات، والمعاملات، والانكحة، والحدود، والقصاص، والسياسة الشرعية والمالية، وغيرها.

وقد قدمنا قريبا ما ورد من الأدلة المشتملة على الترهيب العظيم من تكفير المسلمين، والأدلة الدالة على وجوب صيانة عرض المسلم واحترامه تدل بفحوى الخطاب على تجنب القدح في دينه بأي قادح، فكيف إخراجه عن الملة الإسلامية إلى الملة الكفرية؟ فان هذه جناية لا تعدلها جناية، وجرأة لا تماثلها جرأة! واين هذا المجترئ على تكفير أخيه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه).

ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر).

ومن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

(ان دماءكم، وأموالكم، واعراضكم حرام).

وهو أيضا في الصحيح؟!!

أطلنا في هذه النقول عن قصد؛ لنسد الطريق على الذين لا يبالون بتكفير اهل (لا إله إلا الله) فليتقوا الله في أنفسهم، وليتقوا الله في المسلمين، وليحذروا من هذه الفتنة التي يترتب عليها استباحة الدماء والأموال التي عصمتها الشهادتان، لمجرد المخالفة في المذهب أو الوجهة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

دعوة مخلصة للوحدة.

مفتي استراليا

وبعد: اخي المسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يهتف في اعماقك وسويداء قلبك قائلا:

(ان هذا الدين متين فاوغل فيه برفق فان المنبتّ لا ارضا قطع، ولا ظهرا ابقى). ورب العزة جل وعلا ينادينا:

(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم).

ان قواعد الشريعة سمحة مرنة سهلة، وسعها الله تعالى فلا تضيقوها، ويسرها فلا تعقدوها، وما انزلها الله تعالى الا لتحقيق مصالحنا . اولها الوحدة، والتوحيد، والتآخي، والاعتصام بحبل الله تعالى، وان تعدد الاراء في المسائل المختلفة فيها لا يفسد للود قضية، ولا يحول دون الحب والاحترام والتقدير.

ان كل الجماعات والفرق الاسلامية على ثغور الاسلام، تنضوي تحت لوائه، وتدافع عن حرماته في حدود امكاناتها، وتخصصاتها، وتوجهاتها، وتعمل على عودة دولته الضائعة المسلوبة، واعداء هذا الدين لا يفرقون بين طائفة واخرى، وانما يخططون لاستئصال شأفتكم، والغاء

وجودكم، وان الالتفات عن تلك المهمة وهذا الهدف بان يحارب بعضنا بعضا، ويكفر المسلمون بعضهم، ويتصفون بصفة اهل النار، كلما دخلت امة لعنت اختها، انما هو جريمة موبقة لا تخدم الا مصلحة اعداء الاسلام.

انني اردت بهذا الكتاب ان يكون ومضة نور تزيل ظلمة ما في الصدور، وهو تذكرة للمتعنتين، والمتهوسين، والمغرضين، والمنتفعين المبتلين بالميول العدوانية، وضحالة العلم، وضيق الافق، واللائذين حين تعوزهم الحجة، ويُخالفون في الرأى الى الشتم واللعن والتكفير، فهذه بضاعة المفلسين، ورأ س مال المتنطعين.

واعلم ان ما ذكرته في هذا الكتاب بجهد المقل: لن يحظى بالرضى والقبول لدى الغلاة والمتعصبين لدى السنة والشيعة على السواء، من الذين حرموا نعمة الحكمة وسعة الافق، وسوف يكون لي مكان في القوائم المعدة عندهم للضالين والفاسقين.

اخي في الله .. ما اسهل على المسلم ان يتأسى بسنة المصطفى ﷺ بتطبيق السنن الظاهرة، وهو مأجور على ذلك بنيته ان شاء الله تعالى . فما اسهل ان يوفر المسلم لحيته لتصل الى ما بين منكبيه، وهذا امر حسن، ولكن الاحسن ان يوفر اخلاقه لتملأ ما بين جنبيه، في قلب كبير سليم محب يسع كل اخوته من المسلمين، وما اسهل ان يقصر المسلم ثوبه لما فوق الكعبين، وهذا حسن، ولكن الاحسن ان يقصر لسانه، ويكفه عن ايذاء اخوانه المسلمين، ومن السهل ان يضع المسلم يديه حال الصلاة على صدره، او فوقه او تحته او سادلا على جنبيه، ولكن الافضل ان لا يضع يده في يد اعدائه واعداء دينه، مشاركا في اعلان الحرب على المسلمين . عن رسول الله ﷺ يلخص اهداف بعثته فيقول:

(انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق).

ان اعداء الاسلام عندما عجزوا عن النيل منه واتيانه من الخارج عهدوا الى اتيانه من الداخل بايدي رجاله وألسنة اتباعه عن طريق التحريش بين المسلمين، واشعال نيران الخلاف المذهبي بينهم، في الوقت الذي يرمى فيه المسلمون من قوس واحد، ويذبح فيه الاسلام من الوريد الى الوريد، وتحيط بالمسلمين الدسائس والمؤامرات والفواجع مما تتفطر له القلوب، وتتفتت له الاكباد، وتشيب من هوله الولدان، فلنتوجه جميعا الى انقاذ اسلامنا، ولنبدأ بالمتفق عليه، ولنخفف من غلوائنا فيه، ولنتفقه فقه الاوليات، وابجديات التصور الاسلامي، ولندع مهزلة الخلاف في الغيبيات والعقد التاريخية البالية، ولنترك الخوض في المسائل التي لا يقع تحتها عمل، علما اننا لا نقصد بما كتبنا جماعة معينة، ولا افرادا مخصصين، وان ما اردناه نصائح عامة لله ولرسوله ﷺ ولعامة المسلمين. واذكّر بما قاله الامام جعفر الصادق عليه السلام في قاعدته العملية:

(حسبنا من المسلم ما يكون به مسلما).

وسيبقى الاختلاف ما دام هناك اختلاف في العقول والتحصيل والاستنباط والبيئات، وان محاولة جمع المسلمين في مذهب واحد وعلى فكر واحد امر صعب المنال، وغاية لا تدرك، وهو لحلم جميل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى، وهو امر دونه جمع نجوم السماء، والله تعالى يقول:

(ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين) .

فما احوجنا معاشر المسلمين الى ان ننشغل بعيوبنا، وطوبى لعبد شغلته عيوبه عن عيب الناس، ونعمل على اصلاح نفوسنا، ونحسن الظن باخواننا المسلمين.

مشاعل على طريق الاخاء

نستعرض في هذا الفصل اضاميم عاطرة من التسديد النبوي الزاهر، حيث نقف بكل اجلال امام نفحات الرسول الكريم، وهي ترسم الطريق للأخوة الاسلامية، وتحدد المعالم لترشيدها، وتشير إلى دعائم ثباتها ورسوخها، وعجيب عطاياها وعوائدها، وتشخص الآفات الكامنة لها على المسار، وتبين حكم الله اللازم فيها لمن يريدون معرفة هداه في اروع مفردة انجبتها الشريعة من رحم الابداعات المعجزة التي طلعت بها على الحياة، وهي مفردة الوحدة التي الفت بها بين القلوب، ووحدت بها الشمل، وجمعت القوى والطاقات، واحكمت الأواصر والعرى، لتصنع ملحمة ايمانية انسانية لا مثيل لها في كل ما حوته صفحات التاريخ من روائع المشاهد، وبدائع المواقف، وعجائب الانجازات التي تتفرد العقيدة المثلى بصنعها في الواقع البشري، لتجعلها منارات تضيء، ودلالات تهدي، وبصائر تملأ القلوب والعقول بحكمها ورشادها، لتنبث منها للوجود تلك الأمة العجيبة التي نهضت من متاهات مكة ويثرب، ومن دوامة النظام القبلي المتشرذم، وحضيض السقوط القيمي والانساني، في عماية الجهل والبؤس والحماقة، مع شريعة الصنم، وكآبة الصحراء، وعادية الصراع المرير، لتستحيل بعد مدة وجيزة من صبر النبوة في ادائها الريادي المذهل - امة الوسطية التي تشق الطريق إلى المجد المؤثل، وتزرع على هامة الفخار نبتة الحضارة الانسانية، وتسقيها من نجيع التضحيات والايثار، وتقدمها للعالم الحبيس بين اطواق محنته الكبرى، حيث العمى، والضلال،

والتخلف ـ مدنية فضلى فيها ما تشتهي الانفس من الأطايب، وما تلذ الأعين من المحاسن، وما يسحر الالباب من المحامد والمفاخر[1].

الرسول الاعظم ﷺ

(المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة).

(ذمة المسلمين واحدة يسعى بها ادناهم وهم يد على من سواهم، فمن اخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين، لا يُقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل).

(الا وان ود المؤمن من اعظم سبب الايمان).

(اذا احب احدكم صاحبه او اخاه فليعلمه، فانه اصلح لذات البين).

(من اكرم اخاه المسلم بكلمة يلطفه بها، ومجلس يكرمه به، لم يزل في ظل الله عز وجل ممدوداً عليه بالرحمة ما كان في ذلك).

(من شهد ان لا إله الا الله، واستقبل قبلتنا، وصلى صلاتنا، واكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ما للمسلم، وعليه ما على المسلم).

(من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، واكل ذبحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته).

---

(١) الروايات الواردة في الصفحات التالية مأخوذة من مقدمة الفصول المهمة، ومن ميزان الحكمة ـ باب الاخوة المجلد الأول الصفحة ٣٤ الألفة المجلد الاول الصفحة ١٢٨.

عن اسامة بن زيد قال:

(بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحرقة)، فصبّحنا القوم فهزمناهم، ولحقت انا ورجل من الانصار رجلاً منهم، فلما غشيناه قال: لا إله الا الله، فكف الانصاري عنه، فطعنته برمحي حتى قتلته، فلما قدمنا وبلغ النبي ذلك قال: يا اسامة اقتلته بعدما قال لا إله الا الله؟ قلت: كان متعوّذاً، قال:ـ فما زال يكررها حتى تمنيت اني لم اكن اسلمت قبل ذلك اليوم).

(ان الله حرم عليكم دماءكم واموالكم واعراضكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا).

(المؤمن مرآة لاخيه المؤمن، ينصحه اذا غاب عنه، ويميت عنه ما يكره اذا شهد).

(من لم يهتم بامور المسلمين فليس بمسلم، ومن سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم).

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده).

(عن انس: كان رسول الله ﷺ اذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة ايام سأل عنه، فان كان غائباً دعا له، وان كان شاهداً زاره، وان كان مريضاً عاده).

الفهرس